م ج 107/800

جامعة محمد الصديق بن يحي - جيجل

كليـــة الآداب واللغـــات

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة جيجل
مكتبة كلية الآداب واللغات
رقم الجرد: 15/014

الأمثال الشعبيـة بمنطقة جيجل

- جمعا ودراســـة -

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب شعبي جزائري.

إعداد الطالبة:

زينب ڤريمس

إشراف الأستاذ الدكتور:

عيسى لحيلح

اللجنة المناقشة:

الدكتور: عبد العزيز شويط ..... رئيـسا.

الأستاذ الدكتور: عيسى لحيلح ..... مشرفا ومقررا.

الدكتور: محمد الصالح خرفي..... عضوا مناقشا.

الدكتورة: سلمى شويط ..... عضوا مدعوا.

السنة الجامعية:

1435-1434 هـ / 2014-2013 م

جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل

كليــة الآداب واللغـــات

قسم اللغة والأدب العربي

الأمثال الشعبيـة بمنطقة جيجل

– جمعا ودراســـة –

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب شعبي جزائري.

إعداد الطالبة:

زينب ڤريمس

إشراف الأستاذ الدكتور:

عيسى لحيلح

اللجنة المناقشة:

الدكتور: عبد العزيز شويط ..... رئيــسا.

الأستاذ الدكتور: عيسى لحيلح ..... مشرفا ومقررا.

الدكتور: محمد الصالح خرفي..... عضوا مناقشا.

الدكتورة: سلمى شويط ..... عضوا مدعوا.

السنة الجامعية:

1434-1435 هـ / 2013-2014 م

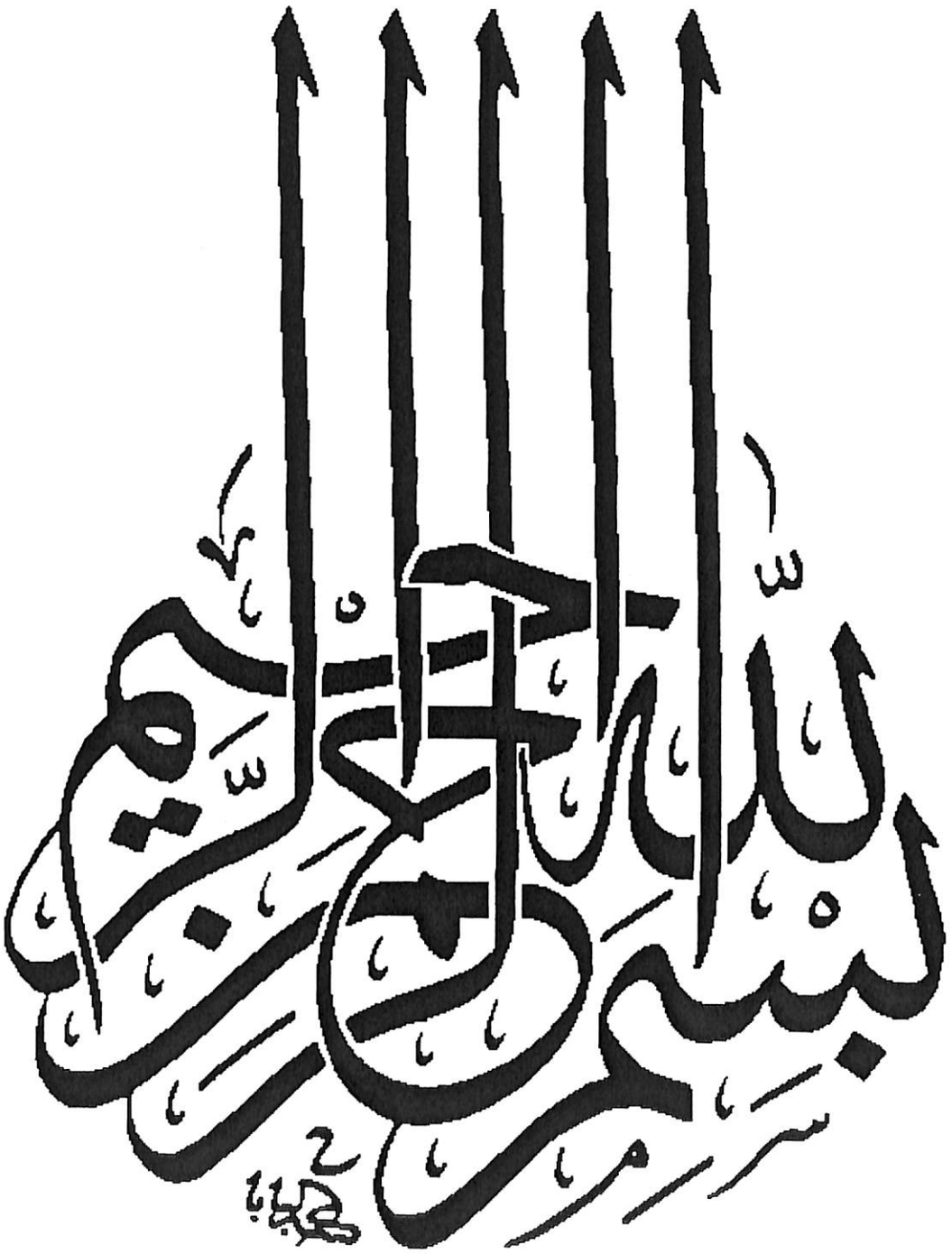
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الله تعالى:﴿...واشْكُرُوا لِي ولاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:152]

وقال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: « من لا يشكر الناس لا يشكر الله».

وعليه:

أشكر الله عزل وجل أولا وآخرا وظاهرا وباطنا على ما يسّر من إنجاز هذا البحث، ثم أتقدم بوافر الشكر والامتنان للمشرف صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور **عيسى لحيلح** الذي ما فتئ يوجه ويقوّم مسيرتي العلمية، فجزاه الله خيرا على ما أبدى من صبر وسعة صدر وحسن خلق.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ **عبد المجيد بوالروايح** على مساعدته في إثراء البحث.

كما أشكر أيضا كل من أفادني بفائدة أو ملاحظة أو فتح عليّ بمثل، أو ساعد على إنجاز هذا البحث، وأسأل الله تعالى أن يوفق ويسدّد كل محب للخير والسلام.

أمين،،،

مقدمة

مقدمـــــــة

يعدّ الأدب الشعبي من الآداب القريبة للنفس البشرية؛ لأنّه يعبّر عن حياة أفراد المجتمع في حالتهم البسيطة ومشاعرهم الخالية من التكلّف. ولأنّه بلغة العامة فالجميع يفهمه، وهي ميزة مكّنت الأدب الشعبي أن يبلغ ما لم يبلغه الأدب الفصيح، فمن أراد أن يعرف مجتمعا من المجتمعات فليقصد أدب شعبه؛ لأنّه مرآة عاكسة، صادقة، تصوّر المجتمع تصويرا صحيحا لا زيف فيه.

ويتجلّى الأدب الشعبي في أشكال وقوالب متعـدّدة، كل شكل منه يختلف عن الآخر بمجمـوعة من الخصائص والمميّزات، فليس الشعر كاللغز، ولا الأسطورة كالنكتة ولا ... إلخ. سنحاول في هذه الدّراسة أن نسلّط الضوء على أحد أغراض الأدب الشعبي، ألا وهو المثل.

مبرّرات اختيار الموضوع:

يرجع اختياري لموضوع "الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل – جمعا ودراسة –" إلى جملة من الأسباب منها ما هو ذاتي قائم على دوافع شخصية ومنها ما هو موضوعي:

1- الأسباب الذاتية:

- الميل لدراسة الأمثال بصفة عامة والشعبية بصفة خاصة.
- الشعور بالمسؤولية نحو إنجاز عمل مفيد لأهل المنطقة وغيرهم.
- انتمائي إلى وسط قروي مازال يعيش – إلى حد ما – جو الثقافة الشعبية.

2- الأسباب الموضوعية:

- المساهمة في حفظ التراث الشعبي من الضياع.
- ندرة الدّراسات العلمية المتعلّقة بالأدب الشعبي في المنطقة.

إشكالية الموضوع:

تحظى الأمثال الشعبية في منطقة جيجل بمكانة كبيرة بين أحاديث الناس في الحياة اليومية، فقد كانت – ومازالت– تفرض نفسها بالقوّة، وهذا على عكس أشكال الأدب الشعبي الأخرى، حيث أنّ البعض

منها مرتبط بأوقات أو مناسبات معيّنة – كالحكايات الشعبية وأغاني الأعراس- وهو ما يدعو إلى طرح التساؤلات والإشكالات التالية:

- هل الأمثال الشعبية ظاهرة تراثية أم ظاهرة متجدّدة ؟
- هل حضورها يعني بالضرورة حضور أغراض أخرى من أغراض التعبير ؟
- ما الذي يميّز الأمثال الشعبية عن باقي فنون الأدب الشعبي وعن الكلام العادي حتى اكتسبت هذه المكانة بين النّاس ؟
- هل دلّت الأمثال الشعبية على منطقة جيجل ؟ وهل عبّرت فعلا عن المجتمع وساهمت في حفظ خصوصياته أم لا ؟

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية موضوع " الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل – جمعا ودراسة –" فيما يلي:

- التعريف بأحد أشكال الموروث الشعبي الذي تزخر به منطقة جيجل، وتوضيح قيمته وأهمّيته في الحياة.
- توطيد العلاقة بين أهل المنطقة وموروثهم الشعبي.
- الدفاع عن الأدب الشعبي عامة، والأمثال الشعبية خاصة، وإبعاد النظرة الاستصغارية من نقاد الأدب الشعبي المتأثرين بالنزعة اللغوية.
- دراسة الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل حريّة بأن تكشف للقرّاء عن حقائق ومعطيات لم تكن لهم معرفة بها من قبل.
- الكشف عن المجهول والمنسي في البنية النفسية والشخصية لأهل المنطقة.

خطّة و هيكلة البحث:

من أجل تحقيق الأهداف والغايات السابقة الذكر، انبنت هذه الدراسة على مدخل وثلاثة فصول مع مقدمة وخاتمة طبعا.

فالمقدّمة كانت عبارة عن إطار عام للموضوع.

أما "المدخل" المعنون بـ "منطقة جيجل الجغرافية والتاريخ" فقد كان خلفية إطارية للمنطقة، تعرّضنا فيه لأصل تسمية جيجل ومعناها وعرّفنا بجغرافيتها من حيث الموقع والتضاريس والمناخ، بعدها تناولنا تاريخ المنطقة عبر المراحل التاريخية الكبرى، لمعرفة الإطار الحضاري العام الذي تشكلت فيه الثقافة الجيجلية.

وأمّا "الفصل الأوّل" فقد تناولت الدّراسة فيه "تراث جيجل الشعبي" في أربعة مباحث، كان المبحث الأوّل عن عادات وتقاليد المنطقة والثاني عن الأدب الشعبي وفنون المحاكاة والثالث عن المعتقدات والمعارف الشعبية، أما الرابع والأخير في هذا الفصل فقد تحدّث عن الفنون الشعبية والثقافة المادّية.

وفي "الفصل الثاني" المعنون بـ "أمثال جيجل الشعبية حضورها وخصائصها" تناولنا كذلك أربعة مباحث تطرّقنا في المبحث الأوّل إلى التعريف بالمثل الشعبي، وعالجنا في المبحث الثاني علاقة المثل الشعبي بالحكاية، وفي المبحث الثالث تحدّثنا عن حضور المثل الشعبي بالمنطقة، ويليه المبحث الرابع الذي يتضمّن خصائص المثل الشعبي الجيجلي.

ثم "الفصل الثالث" وقد كشفنا فيه عن "دلالات أمثال جيجل الشعبية" في خمسة مباحث، أوّلها الدّلالة الدينية التي تجلّت في تأثير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على الأمثال الشعبية، وثانيها الدّلالة التربوية الأخلاقية التي تبين أهمية الأمثال الشعبية في بناء المُثُل والقيم والأخلاق الرفيعة، وثالثها الدّلالة الاجتماعية وتبين قيمة أمثال جيجل الشعبية في التعريف بها وبطبيعة العلاقات القائمة فيها، ورابعها الدّلالة التاريخية وتكشف فيها بعض الأمثال عن ملامح الحياة القديمة أو عن بعض الأحداث التاريخية وخامسها الدّلالة النفسية وتوضح أثر الأمثال الشعبية في النفس وتصويرها لمختلف النوازع والانفعالات.

وأخيرا "الخاتمة" وتمثل زبدة البحث، حيث كانت حوصلة للنتائج المتوصل إليها.

منهج الدّراسة:

اقتضت دراسة موضوع " الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل – جمعا ودراسة – " اعتماد المنهجين الوصفي و التحليلي، وتجلّى ذلك في اعتماد أكبر الشواهد المطمئنة على صدقية المقصد والمتمثل في مسعى البحث عن الأمثال وشرحها وتحليلها، إضافة إلى طبيعة المادة وما تمتاز به من خصوصيات.

أهم المصادر والمراجع:

تعدّ المصادر والمراجع من الآليات والوسائل التي لا يمكن لأيّ بحث الاستغناء عنها، وكون البحث ميدانيّا بالدرجة الأولى، فإنّ المصدر الرئيس لاستخراج الأمثال الشعبية هو "الذاكرة الشعبية" خصوصا فئة النساء والكهول والشيوخ، إضافة إلى مصدر مهم للأستاذ "عبد المجيد بوالروايح" وهو عبارة عن مخطوط يضمّ مجموعة كبيرة من أمثال المنطقة، وكتاب "ذرّات النيكل في النادر من أمثال أهل جيجل" لـ"حسين بن بخمة المورغاني".

أمّا عن أهم المراجع التي ساعدتني في الدّراسة فكانت إمّا بحوثا ودراسات عن الأمثال العربية الفصيحة، ككتاب "الأمثال العربية – دراسة تاريخية تحليلية –" لـ "عبد المجيد قطامش" وكتاب " أمثالنا الموروثة قيمتها الأدبية والفكرية ودلالتـــها على شخصية الإنسان العربي" لـ " أحمـد عبد الغفـار عبيد" أو دراسات حول الأدب الشعبي العربي أو الجزائري مثل:

- "أشكال التعبير في الأدب الشعبي" لـ "نبيلة إبراهيم".
- "منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري" لـ "التلّي بن الشيخ".
- "الأدب الشعبي الجزائري" لـ "عبد الحميد بورايو".

صعوبات البحث:

من جملة الصعـــوبات التي واجهت البحث عن الأمثال الشعبية بالمنطقة ما يلي:

- انعدام روّاة محترفين للأمثال.
- صعوبة جمع الأمثال؛ لأنّها تأتي في سياق الحديث عن موضوع ما، ممّا جعلنا نطيل الجلسات مع الكبار والاستماع إلى مختلف الأحاديث، وما إن يسقط مثل من أفواههم حتى نتلقّفه بالكتابة.
- استخفاف الكثير بهذا العمل وعدم تقديره حق قدره.

أمّا عن الصعوبات التي واجهتنا في دراســة الأمثال الشعبية فتتـمثّل في ندرة المراجـع المتخصّصة في دراسة الأدب الشعبي بالمنطقة.

غير أن الرغبة الملحّة في هذا البحث، تخطّت كلّ الصعوبات والمعوقات، فواصلت مسيـــرة البحث إلى أن وصل إلى الصورة التي عليها الآن وما أظنها مكتملة أو منتهية، بل هي حجر في بناء عال وخطوة في طريق طويل.

وختاما فإنّ الواجب والفضـل يقتضي مني أن أتقدم بالشـكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور "عيسى لحيلح" على توجيهاته وملاحظاته القيمة، وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث وتقويمه.

مدخل

منطقة جيجل الجغرافية والتاريخ

1- **التسمية.**

2- **الجغرافية:**

أ- الموقع الجغرافي.

ب- التضاريس.

ج- المناخ.

3- **التاريخ:**

أ- مرحلة ما قبل التاريخ.

ب- مرحلة العصور التاريخية.

1- التسمية:

عُرفت منطقة "جيجل" قديما بعدّة أسماء، حيث كان يطلق عليها اسم "إيڤيلڤيلي"، "إيجيلجيلي" "زيجري"، "جيجري" و"رجار"، لكنّها عُرفت في عصور تالية باسمها الحالي "جيجل".

وقد اختلف الباحثون في تحديد أصل كلمة "جيجل"؛ فمنهم من يرى أنها لفظة كتامية بحتة، إذ «كان الرومان يكتبونها إيڤيلڤيلي حسب اللوحة الحجرية المحفوظة في متحف قسنطينة التي تعود إلى عهدهم. فهذه الكلمة حسب المختصين في لغة الغزاة الذين تداولوا على احتلال المدينة لا معنى له [لها]، ولذلك فهي أمازيغية»[1].

فكلمة "إيڤيلڤيلي" أو "إيجيلجيلي" إذن أمازيغية بربرية، لا مكان لها في قواميس لغات المحتلّين للمدينة وبالخصوص الفينيقيين؛ لأن بعض الباحثين والمؤرخين يرون بأن أصل الكلمة يعود إلى الفينيقيين.

ويعزّز مؤرّخ تاريخ جيجل "شارل فيرو" (Charles Féraud) الأصل الأمازيغي البربري للكلمة في افتراض له انطلاقا من اللفظة البربرية "إيغيل" الدالة على الربوة، «فالكلمة المكررة إيغيل إيغيل مستعملة في الكلام البربري العادي للدلالة على تعاقب الروابي؛ إذ تبعا لتبادل وقلب الحرفين إيغيل - إيغيل هي إيجيل - إيجيل ثم إيجيلجيلي»[2].

ويذهب "شارل فيرو" في افتراض آخر حول أصل كلمة "جيجل" إلى أنّه يرجع إلى اسم مدينة فلسطينية وهي قلقيليا، وفي هذا يقول:

«أما اشتقاق الاسم الجديد لإيجيلجيلي، فيبدو لنا من الصعب تحديده، فهناك بفلسطين مدينة قلقا أو قلقيليا، حيث مسح شاوول ملكا، وهي مستعمرة إسرائيلية، تكون قد أطلقت موطنها القديم على المكان الذي نزلت فيه عندما كانت مهاجرة إلى الشاطئ الإفريقي»[3].

فالملك قد أطلق اسم القلقة الفلسطينية التي كان فيها أثناء العهد الفينيقي على المدينة التي هاجر إليها لما لاحظه من تشابه بينهما.

---

[1] علي خنوف: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، ط2، دت، ص 49.

[2] شارل فيرو: تاريخ جيجلي، ترجمة: عبد الحميد سرحان، الدار الخلدونية، الجزائر، دط، 2010، ص 10.

[3] المرجع نفسه، ص 09.

أما المؤرخون العرب في العهد الإسلامي فقد سمّوا هذه المنطقة بالاسم الحالي "جيجل" أمثال "الإدريسي" الذي ذكر في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" لفظة "جيجل" ثلاث مرات أثناء وصفه لمناطق الجزائر التي مرّ بها، يقول:

«ومن هذا الحصن إلى ثالة وهو حصن خراب و به المنزل ومنه إلى المغارة، إلى ساحل البحر إلى مسجد بهلول إلى المزارع إلى مدينة جيجل (...) ومن مدينة جيجل إلى طرف مزغيطن (...) وكذلك من جيجل إلى بجاية الناصرية خمسون ميلا»[1].

فإذا كان المؤرخون العرب في ذاك الزمان يستعملون لفظة "جيجل" فإن الغربيين كانوا يطلقون على هذه المنطقة اسم "ريجال". غير أن بحارة البحر الأبيض المتوسط اختاروا واستعملوا تسمية "زيزري" و"زيجري" ثم "جيجري" وبعدها "جيجرّي" بتشديد الراء.[2]

وأما الفرنسيون في فترة احتلالهم للجزائر فقد ظلوا محافظين على التسمية التي كانت مستعملة في العهد الروماني وهي "إيجيلجيلي"، ومن كثرة الاستعمال وتخفيفا للنطق، تخلّوا عن الألف في "إيجيلجيلي" لتصبح "جيجلي"، والدليل على هذا الكلام كتاب "تاريخ جيجلي" لـ "شارل فيرو"، الذي ألّفه في تلك الفترة، محاولا فيه كتابة تاريخ المنطقة لمصالح وأهداف استعمارية.

وأما الدكتور "عيسى لحيلح" فيذهب في كتاب (مخطوط) له بعنوان "الطوبونيميا الأمازيغية لمنطقة جيجل" إلى أنّ لفظة جيجل أصلها أمازيغي، وهي كالتالي:

إيغيل غلاّس، بمعنى: ذراع النمر، أو ذراع النمرة، فكلمة "إيغيل" معناها الذراع، أي: الربوة الممتدة.

أما غيلاس فمعناها: النمر.[3]

---

[1] الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، دط، 1994، ص 268.

[2] شارل فيرو: تاريخ جيجلي، ص 09.

[3] عيسى لحيلح: الطوبونيميا الأمازيغية لمنطقة جيجل (مخطوط).

2- الجغرافية:

أ- الموقع الجغرافي:

تعتبر منطقة "جيجل" إحدى ولايات الجزائر الشمالية الشرقية، ذات موقع متميّز، حيث تطل شمالا على البحر الأبيض المتوسط بشريط ساحلي يقدر طوله بـ 120 كلم، وجنوبا على ولايتي ميلة وسطيف وتجاور من الجهة الشرقية ولاية سكيكدة، أما من الجهة الغربية فولاية بجاية.

تقدر مساحتها بـ 2398.63 كلم^2، وعدد السكان فيها حسب إحصاء سنة 2008 بـ 1.348.390 نسمة، أما الكثافة السكانية فيها فتقدر بـ 2.162 نسمة في الكلم المربّع.

وتقسّم جيجل إلى 28 بلدية وهي: بلدية جيجل، الأمير عبد القادر، أولاد رابح، أولاد عسكر أولاد يحي خدروش، إيراثن، بودريعة بن ياجيس، برج الطهر، بوراوي بلهادف، تاكسنة، الجمعة بني حبيبي جيملة، واد عجول، زيامة منصورية، السطارة، سلمى بني زيادة، سيدي عبد العزيز، سيدي معروف الشحنة، الشقفة، الطاهير، العنصر، العوانة، غبالة، قاوس، القنار، الميلية ووجانة.

ب- التضاريس:

أراضي "جيجل" معظمها جبلية، إذ بلغت نسبة الجبال فيها 82% من المساحة الإجمالية لها، وتعد هذه الجبال جزءا لا يتجزأ من سلسلة الأطلس التلي الشمالي، وعرة، ذات غطاء نباتي كثيف، خصوصا أشجار البلوط و السرو والدردار والأحراش.

وعلى الرغم من صعوبة وقساوة العيش في هذه الجبال إلاّ أنها كانت مصدر الأمان لدى الشعب الجيجلي خصوصا في فترات الحروب والنزاعات، فقد «جعلت هذا البلد في كل العصور المنطقة المركزية للتمرد وملجأ الاختباء، حيث كان الذين يفرّون من السلطة متأكدين من وجود ملجأ منيع، وبتفحص التاريخ على مر قرون متفاوتة نرى الأحداث ذاتها تقريبا تتكرر في نفس المنطقة»[1].

وتشهد كتب التاريخ وكتب الكفاح الجزائري ضد المستعمر الفرنسي خصوصا، ما قدمته جبال جيجل من خدمة جليلة للثورة الجزائرية، فقد كانت مقرا لاجتماع الثوار ومقرا لانطلاقهم، ومكانا لنصب الكمائن للعدو كما كانت أيضا ملجأ ومخبأ سريا حصينا.

---

[1] شارل فيرو: تاريخ جيجلي، ص 26.

ويمكن تقسيم جبال جيجل إلى قسمين: جبال شمالية تتبع الكتلة القديمة لمنطقة القبائل الصغرى وجبال جنوبية تنتمي إلى السلسلة النوميدية.

أما الجبال الشمالية فقريبة من البحر الأبيض المتوسط، تتميز بمتوسطية الارتفاع ومنها نذكر: جبال تاكسنة جبال الشحنة، جبال إيراڤن...إلخ.

وأما الجبال الجنوبية فبعيدة عن البحر، تتميز بعلو الارتفاع على عكس الجبال الشمالية، «حيث تبلغ أعلى قمّة جبلية في سلسلة البابور (تابابور) ارتفاعا يقدّر بين 1990و2006م ، جبل تامسقيدة 1620م ثمّ قمّة بوعزّة 1600م.... »[1].

وكما سبق الذكر فإنّ الجبال تأخذ حصة الأسد من ولاية جيجل، فالهضاب قليلة جدا؛ لأنّ سفوح الجبال الجنوبية تابعة لولاية سطيـف وسفـوح الجبال الشمالية «هضابها قليلة؛ لأنّ جبالها منحدرة، تبدأ في الارتفاع من مياه البحر ما عدا الجبال المحيطة بسهل جيجل، فتوجد في سفوحها هضاب ضيقة محيطة بسهل جيجل»[2].

والقول نفسه عن السهول، فهي محدودة، تتمركز بجانب الأودية، ومحاذية للبحر المتوسط. ومن سهول جيجل المعروفة: سهول بلديات الأمير عبد القادر، الطاهير والشقفة.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره فإنّ جيجل تجري فيها عدة أودية، تتميز بالقصر باستثناء واديا جنجن وبويطان، إذ يصبان في البحر من الجهة الشرقية للمدينة، مع مجموعة أخرى من الوديان كوادي زهور ووادي الرمال.

أما الأودية التي تصب في البحر من الجهة الغربية فكثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: وادي زيامة المنصورية، وادي كسير ووادي تازا.

ج- المناخ:

مناخ جيجل هو مناخ البحر الأبيض المتوسط، يتميز بشتاء ممطر معتدل البرودة، وصيف حار وجاف. وتختلف مناطق جيجل عن بعضها البعض في درجات البرودة والحرارة وكميات نزول الأمطار، فقد تنزل كميات معتبرة من الثلوج في المناطق الجبلية دون أن تسقط في المناطق الساحلية.

وبالرغم من الأمطار والثلوج والرياح الباردة، فإن درجة البرودة في جيجل لا تقل أبدا عن الصفر.

---

[1] علي خلاّصي: جيجل تاريخ وحضارة، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1،2011 ، ص 18.

[2] علي خنوف: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ص 08.

أما درجة الحرارة في فصل الصيف، فهي الأخرى تختلف من مكان لآخر، فالأماكن القريبة من البحر يكون جوها ألطف من البعيدة عنه.

إنّ تناول جغرافية المنطقة ليس ضربا من حشو الكلام، بل إنّ إدراجها شرط موضوعي اقتضته طبيعة الدراسة؛ لأنّ البيئة لا تؤثر في ألوان الأجسام وأحجامها فحسب، بل تؤثر كذلك في المنطق والذهنيات والرؤى وما ينتج عن ذلك من فكر وفن، لذلك قيل: "إن الأدب ابن بيئته".

فأهل السودان – مثلا– لم يؤثّر مناخهم الحار في أجسامهم فقط، فقد كانت حرارة الشمس في أرواحهم تعادل الحرارة الخارجية الموجودة في أبدانهم. ونتج عن هذه الحرارة المزدوجة الفرح والسرور ثم الخفة والطيش وكثرة الطرب والحمق والرقص لكل توقيع حسبما يذهب إليه "ابن خلدون" في تعليله وتحليله لمزاجهم.[1]

وها هو يعطي مثالا آخر عن تأثير الحرارة في بعث الفرح بقوله: « وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات إذا تنفسوا في هوائها واتصلت حرارة الهواء في أرواحهم فتسخّنت لذلك، حدث لهم فرح، وربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور»[2].

وإقليم جيجل هو إقليم متوسطي، تتباين فيه الفصول الأربعة، ومظاهره الجغرافية متنوعة بين جبال ووديان وخضرة وبحر وأمواج... إلخ، بلا شكّ قد أثّرت في نفسية أهله، وما ينتج عن تلك النفسية من ضروب التأثر وطرائق التعبير وأغراضه، فكانت الطبيعة مصدر التصورات وقاموس التداول اللغوي الذي تنتقى منه الكلمات والعبارات.

---

[1] ينظر، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص 71، 72.

[2] المرجع نفسه، ص 71.

3- التاريخ:

مرّت منطقة جيجل بجميع المراحل التاريخية الكبرى التي مرّت بها الجزائر، والتي تنحصر في مرحلتين هامتين هما:

أ- مرحلة عصر ما قبل التاريخ.

ب- مرحلة العصور التاريخية.

أ- مرحلة عصر ما قبل التاريخ:

إنّ الآثار والبقايا التي تركها الإنسان البدائي هي المخبر الوحيد عن زمن ما قبل التاريخ، ورغم وجود العديد من الآثار في المغارات والكهوف والبراري، إلاّ أن هذه الحقبة التاريخية تبقى غامضة، يشوبها لبس كثير لقلة المصادر المكتوبة عنها. ومن المواقع التي تدل على هذه الفترة الضاربة في القدم في منطقة جيجل موقعا "تازا" و"هضبة بني قايد".

أ/1- موقع تازا:

تقع "تازا" على بعد 32 كلم غرب مدينة جيجل، وعلى بعد 7 كلم عن مدينة الزيامة المنصورية و1 كلم عن وادي تازا، و25 كلم على الجهة اليسرى من الطريق الرابط بين جيجل وبجاية.

موقع "تازا" هو عبارة عن أربعة مغارات منفصلة عن بعضها، ومطلة بفتحاتها على البحر الأبيض المتوسط، وأشهر هذه المغارات هي مغارة "تازا الأولى" «التي تمت الإشارة إليها سنة 1920 من طرف Erhman أثناء حملة استكشافية للمنطقة الشرقية لغرض رسم الخريطة الجيولوجية».[1]

وفي سنة 1926م، قام باحث فرنسي يدعى "أرام بورغ" (Aram bourg) بالتنقيب مرة أخرى في نفس المغارة، فعثر على عينات لصناعات حجرية ومجموعة من العظام الحيوانية، كما أطلق على المغارة اسم "لا مادلين" (la madeleine) نسبة إلى مغارة لا مادلين الفرنسية وذلك لما لاحظه من تشابه في الأدوات الحجرية الموجودة فيهما.

---

[1] جمال يطغان: بعض مواقع ما قبل التاريخ لفترة العصر الحجري القديم المتأخر لولاية جيجل، أضواء على الآثار والتراث الثقافي لولاية جيجل، المهرجان الثقافي المحلي للفنون والثقافات الشعبية لولاية جيجل (وزارة الثقافة)، جيجل، 2008، ص 11.

لكن هذا الاسم الأجنبي لم يدم طويلا، فقد غُيّر اسم المغارة إلى "تازا" نسبة إلى القرية الموجودة فيها.[1]

واستمرت عملية البحث والتنقيب والدراسة في المغارات الأربعة من طرف مجموعة من الباحثين الجزائريين من سنة 1987م إلى غاية 1990م، وكانت محاولة جدية منظمة، انتهت بتقديم الباحثين قائمة عريضة من البقايا الأثرية الموجودة فيها والمقدرة بـ 325 أداة حجرية كالمكاشط والمسننات، 46 قطعة فخار و329 بقايا عظام بشرية.[2]

ورغم الحفريات التي قام بها الباحثون، والنتائج التي توصلوا إليها عن العصر البدائي في مغارات "تازا" بجيجل إلا أن مجال البحث فيها مازال خصبا، فهي كنوز دفينة تحتاج إلى بحث وتنقيب أكثر .

أ/2- موقع هضبة بني قايد:

تقع "هضبة بني قايد" على بعد 4 كلم غرب مدينة جيجل، وهي عبارة عن مدرجات مرتفعة عن شاطئ البحر من خمسة (05) إلى عشرة (10) أمتار.

ويرجع أوّل اكتشاف لهذا الموقع الأثري الموجود في الهواء الطلق إلى عام 1954م من طرف باحثَيْن فرنسيَيْن، حيث «لاحظا من خلال اكتشافها على الشريط الداخلي الغربي لمدينة جيجل تواجد صناعة حجرية لفترة ما قبل التاريخ على طول التضاريس الحادة للشاطئ، يضم مجموعة حجرية متتالية زمنيا، تمتد من العصر الحجري القديم الأسفل إلى العصر الحجري القديم المتأخر»[3].

وفي سنة 1964م، قام باحث آخر بمواصلة عملية البحث والتنقيب تحت رعاية مركز البحث في الأنثروبولوجيا ما قبل التاريخ والإثنوغرافيا، واستطاع أن يلتقط العديد من الصناعات الحجرية الموجودة في الهضبة وبعد دراستها كانت نتائجها كما يلي:

- تنوع لون المادة الأولية، يبين الاختيار القصدي لها.

---

[1] ينظر، علي خنوف: تاريخ جيجل قديما وحديثا، ص 47.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 48.

[3] جمال يطغان: بعض مواقع ما قبل التاريخ لفترة العصر الحجري القديم المتأخر لولاية جيجل، أضواء على الآثار والتراث الثقافي لولاية جيجل، ص 12.

- مهارة الإنسان في التشذيب (الصناعة)، والملاحظ من خلال إتقانه لبعض التقنيات على مواد أولية صعبة التقصيب كالكوارتزيت باستخراجه لأسندة نصالية ونصلية. [1]

ب- مرحلة العصور التاريخية:

ب/1- العهد الفينيقي: (880 ق.م – 146 ق. م)

لقد كان من أسباب دخول الفينيقيين إلى الشمال الإفريقي هو البحث عن مرافئ وأسواق تجارية لترويج منتجاتهم، خصوصا وأنهم معروفون بضخامة أساطيلهم البحرية، حيث أسّسوا قرطاجنة بتونس عام 814 ق.م، وتوسعوا أكثر نحو الغرب و« أسّسوا على سواحل القطر الجزائري مدنا كانت تدعى المراكز التجارية، ومنها عنابة وبجاية وجيجل وتنس وغيرها، وأصبحت هذه المدن بعد قليل أسواقا وطنية تؤمّها جموع الأمازيغ من كل جهات البلاد للتبادل التجاري وللتّعلم والاطلاع على أنباء الدنيا» [2].

فجيجل إذن من أهم المحطات التجارية التي اختارها الفينيقيون لترويج بضائعهم خصوصا صناعات الخزف والفخار والزجاج والأسلحة.

وأثناء تواجد الفينيقيين بالشمال الإفريقي تمركزوا في السواحل خصوصا الشرقية منها، ولم يتوغلوا إلى الداخل، حيث تمركزوا بجيجل في المدينة وضواحيها أمام المرافئ التجارية ولم ينفذوا إلى المناطق الداخلية لثلاثة أسباب رئيسية هي:

1- وجود سلسلة جبال الأطلس التلي، وهي صعبة المسالك.

2- طبيعة الفينيقيين البحرية حتّمت عليهم التعامل مع سكان السواحل الذين ينزلون إليهم أثناء خوضهم غمار البحر بحثا عن المعادن الثمينة. [3]

3- علاقتهم الطيبة مع السكان المحليين جعلتهم يحصلون على ما يريدون من الداخل عن طريقهم.

ومن الآثار الدالة على تواجد الفينيقيين بجيجل، تلك القبور المحفورة في الصخر بمنطقة الرابطة الموجودة بالشاطئ الغربي لمدينة جيجل، وتعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، لذلك صنفت ضمن المعالم الأثرية الجزائرية، لكنه ولسوء الحظ اندثر العديد منها عبر الزمن.

---

[1] جمال يطغان: بعض مواقع ما قبل التاريخ لفترة العصر الحجري القديم المتأخر لولاية جيجل، أضواء على الآثار والتراث الثقافي لولاية جيجل، ص 12.

[2] أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، دت، دط، ص 45.

[3] ينظر، محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج 2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 2011، ص100.

وتنسب هذه القبور إلى العهد البوني وهو آخر عهود الفينيقيين بالشمال الإفريقي، ويوجد بداخلها إضافة إلى جثث الموتى « عدة هدايا جنائزية تدل على مدى قوة وانتشار الطقوس الجنائزية التي مارسها الفينيقيون شرقي المتوسط وغربه»[1].

ويفسر وجود هذه الهدايا قرب الميت في القبر على إيمان الفينيقيين بوجود حياة أخرى ينتقل إليها الإنسان بعد وفاته. ومن الأدوات الموجودة هناك: الفخار بجميع أشكاله والزجاجيات والمجوهرات بمختلف المعادن.[2]

وبالرغم من أن دخول الفينيقيين كان لغايات تجارية، إلاّ أنّه كان لهم الفضل الكبير في الثقافة والحضارة والعمران، فتواجدهم بالمنطقة إذن لم يكن سلبيا على الإطلاق؛ لأنهم « لم يكونوا مستعمرين ولا فاتحين، إنما كانوا رواد مدينة ودعاة تبادل ثقافي واقتصادي، على بساط السلم والمعاملة الحسنة»[3]. فكان وجودهم متنفسا للسكّان الأصليين كي يتفتّحوا على ما حولهم، ويخرجوا من عزلتهم.

ب/2- العهد الروماني: (146 ق.م – 430م)

إنّ تاريخ دخول الرومان منطقة جيجل غير معروف، لكنّه يمكن أن يكون « في عهد الإمبراطور أوكتافيون أوغسطس الذي حكم روما في الفترة ما بين (52-30ق.م) حيث أمر هذا الإمبراطور بأن تكون جيجل مستوطنة لتوطين الجنود المسرحين» [4].

لقد تمكّن الرومان من التوغّل تقريبا في جميع مناطق جيجل، وهذا ما تؤكده الآثار الموجودة بـ : سدات، أولاد عسكر، بلهادف، السطارة، جيملة، بوعزّة، أعالي جبال الميلية، جبال بني عافر ... إلخ. لكـن هذا لم يمنع سكان جيجل من الحفاظ على هويتهم، فجبال البابور مثلا « لم يتخل سكانها لا عن عاداتهم ولا [عن] لهجاتهم ولا [عن] طقوسهم، ولم يتأثروا لا بدين روما ولا بحضارتها» [5]، كما أنّهم لم يتقبّلوا يوما الحصار المفروض عليهم لذلك قاموا بعدّة ثورات، قذفوا من خلالها الرعب والهلع في قلوب

---

[1] محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج2 ، ص 239.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص 246 – 255.

[3] أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، ص 45.

[4] علي خنوف: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ص 50.

[5] عمار عمورة و نبيل دادوة: الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى 1962 – الجزائر عامة –، ج 1، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، دط، دت، ص41.

الرومانيين، مما دفع بجيشهم إلى الانتشار وحراسة المدن القاطنين بها حراسة مشدّدة. وتعتبر جيجل أيضا من المناطق التي شملتها ثورة " تاكفاريناس" ضد الرومان.

إنّ مدّة تواجد الرومان بـجيجل كانت طويلة جدا، لكن الآثار الـمتبقية عنهم لا تعكس تلك المـدّة، فلا نجد آثارا شامخة كما هي في بعض ولايات الجزائر، كآثار جميلة بسطيف وتمقاد بباتنة، فربما كانت موجودة ومحاها الزمن، وربما لم تكن لجيجل أهمية لدى الرومان « مع أن أوغيست قد رفعها إلى مصاف المستعمرة الرومانية، لأنّها كانت السوق المركزية للعشائر الصغيرة المتناثرة داخل أراضي موريتانيا السطيفية»[1].

ومن هذه الآثار المتبقية: الفسيفساء المتواجدة بقرية الطوالبية، بقايا حائط المرسى الغربي للمدينة مجموعة من بقايا الطرق التي تربط الولاية بما جاورها من المناطق، كموقع صيدا ببلدية بن ياجيس الذي يربط جيجل بسطيف، موقع شوبا بزيامة المنصورية وهو عبارة عن بقايا حجارة قديمة، موقع مدينة تيليل المندثرة بالسطّارة... إلخ.[2]

ب/3- العهد الوندالي: (431-534م).

إن بوادر الحملة الاستعمارية الوندالية كانت قبل 431م، فقد بدأت مع القائد جنسريق عام 428م لمّا أتى إلى الشمال الإفريقي مستغلاّ الفوضى والاضطراب الموجود في المستعمرات الرومانية، وقد وقع في هذه الفترة «حدث واحد يتعلق بمدرسة جيجلي، ألا وهو اجتماع المجمع الديني لقرطاج، من قبل الملك هنريك ابن وخليفة جنسريق، حتى يجد هذا الأمير مبررا أكثر موافقة ليتخذ عقابا قاسيا ضد الكاثوليك جميعهم مع الأريوسين، وفي سنة 484م حفظ لنا التاريخ اسم السقف إيجيجيلي الذي حضر هذا المجمع وقد كان يدعى دوميتيانوس» [3].

إنّ جيجل إذن، كانت معروفة عند الوندال منذ أن وطأوا تراب الشمال الإفريقي، لذلك وضعوها نصب أعينهم، حتى استطاعوا أخذها من الرومان، فتمركزوا في المناطق الساحلية دون التوغّل إلى باقي المناطق؛ لأنّ جيجل اعتُمدت كسابق عهدها ميناء تجاريا يخدم مصالح الوندال.

---

[1] شارل فيرو: تاريخ جيجلي، ص 75.

[2] ينظر، علي خلاصي: جيجل تاريخ وحضارة، ص 95-113.

[3] شارل فيرو: تاريخ جيجلي، ص 79.

لا يوجد أيّ أثر شاهد على تواجد هؤلاء بجيجل، والقول نفسه على جميع الجزائر، باستثناء بعض القطع النقدية المنقوشة فيها أسماء ملوكهم، وتواجدهم بالمنطقة كان للتدمير لا للتعمير، فقد قضوا على الازدهار والنظام الذي كان سائدا من قبل و « لم يظفر التاريخ في دراسة هذا العصر بما يسمى علما أو أدبا أو فنا أو ثقافة ولغة كذلك ولا أثرا معماريا (...) وكل ما اشتهرت به هذه الدولة، إنما هو تخريب وتحطيم وانحلال في الأخلاق» [1].

فهم عاثوا في الأرض فسادا، وكل مواصفات الباحثين والمؤرّخين عنهم كانت شنيعة، لما عرف عنهم من سلب ونهب وتعذيب.

ب/4- العهد البيزنطي: (534-647م).

دخلت الحملة البيزنطية الشمال الإفريقي يوم 22 جوان 533م، وهناك احتدمت الحرب بينهم وبين الوندال، فأدّت إلى انكسار هذا الأخير يوم 13 سبتمبر من نفس السنة، وانتشرت عملية التطهير إلى غاية 534م، وأوّل مكان احتلّوه هو تونس « ولما رسخت قدمهم بها تقدموا في الفتح غربا ففتحوا هبونة: عنابة وسيرتا (...) وبلغوا إلى قيصرية شرشال وقرطنة: تنس وجيجل وما اتصل بهذه البلاد من السواحل الجزائرية» [2].

لقد كانت جيجل في هذا العهد أيضا إحدى المرافئ التجارية التي تخدم مصالح المستعمر لا مصالح الشعب، وكانت سياسة البيزنطيين في بداية أمرهم لينة، من أجل كسب الأهالي، لكن هذا اللين سرعان ما انقشع لتحل محله الغلظة والغطرسة، حيث « أجمع المؤرخون على أن سياسة البيزنطيين بأفريقيا، كانت سياسة شنعاء خرقاء...! فهي لا تبعد كثيرا عن سياسة الفندال، إن لم تكن من متمماتها» [3].

ولم يكتفوا بالسياسة فقط، بل عملوا على تخريب جميع ميادين الحياة، وفرضوا على الشعب البربري اعتناق المذهب الكاثوليكي، وهذا ما أدى إلى حدوث ثورات بربرية رافضة لأوامرهم.

ورغم المدة التي قضاها هؤلاء في جيجل باحتلالهم المناطق الساحلية لها، إلاّ أنّه لا يوجد أيّ أثر مادي يعكس تواجدهم فيها، أما عن الآثار اللغوية والثقافية فالقول نفسه، فلا وجود لها بتاتا، فهم لم يقدموا أيّ إنجاز يشهد لهم التاريخ به.

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج 1، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، دط، 2010، ص 144.

[2] المرجع نفسه ، ص 150.

[3] المرجع نفسه ، ص 151.

وهكذا ظل البيزنطيون على حالهم متغطرسين مفسدين أهل فوضى، والشعب البربري يدفع ثمن ذلك، إلى أن جاء نور الإسلام، وقضى على ظلمهم وشرورهم عام 647 م. بقيادة والي مصر "عبد الله بن أبي سرح" الذي تمكّن من قتل الملك جرجير، زعيم البيزنطيين.

ب/5- العهد الإسلامي:

سطع نور الهدي الربّاني في جميع ربوع المغرب العربي، بدءا من سنة 22 للهجرة (642 م)، فأعطاه الكيان والهوية ، انطلاقا من حجج وبراهين مقنعة لا غبار عليها، لكنه ولحد الآن لا أحد يعرف متى دخل الفاتحون جيجل، لأنّ هؤلاء القادة عند مجيئهم إلى أرض الجزائر ركّزوا على قبائل البتر* «كقبيلة زناتة وبرغوطة ونفوسة ولواتة...إلخ وأكثرهم من أهل الجنوب، وذلك لشدّة الشبه بين هؤلاء القبائل الجنوبية والجاليات العربية سواء في الحياة البسيطة أو في ميولاتهم واتجاهاتهم السياسية»[1].

وتقع هذه القبائل في الإقليم الفاصل بين الصحراء والتلال، كخنشلة وتبسة. فالسواحل الجزائرية في بداية الفتح كانت بعيدة عن الأحداث، على عكس سواحل تونس والمغرب، فقد شهدت الفتح من بداية أمره كطبرقة (بتونس) وطنجة (بالمغرب).

ويذكر لنا "ابن الأثير" في "الكامل في التاريخ" ما أحرزه "حسان بن النعمان" من انتصارات على البيزنطيين في تونس، حيث لحقهم إلى غاية عنابة فقط ولم يواصل الفتح باتّجاه سكيكدة وجيجل وما والاهما من المناطق الساحلية، يقول:

«ولم يترك حسان موضعا من بلادهم إلا وطئه، وخاف إفريقية خوفا شديدا، ولجأ المنهزمون من الروم إلى مدينة باجة، فتحصّنوا بها وتحصّن البربر بمدينة بونة، فعاد حسان إلى القيروان» [2].

لم يستغل "حسان بن النعمان" فرصة الانتصار على البيزنطيين في مواصلة الفتح نحو بقية السواحل الجزائرية، بل عاد هو وجنوده فرحين بالنصر الذي حقّقوه، وليتأهبوا لمجابهة الكاهنة في الأوراس.

---

* قسّم "ابن خلدون" البربر إلى قسمين، البتر: وهم أبناء مادغيس الأبتر بن بر بن مازيغ، والبرنس: وهم أبناء برنس بن مازيغ، فأما قبائل البتر فتعيش حياة البداوة والريف، وأما قبائل البرنس فهم أهل الحضر والتمدن.

[1] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج 1، ص 194.

[2] عز الدين بن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، تحقيق: يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص 135.

وفي زمن الصراعات المذهبية، ذُكرت جيجل في أمهات الكتب كملجأ لكل فار من هذه الصراعات فقد أتى إليها كلا من "المخارق بن عفار" و "عمر بن عثمان" هروبا من الخارجي "أبو حاتم" وفيهما يقـــول "ابن خلدون":

«فرجع إليهما أبو حاتم، ففرا من القيروان ولحقا بجيجل من سواحل كتامة فتركهما، و استخلف على القيروان عبد العزيز بن السبع المعافري»[1].

أما في عهد **الدولة الفاطمية** (909 – 972م) فقد استطاع "أبو عبد الله الصنعاني" أن يؤثـر في الكتاميين أثناء آدائهم لفريضة الحج، واستطاع بدهائه أن يأتي معهم إلى الشمال الإفريقي، دون أن يمرّ بالقيروان التي كانت آنذاك عاصمة للدولة الأغلبية، واستقرّ في فرجيوة، ومنها بدأ يبسط نفوذه الشيعي في جميع بطون كتامة، من «أرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل أوراس من ناحية القبلة، وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم، وبين ديارهم ومجالات تقلبهم مثل إيكجان وسطيف (...) والقل وجيجل، ومن حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة»[2].

لقد أدّت جيجل دورا هاما وكبيرا في احتضان الدعوة الشيعية، خصوصا قبيلة جيملة التي تلقّفت هذه الدعوة بدءا من مكّة؛ لأنّ «وفد حجاج كتامة – في مكة – كان من بينه رجال من هذه القبيلة، ومن بني سكتان – أهم فروعها – لقي الداعي الشيعي والحركة الشيعية التأييد والحماية»[3]. فتمكّنوا من كسب قلوبهم وقلوب جميع قبائل كتامة، فتحسّست ملوك بنو الأغلب من "أبي عبد الله الصنعاني" بإرسال رسول إليه، فأخبرهم الرسول بأنه رجل دين وعبادة، فهدأ بالهم واطمأنّوا. لكنّهم عندما عرفوا المقصود الحقيقي لهـذا الرجـل الشيعي «اعصوصبوا حـوله، وتفرّقت قبائل كتامة من أجله، وأراد بعضهم قتله، فضمّـه الحسن بن هارون منهم إليه وسار به إلى تازرورت، ومن هناك بدأ الثورة وحارب القبائل المنشقّة عنه»[4].

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، ج 4، تحقيق: خليل شحاثة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 2000، ص 247.

[2] المرجع نفسه، ج 6، ص 195.

[3] موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس عشر (11 م)، ج 1، دار الأمل، الجزائر، ط2، 2007، ص 242 ، 243.

[4] رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 2، 2000، ص 112.

وبعد أن قضى على الأغالبة، اشتدّ عوده أكثر، ورفع الستار عن نيّته الحقيقية، و سمّى نفسه "المهدي أمير المؤمنين"، وحارب المالكية، وطغى وتجبر، وفرض على الناس ضرائب مثقلة.

وكانت الجزائر في هذا العهد مقسمة إلى أربعة ولايات: المسيلة، باغاية، أشير، وتيهرت، وكل ولاية تضم مجموعة من المواطن، وكانت جيجل ضمن ولاية باغاية.[1]

وأما في عهد **الدولة الحمادية** (1014 – 1152م) فقد اتخذ "حمّاد بن بلكين" القلعة بالمسيلة مقرّا له وعندما تولّى الحكم "الناصر بن علناس" نقل مقر عاصمة الدولة إلى بجاية، خوفا من سقوط هذه الدولة في يـد بني هلال، لتصبح جيجل أشد قربا من العاصمة.

بيد أن هذا الجوار القريب لا نجد فيه نصوصا تتحدث عنه، فكان ما ذكر عن جيجل في المؤلفات القديمة والحديثة متعلقا بالمدينة وضواحيها، أما الجبال فلا شيء يذكر عنها، فهي مجهولة لحدّ الساعة. وبما أن المنطقة مطلّة على البحر، فقد أقيم فيها مرفأ تجاري نشط، واستطاع الحماديون «تكوين أسطول يحمي شاطئهم الطويل ومدنهم الساحلية المتعدّدة، وكانت هذه المدن بمرافئها (...) تمثّل حماية جيدة للأسطول»[2].

وكانت الزراعة مزدهرة فيها، حيث ذكر عنها "الإدريسي" في "نزهة المشتاق" بأنها «مدينة حسنة وبها الألبان والسمن والعسل والزروع الكثيرة، وبها الحوت الكثير العدد المتناهي في الطيب والقدر»[3].

إنّ المنتوجات المذكورة في نص الإدريسي خير دليل على مدى تطور القطاع الفلاحي في ذلك الوقت، أما ذكره للحوت الطيب فدلالة أخرى على اهتمامات الدولة الحمادية بقطاع الصيد البحري كذلك.

ومما ذُكر أيضا عن جيجل في زمن الحمّاديين، الهجوم النورماندي عليـها فـي عـام 537 هـ والـموافـق لـ 1116م، حيث «طرقوا جيجل إلى سواحل بجاية، وهرب أهلها إلى الجبل ودخلوها وخرّبوا القصر الذي بناه يحي بن العزيز بن حماد ويسمّى النزهة»[4].

---

[1] ينظر، رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ص 112.

[2] عبد الحليم عويس: دولة بني حماد – صفحة رائعة من التاريخ الجزائري –، دار الصحوة، القاهرة، مصر، ط2، 1991،ص207.

[3] الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 268.

[4] عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، ج5، ص 232.

ولم يكتفوا بهذا القدر، بل نهبوا الأموال، وحرقـوا الديار، وسفكـوا الدماء، ثم ارتحلوا وتركـوا جيجل في حال يرثى لها بعدما كانت في تطور وازدهار.

وعندما تراجع نطاق الدولة الحماديـة جاءت **الدولـة الموحّدية** (1152 – 1236م) بقيـادة "عبد المؤمن بن علي"، الذي اتخذ مراكش بالمغرب الأقصى عاصمة للدولة الموحّدية. اغتنم هذا القائد فرصة احتلال الإفرنج لجيجل فضمّها إلى مملكته بعدما كانت تابعة للحمّاديين، وأصبح يدير شؤونها الوالي الموحدي المقيم في بجاية.[1]

لقد كانت الكتب شحيحة في حديثها عن جيجل في هذه الفترة، وكل ما ذكر عنها: هو أنها كانت ميناء ومرفأ تجاريا، وأنها كانت في أمن ورخاء؛ لأن الحكومة الموحدية «كانت حافظة لممالكها، حامية لثغورها، تعاهد من سالمها وتحارب من حاربها، لا تنقض عهدا ولا تخلف وعدا»[2].

وتأتي **الدولة الحفصية** (1152- 1236م) ، وهي آخر فترة للعهد الإسلامي بالمنطقة، تحت حكم "أبي زكريا يحي بن حفص"، الذي انفصل عن الدولة الموحّدية بعد أن خلعه السلطان، فتوجه إلى تونس وجعلها مقرا له واستطاع أن يكسب الناس من خلال حنكته السياسية.

بدأ "أبو زكريا الحفصي" يزحف باتجاه الجزائر فاستحدث ملكا في قسنطينة وبجاية، وكانت جيجل آنذاك تابعـة لهذه الأخيرة، يمارس فيها النشـاط التجـاري بين الحفصيين ودول أوروبـا، حيث وُجد فيها في ذلك الوقت العديد من مخازن السلع، التابعة لتجار جنوة وبيزة وأرغون وفرنسا.[3]

غير أن العلاقات التجارية مع المسيحيين كانت نهايتها احتلال الجنويين للمنطقة عام 1260م وبذلك زال عهد الحفصيين في جيجل.

ب/ 6- العهد الجنوي:

ينتمي الجنويون إلى جنوة بجنوب إيطاليا، احتلّوا جيجل عام 1260م، واستقرّوا فيها زمنا طويلا.

---

[1] ينظر، عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 40، وعلي خنوف: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ص 61.

[2] مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 308.

[3] ينظر، مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج3، دار الحكمة، الجزائر، دط،2007، ص 37.

وخلال القرون الثلاثة التي قضاها الجنويون في جيجل، جعلوا فيها الحياة شبيهة بما هي في إيطاليا فأنشأوا الدكاكين والحوانيت طبقا لما هي عليه في بيزا والبندقية، واستطاعوا أن يؤثّروا على سكان جيجل فنشروا المسيحية بينهم، وقد غرق العديد منهم في وحلها، وأثّروا عليهم في المستويين اللغوي والحرفي.

كما كانت جيجل آنذاك سوقا للعبيد، والأهمّ من ذلك كله، هو اتخاذ المدينة مرفأ تجاريا، نظرا لموقعها الاستراتيجي المطل على البحر، والذي لا يبعد كثيرا عن إيطاليا.

هذا عن المدينة، أما عن القبائل والمناطق الخارجة عنها فلا أحد يعرف لحد الآن إن كان تغلغل هؤلاء إليهم أم لا[1].

ب/ 7- العهد العثماني:

تعدّ جيجل أوّل باب فتح مصراعيه للأتراك في أرض الجزائر، وأول نواة لقيام الجزائرية الحديثة، فبعد طول مدة من احتلال الجنويين لها، استنجدت بالأخوين التركيين "عروج" و"خير الدين"، فلبّا الأخوان النداء، واستطاعا تحريرها بمساعدة أهلها، وذلك عام 1514م. فاتّخذها "خير الدين" عاصمة له ما بين سنتي (1520 و1525م).

لقد كانت جيجل في فترة حكم الأتراك مسرحا للعديد من الأحداث ومطمعا للدول الأوروبية، ففي عهد "رضوان باشا" حاولت فرنسا تحطيم مرساها لكنها أخفقت أمام قوة الحربية الجزائرية آنذاك.[2]

وفي أوت 1610م تحالفت بعض الدول الأوروبية على الدولة العثمانية جرّاء عمليات القرصنة التي تقوم بها في حوض البحر الأبيض المتوسط، فغزت كلا من إسبانيا وهولندا وانجلترا سواحل تونس، ومن هناك «عرجوا على السواحل الجزائرية فدمروا منها نواحي جيجل وخرّبوها»[3].

وفي السنة الموالية (1611م) استطاع الإسبانيون أن يأخذوا بثأرهم من العثمانيين، فاختاروا مدينة جيجل للغزو بقيادة "دو ستاكروز" (De Stacroz)، وعند خروجهم منها أوقدوا النيران فيها.[4]

---

[1] ينظر، علي خنوف: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ص 65.

[2] ينظر، رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص357.

[3] عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج 3، ص 123.

[4] ينظر، المرجع نفسه، ص 123، وشارل فيرو: تاريخ جيجلي، ص 103.

وفي عهد "شعبان آغا" توجه الأسطول الحربي الفرنسي صوب الجزائر بقيادة "الدوق دو بوفور"، فدخلوا بجاية في 21 جويلية 1664م، وتغلّبوا على المقاومة الشعبية بسهولة، وفي اليوم الموالي دخلوا جيجل، وبعد مقاومة عنيفة من أهلها، تمكن الفرنسيون من فتح الميناء، ولم تخمد المقاومات الشعبية بالمنطقة أبدا، بل ضلّت مستمرّة، لكن سوء التنظيم فيها جعلها لا تفلح في إخراج العدو، إلاّ بعد مجيء مساعدات "شعبان آغا"، الذي «اصطحب مدفعيته القوية، وأخذت جموع المجاهدين في الالتحاق تباعا بجيش الجزائر (...) وفي 25 تشرين الأول –أكتوبر– شرعت المدفعية بتركيز نيرانها الكثيفة ضد الأهداف المعادية» [1].

فتكبّدت فرنسا هزيمة نكراء، قتلى وجرحى وأسرى وخسائر مادية معتبرة، وعادت من حيث أتت تاركة وراءها المدافع والأسلحة والمؤن وكلّ احتياجاتهم.

إنّ سياسة السلاطين العثمانيين لم تكن عادلة مع الشعب، فـ«باسم العقيدة الإسلامية والولاء للسلطان دخل الجزائريون أيضا في الرابطة العثمانية، وكان من المفروض أن يطبق الحكام العثمانيون تعاليم الإسلام في الحكم، ولكنهم في الواقع أساؤوا التصرف»[2]؛ لأنّهم استبدّوا بالحكم، وأعطوا كل الامتيازات والرتب للأتراك وجعلوا من الجزائريين خدما لهم. كل ذلك أدّى إلى انزعاج الجزائريين وتبرّمهم من سوء الأوضاع، فعبّروا عن رفضهم بالثورات الشعبية كـ "ثورة ابن الأحرش"، التي اندلعت في عام 1801م و«بدأت بذورها في الأعراش المحيطة بالمدينة مثل بني قايد وبني أحمد وبني عمران وأولاد بلعفو ثم امتدت شرقا وتمركزت في منطقة وادي زهور النائية جنوب الميلية»[3]، وقد لاقى "ابن الأحرش" الدعم من الناس «لأنّه كان يقوم ولمدّة طويلة بإعالة الفقراء والدفاع عن مصالحهم» [4] ، وازدادوا التفافا حوله لمّا أخبرهم بأنه الإمام المنتظر، وأنّه صاحب كرامات.

هيّأ "ابن الأحرش" جيشه وقاده باتّجاه مدينة جيجل عام 1802م، فدخلوها وسيطروا على حصونها فأدّت هذه الخطوة الناجحة إلى انضمام قبائل أخرى من شتّى نواحي جيجل، ثم انطلقوا نحو قسنطينة

---

[1] بسام العسلي: الجزائر والحملات الصليبية (1547–1591م)،دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2،1986،ص 114، 115.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 140، 141.

[3] علي خنوف: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ص 84.

[4] علي خلاصي: جيجل تاريخ وحضارة، ص216.

للقضاء على "الباي عصمان" وأتباعه، وهم مؤيدين من طرف الشيخ "الزبـوشي الرحـماني" — نسبة إلى الطريقة الرحمانية- و"ابن بغريش" و"مولى الشقفة".

دخل "ابن الأحرش" وجنوده قسنطينة عام 1804م، لكنهم لم يقدروا على اقتحام المدينة لشدة المقاومة الشعبية، لذلك انسحبوا إلى منطقة "وادي زهور"، فأتبعهم "الباي عصمان" وجنوده، وجرت هناك معركة كبيرة بين الطرفين انتهت بموت الباي وسط عرش أولاد عواط المتواجد بين الميلية ووادي زهور.

ب/8- العهد الفرنسي:

دخل الاستعمار الفرنسي جيجل في ماي 1839م، وهو عازم على الانتقام منها، تعويضا لما فقده في معركة 1664 م التي سبق ذكرها.

هذا عن السبب الداخلي، أمّا الخارجي فقد جعلت منه فرنسا الذريعة لاحتلال المدينة، حيث كانت سفينة لهم آتية «من الجزائر بشحنة من القمح لحساب الإدارة*، وقد ارتطمت بالشاطئ على مستوى وادي جنجن على مسافة قليلة من جيجل، وقد أغارت القبائل القاطنة بجوار الحادث على المنكوبين البالغ عددهم تسعة وأسرتهم بعد جرحهم، ورفضت الإفراج عنهم إن لم تعط فدية»[1]، فتدخّل الأخوان "بوربون" مع المرابط "مولى الشقفة"، بدعوة من القائد الفرنسي "ڤالبوا" (Galboa) لإطلاق سراح الأسرى، فكان له ذلك، بعد أخذ الفدية التي خفّضت نسبيا إلى 4500 فرنك بعدما كانت 6000 فرنك.

احتلت القوات العسكرية البحرية الفرنسية مدينة جيجل بقيادة "دي سال" (De Salles) والضـابط "سانت أرنـو" (Saint arnaud)، وكان سكانها في غفلة عن ذلك، لذلك فضلوا الفرار ولم يبق فيها إلا العجزة.

استقر الفرنسيون بالمدينة، وقاموا بتحصين مساكنهم، كما قاموا ببناء برجي "سانت فرديناد" و"ڤالبوا" وقلعة "دوكان" في الجهة المطلّة على المرسى.

وأما القوات البرية بقيادة "ڤالبوا" فلم تجرأ على دخول المنطقة؛ لأن الأهالي قد تهيّأوا لها.

---

* الإدارة هنا هي القوات الفرنسية المحتلة لولايتي سكيكدة وعنابة.

[1] شارل فيرو: تاريخ جيجلي، ص 180.

إنّ احتلال فرنسا للمدينة بسهولة لا يعني بتاتا عدم قدرة الشعب الجيجلي على المواجهة؛ لأن دخول فرنسا كان غدرا، وما إن سمعت الأعراش بهذا النبأ حتى انطلقت في الهجومات المتوالية عليهم فأذاقتهم الأمرين حتى اعترفوا بشهامة هذا الشعب وثباته، وأبرز دليـــل على هـــذا الاعتراف، رسائل الضابـــط "سانت أرنو" إلى أخيه في فرنسا، التي كتبها في الأيام الأولى من احتلالهم للمدينة، ومما قاله في إحدى الرسائل ما يلي:

«آه ! أيها الأخ أية مهنة هي مهنتنا ! (...) كل الأيام أيّها الأخ، كلّ الأيام من غير استثناء خلال خمس أو ست ساعات فهي معارك العمالقة ! إذ أنّنا نواجه على الأقلّ خمسة عشر مائة رجل ومرتين أربع آلاف (...) لقد فقدت يومي 15 و17 * عشرين جوالا، وقد جرح ملازمي ... إنّ هؤلاء القبائل هم الجند الأكثر شجاعة في كل إفريقيا (...) لقد تلقى قائد كتيبتنا المقدم هوران**، صديقي الحميم (...) رصاصة اخترقت صدره، لقد بكيته وأبكيه»[1].

فإذا فقدت فرنسا عشرون جوالا، وجرح الملازم، فإنّ جيجل قد فقدت الآلاف من أهلها، ورغم كثرة عدد المجاهدين، إلاّ أنّ العتاد الحربي لم يكن متكافئا مطلقا، ففرنسا تعتمد على المدافع والقنابل والدبّابات وما إلى ذلك من أسلحة حديثة، والمقاومون يعتمدون على أسلحة بسيطة تقليدية.

ولم يكتف الفرنسيون بقتل المقاومين فقط، بل طالت أيديهم حتى الضعفاء الذين يقطنون داخل المدينة وخارجها، فانتقموا منهم شرّ الانتقام، خصوصا في فترة قيادة النقيب "بيكولو" (Piccolo).

كلّ ذلك لم يؤثر على المقاومين، بل استمروا في أعمالهم الهجومية على الثكنات الفرنسية، لكنها سرعان ما تخمد، لسوء التنظيم والتخطيط وقوة الأسلحة الفرنسية. ومن بين هذه المعارك التي خاضها الجيجليون معركـــة 4 فيفري 1841، وتسمى بمعركة " ظهر الجزيرة"؛ لأن المقاومين شنّوا هجوما على الفرنسيين وتحصّنوا بصخرة ظهر الجزيرة***، ومعركة 17 سبتمبر 1841 وكان الهجوم على حصن دوكان وقد باءت بالفشل بسبب عدم تكافؤ القوى؛ وفي مارس 1843 وقعت معركة أخرى قادها رجل أدّى دور

---

* يومي 15 و 17 من شهر ماي الذي احتلوا فيه مدينة جيجل.

** هوران هو قائد فيلق المشاة الفرنسيين.

[1] شارل فيرو: تاريخ جيجلي، ص 185.

*** تقع صخرة ظهر الجزيرة غرب بلدية جيجل الحالية.

"ابن أخ ابن الأحرش" وقد أعدّه لهذا الدور " مولى الشققة"، وانتهت المعركة بانتصار الفرنسيين ونفي "سي الأخضر" مولى الشقفة إلى فرنسا.

أمّا في مارس 1846 فقد انضمّ رجال أعراش جيجل إلى القائد القبائلي "الشريف مولاي" وحاصروا المدينة، لكنهم لم يفلحوا في القضاء على الفرنسيين، ورجعوا بعد شهرين بخطة أخرى؛ حيث نصبوا «كمينا محكما للعمال الأوروبيين الذين يحفرون قناة المياه ما بين وادي كسير والمدينة، بالقرب من المكان المعروف اليوم بأولاد بوالنار»[1].

وأما في 1871م فقد وقعت عدّة معارك تعتبر امتدادا لثورتي "المقراني" و"الشيخ الحداد". إضافة إلى ما سبق ذكره من المعارك، فإن جيجل قد شاركت في انتفاضة 1871 م [2]، حين تمرّد سكانها على قرار التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي لمحاربة بروسيا، فالتحقوا بالجبال، ذلك السد المنيع الذي تهابه فرنسا.

وبعد مقاومات شعبية متفرّقة استمرّت إلى غاية 1908 م، ظهرت محاولات تحرّرية أخرى تنشد الحرية بطريقة سلمية كالسياسة والمظاهرات الشعبية، لكن المستعمر الفرنسي قابلها بعدوانية ، ففي 8 ماي 1945 ارتكب مجازر رهيبة في حق الجزائريين الأبرار، حينئذ أدركت جميع التيارات (استقلالي، اندماجي إصلاحي) بأن القوة وحدها هي الكفيلة بإخراج فرنسا.

وجاءت الثورة التحريرية الكبرى في الفاتح من نوفمبر 1954 م لتشمل جميع أرجاء الوطن، وفق خطة محكمة، فلبّت جيجل النداء من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها «لكن فئات الشعب في الريف والجبال كانت أكثر استعدادا لاحتضان الثورة منذ بدايتها المبكّرة، بحكم مشاعرها الدينية وبحكم ظروفها الاجتماعية السيّئة»[3].

وأمام هذا الحماس الشعبي والإرادة الفولاذية، قامت فرنسا بأعمال وحشية وطبّقت مخططات جهنّمية – كمخططات ديغول –، كما وضعت المراقبة المستمرة، وأتت بجنود سنغاليين و... إلخ، بغية تضليل المواطنين وإبادة الثورة، غير أنّ ما حصل كان عكس ذلك تماما، فتلك الجرائم الفرنسية زادت من تعزيز الثورة.

---

[1] علي خنوف: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، ص 126، 127.

[2] عمار عمورة و نبيل دادوة: الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى 1962 – الجزائر عامة –، ص 291.

[3] بسام العسلي: أيام جزائرية خالدة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 18.

وبعد تضحيات جسام وجهود مكثّفة، استطاع المجاهدون في جيجل من إخراج فرنسا على غرار إخوانهم في الولايات الأخرى، وبقي التاريخ يحفظ لنا أسماءهم وبطولاتهم، حيث سعت الدولة بعد الاستقلال على إطلاق أسماء المجاهدين والشهداء على الأماكن والمرافق العمومية تخليدا لهم.

إنّ الهدف من هذا الاستعراض التاريخي وعن دوره وموقعه في بحث يتحدّث عن الأمثال وما شابه الأمثال هو تكوين خلفية إطارية حول منطقة جيجل، لأنّ «البحث عن التاريخ معناه البحث عن الهوية (...) البحث في التاريخ هو البحث في حركة المجتمع عبر متغيرات الأزمنة والأمكنة»[1].

والتاريخ هو أحداث تعيد نفسها على مرّ الأزمان، فما حدث في الحاضر وما سيحدث في المستقبل كان قد حدث في زمن مضى، والمطّلع على أخبار الماضين يستفيد من مواقفهم وتجاربهم، فيحسن التصرّف مع أحداث عصره، وفي هذا يقول "أحمد شوقي":

«وَاخْدَعِ الأَحْيَاءَ مَا شِئْتَ فَلَنْ تَجِدَ التَارِيخَ فِي المُنْخَدِعِينْ» [2]

كما أنّ الحدث التاريخي وإن بدا لنا أنّنا نسيناه، فهو لا ينسانا، إذ يتسرّب إلى اللاشعور وقد يتسرّب إلى أبعد من ذلك، إلى الموروّثات، فيتحكّم فينا من حيث نشعر أو لا نشعر، في سلوكنا وتعبيرنا وطريقة تفكيرنا.

---

(1) محمد زتيلي: فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1984، ص 144.

(2) أحمد شوقي: الديوان، ج1، تحقيق: إميل أ-كبا ، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 518.

الفصل الأول

تراث جيجل الشعبي

توطئة

المبحث الأول: العادات والتقاليد الشعبية.

1-دورة الحياة.

2-الاحتفالات المرتبطة بدورة العام.

المبحث الثاني: الأدب الشعبي وفنون المحاكاة.

1-الأغنية الشعبية.

2-اللغز الشعبي.

3-الحكاية الشعبية.

المبحث الثالث: المعتقدات والمعارف الشعبية.

1-الطب الشعبي.

2-معتقدات متعلقة بالإنسان.

3-معتقدات متعلقة بالحيوان.

المبحث الرابع: الفنون الشعبية والثقافة المادية.

1-الآلات الموسيقية التقليدية.

2-الرقص الشعبي.

3-الصناعات اليدوية.

توطئة

المبحث الأول: العادات والتقاليد الشعبية.

1-دورة الحياة.

2-الاحتفالات المرتبطة بدورة العام.

المبحث الثاني: الأدب الشعبي وفنون المحاكاة.

1-الأغنية الشعبية.

2-اللغز الشعبي.

3-الحكاية الشعبية.

المبحث الثالث: المعتقدات والمعارف الشعبية.

1-الطب الشعبي.

2-معتقدات متعلقة بالإنسان.

3-معتقدات متعلقة بالحيوان.

المبحث الرابع: الفنون الشعبية والثقافة المادية.

1-الآلات الموسيقية التقليدية.

2-الرقص الشعبي.

3-الصناعات اليدوية.

إذا كانت معرفة جغرافية جيجل وتاريخها مهمّة لدراسة أمثالها الشعبية، فإنّ معرفة تراثها الشعبي من مستلزمات هذا البحث؛ لأنّ المثل الشعبي هو جزء من التراث الشعبي، وحتى نصل إلى الجزء لابدّ من التعريج على الكلّ، وإلقاء نظرة عامة عليه، لنتمكّن فيما بعد من رؤية مدى تأثيره على المثل الشعبي.

1- التعريف اللغوي للتراث الشعبي:

التراث لغة من الفعل "ورث" و «الوِرْثُ والوَرْثُ والإرثُ والتُرَاثُ واحدًا (...) وتَوَارَثْنَاهُ: ورثه بعضنا عن بعض قدما (...) وأَوْرَثَ الميت وَارِثَهُ ماله: أي تركه له (...) التُرَاثُ: ما يخلّفه الرجل لورثته والتاء فيه بدل من الواو [وُرَاثٌ]» [1].

يقول "عمرو بن كلثوم":

«وَرِثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءٍ صِدْقٍ ونُورِثُهَا إِذَا مِتْنَا بَنِينَا »[2].

أمّا الشعب لغة فمعناه «الجمع والتفريق والإصلاح والإفساد (...) والشَعْبُ القبيلة العظيمة (...) والجمع شُعُوبٌ، والشَعْبُ: أبو القبائل الذي ينتسبون إليه، أي يجمعهم ويضمّهم (...) والشَعْبُ ما تَشَعَّبَ من قبائل العرب والعجم وكلّ جيل شَعْبٌ»[3].

هذا في "لسان العرب" أما في "المنجد في اللغة العربية المعاصرة" فجاء فيه: «شَعْبٌ: ج شُعُوبٌ: جماعة من الناس تسكن أراضي محدّدة وتخضع لنظام اجتماعي واحد، وتجمعها عادات وتقاليد وتتكلّم لسانا واحدا، وقيل جماعة كبيرة من الناس تؤلف أمة ...»[4].

من خلال الذي سبق نجد أن التراث لغة يتميّز بالقدم، قد يكون مالا أو أي شيء آخر، وينتقل من الأجداد إلى الآباء والأبناء.

---

[1] جمال الدين بن منظور: لسان العرب، ج 15، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 2008، ص 189، 190.

[2] عمرو بن كلثوم: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 2004، ص 68.

[3] جمال الدين بن منظور: لسان العرب، ج 8، ص 84، 85.

[4] المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 770.

أمّا الشعب لغة فتتمحور فيه عدّة معـاني هي: الجمع والتفريق والإصـلاح والإفساد، القبيلة العظيـــمة، أبو القبائل، الجيل، وجماعة من الناس تخضع لنظام واحد وتتكلّم نفس اللغة وتجمعها نفس الجغرافية وتلتقي حول نفس المصالح.

2- التعريف الاصطلاحي للتراث الشعبي:

إنّ كلّ ما تركه السلف للخلف من عامة الناس، وانتقل عبر الرواية الشفاهية، وحفظ في الذاكرة الجماعية ولم يتعلّم من الكتب هو تراث شعبي، أي أنّه عبارة عن «مجموعة من التجارب الحضارية التي عاشها عامة الشعب وأودعها خلاصة معرفته وحكمته»[1]، فانتقلت عبر الأجيال متعرّضة إمّا للزيادة وإمّا للنقصان بحسب كلّ عصر وما يقتضيه.

ويعرّفه "فاروق خورشيد" بأنّه «مصطلح شامل، نطلقه لنعني به عالما متشابكا من الموروث الحضاري والبقايا السلوكية والقولية التي بقيت عبر التاريخ»[2]، فهو الشاهد الأساسي على الحياة القديمة و«محمل الوسائل التي تسمح للإنسان أن يقدّم نفسه للغير»[3]؛ لأنه بمثابة الهوية والخصوصية لأي مجتمع من المجتمعات.

ويقابل التراث الشعبي المصطلح الغربي **فولكلور** (Folk-Lore)، الذي يعني حكمة أو معرفة الشعب، ومعارف الناس واسعة جدّا تضم الفنون والمعتقدات وجميع أنماط السلوك، القولية كانت أم الفعلية كالعادات والتقاليد والحرف والرقص و...إلخ.

إنّ التراث الشعبي هو مجال واسع لا يختصّ له علم واحد في دراسته، بل تعدّدت العلوم بحسب كل زاوية منه، كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والأدب والتاريخ.

---

(1) طلال حرب: أوّلية النص – نظرات في النقد والقصّة والأسطورة والأدب الشعبي-، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 17.

(2) فاروق خورشيد: الموروث الشعبي، دار الشروق، بيروت، لبنان، دط، 1991، ص 12.

(3) علي خلاّصي: حماية سلّم القيم بحماية الثروة التراثية والموروث الثقافي، مجلّة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية (وزارة الثقافة)، عدد 16 أكتوبر 2007، ص 22.

ونظرا لضخامة محتوياته راح الباحثون يحاولون تقسيم عناصره إلى أبواب لتسهل عملية البحث فيه ومن بين هذه التصنيفات، جعله في قسمين: تراث مادي وتراث شفاهي.

فالأول: هو ما يستخدمه الفرد أو الجماعة في الحياة ويتكوّن من أدوات الزينة البسيطة والأدوات الموسيقية التقليدية وأدوات الطبخ والزراعة وأنماط بناء البيوت والمساجد والحرف اليدوية.

والثاني: هو ما اشتمل على الأدب الشعبي بجميع قوالبه، والفنون الشعبية (الجميلة) كالألحان الموسيقية والفنون الاستعراضية مثل المشاهد المسرحية والمعتقدات والقيم والطقوس، والطبابة والألعاب الشعبية ووسائل الترفيه والفلك والتنجيم وقراءة الطالع* والحظ.[1]

أو جعله في أربعة أقسام، القسم **الأول** منه ويتضمن العادات والتقاليد الشعبية، والقسم **الثاني** يشتمل على الأدب الشعبي وفنون المحاكاة، **والثالث** يضم المعتقدات والمعارف الشعبية، أما القسم **الرابع** والأخير فيضمّ الفنون الشعبية والثقافة المادية.[2]

وسنعتمد – إن شاء الله – على هذا التقسيم في التعريف بتراث جيجل الشعبي.

---

* قراءة الطالع: هي التنبّؤ بقراءة الكّف أو الفنجان أو أي شيء آخر.

[1] ينظر، عزام أبو الحمام المطور: الفولكلور (التراث الشعبي) – الموضوعات، الأساليب، المناهج – ، دار أسامة، عمّان، الأردن، دط، 2007، ص 58- 94.

[2] ينظر، عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية – التاريخ والقضايا والتطبيقات –، منشورات رابطة الأدب الشعبي لاتحاد الطلاب الجزائريين، الجزائر دط، دت، ص 38-40.

المبحث الأول: العادات والتقاليد الشعبية.

العادة الشعبية هي ما اعتاد الناس على القيام به من سلوكات في فترة زمنية طويلة، ذات صبغة جماعية تكتسب عن طريق التكرار فيعتاد عليها، وتصبح شيئا مألوفا، كما تتصف بأربعة مواصفات هي:

أ-الصفة الاجتماعية.

ب-الصفة الوراثية.

ج-الصفة المعيارية.

د-صفة الارتباط بالزمان والمكان.

أما التقليد الشعبي فهو محاكاة جيل من الشعب أساليب الجيل الذي سبقه سواء في المأكل أو في الملبس أو في التصرّفات و السلوكات. والتقليد والعادة شيء واحد؛ لأنّ هذه الأخيرة تتحوّل مع مرور الزمن إلى تقليد.

1- دورة الحياة:

كأي مجتمع من المجتمعات، يقيم المجتمع الجيجلي الكثير من العادات والتقاليد المتوارثة أبًا عن جد في مناسبات عدّة، والحديث عنها جميعا سيأخذ الوقت الكثير لذلك تمّ اختيار المناسبات الثلاثة: الميلاد الختان والزواج كنماذج عن العادات والتقاليد الجيجلية .

أ- الميلاد:

في معظم بيوت جيجل عند ما يرزقون بمولود، يقومون بمجموعة من الطقوس الموروثة، أوّلها وضع قطرة من زيت الزيتون في فم الصغير، إيمانا ببركة هذا الزيت، وحتىّ يتعوّد الطفل على الرضاعة، وتقوم الجدة – غالبا – بذهنه بهذا الزيت من رأسه إلى قدميه، ظنّا منها بأن الزيت يحميه من الحمّى، وفي بعض المناطق من جيجل كتاكسنة، قاوس، والأمير عبد القادر تضاف كميّة من الملح في زيت الزيتون، وبعد تذويبها فيه، يُذهن الصغير، وفائدة الملح في جسم الطفل هي الوقاية من رائحة العرق الكريهة، وأمّا الملح في الوجه، فحتّى يكون المولود في كبره حييّا، محترما لغيره، فإذا ما ذهب ماء وجه شخص ما، أو لم يحترم كبيرا يقال له: "ما ملحوكش كي ازدادت"*.

* أي: لم يقم أهلك بتمليحك عند ولادتك.

وبعد عملية الذهن، يُكسى الصغير بألبسة ناعمة، ثمّ يُلفّ في قماش أبيض مربّع، ثم يُقام بتمرير شريط أبيض من كتفيه إلى قدميه، ويسمى بـ "أعزّاز" *، ويُربط في جانب هذا الأخير شعرة من رأس أم الصغير وقليـــل من الرماد وبعض من حبّات القمح والشعير، إيمانا منهم بأنّها تحمي المولود من الأذى وتستمر عمليـة التقميط – عادة – إلى غاية الشهر الثالث، أين يُأخذ " أعزّاز " ويُعلّق في أغصان شجرة الزيتون إلى أن يبلى، والهدف المتوخّى من هذه العملية هو امتلاك الطفل عظاما قوية وقامة جميلة.

ومن الطقوس التي تقام أيضا حول المولود الجديد، حمله بعد مرور ثلاثة أيام من ولادته إلى خارج البيت مصحوبا ببعض الأكلات التقليدية كالطمّينة و الشرشم، كما يقومون أيضا بوضع سرّة الصغير في الماء، وبعدها يُشربونه ذلك الماء حتى لا يصاب بالنسيان في كبره.

أمّا بالنسبة للأم، فتُقدّم لها أكلة الزرير في وجبة الفطور طيلة مـــدّة نفاسها حتى تستردّ عافيتها، ويقـــوم الأقارب والجيران بزيارتها وتهنئتها بالمولود، وتسمّى هذه الزيارة بـ " التّسَقْيَة "؛ لأنّ هؤلاء الزوار يأتون محمّلين بقفّة تحتوي على لحم وعجائن وفواكه، تُقدّم كهدية للمرأة النفساء، أما هدية الطفل فتكون إمّا لباسا وإمّا مبلغا من المال يطلق عليه اسم "العَيَّاشَة".

وأمّا الوليمة التي تقام على شرف المولود، فقد كانت تقام في اليوم الثالث من ولادته، أما الآن فقليلة العائلات التي ما زالت تحافظ على مكانته، حيث يقوم ميسورو المال بذبح شاة إن كانت بنتا واثنين إن كان ولدا امتثالا بالرسول صلى الله عليه و آله وسلم، وأمّا الناس البسطاء محدودو الدخل فما استطاعوا تقديمه.

ب– الختان:

لا يمرّ ختان الولد في المجتمع الجيجلي مرور الكرام، بل يقام لأجله احتفالا كبيرا، لكنّ هذا الاحتفال يختلف بعض الشيء عمّا كان عليه في الماضي، فقد تخلّى الناس عن الكثير من الطقوس التـــي كانت تـــمارس في هذه المناسبة.

* أعزّاز بتفخيم حرف الزّاي.

يبدأ الاحتفال في الليلة التي تسبق نهار الختان*، حيث يجلس الطفل وسط جمع من أقاربه، لتقوم أمه أو جدته أو إحدى قريباته بتخضيب يديه بالحناء في جوّ تسوده الأغاني والزغاريد، وفي الصباح يوضع جلد الغنم أو البقر أو الماعز على الأرض وتنثر عليه حبات من القمح والشعير، ثم يُطوى الجلد على أربع ليجلس الطفل عليه منتظرا قدوم " المْعَلَّمْ** ".

وأثناء عملية الختان تردّد النسوة أغنية يقلن فيها:

«طَهَّرْ يَا المْعَلّم يَا بوُخِيطْ احْمَرْ لاَ تَبْطَلْ*** وْلِيدِي عَرْجُونْ تْمَرْ

طَهَّرْ يَا المْعَلَّمْ يَا بُوشَاشِيَّة لاَ تَبْطَل وْلِيدِي غْزِيزْ عْلِيَّ

طَهَّرْ يَا المْعَلَّمْ طَهَّرْ بَالجْنْوِي**** لاَ تَبْطَلْ وْلِيدِي نَذْبَحْلَكْ عَجْمِي*****»[1].

وعند الانتهاء من عملية الختان، يحرق روث البقر المسمى عند أهل المنطقة بـ "الوْقِيذْ" ،ويعطى للمعلّم الذي يقوم بنثره على جرح الطفل، أو يقوم بوضع سمن البقر القديم (الذْهَانْ)، بعدها يجلسون الولد في زاوية من زوايا البيت فتزغرد عليه قريباته، ويقوم أعمامه وأخواله والمدعوون بإعطائه أموالا، وهم يتباهون فيمن يعطيه أكثر، ثم يجتمعون على الوليمة التي أقيمت على شرفه، حيث تقدّم لهم أكلات تقليدية هي: الغرايف والكسكس (البَرْبُوشْ).

وفي مساء هذا اليوم (بين العصر والمغرب) تخرج من البيت أم الطفل وعمّاته وخالاته ومن أرادت من المدعوات، وهن يردّدن أهازيج، منها قولهن:

«الصْلاَةْ عْلَى النْبِي مُحَمَّدْ وَالصْلاَةْ عْلِيهْ

الصْلاَةْ الصَالْيَا وَالنْجُومْ العَالْيَا»[2].

---

* عادة ما تختار أيّام الصيف للختان أو يوم المولد النبوي الشريف أو يوم السابع والعشرين من شهر رمضان.

** المعلم: هو الذي يقوم بعملية الختان (كالطبيب حاليا).

*** لاتبطل: لاتجرح.

**** الجنوي: سكّين حاد.

***** عجمي: ثور.

[1] حوار مسجل: عيشة رزيق، 78 سنة، بلدية جيملة، يوم 2013/02/24.

[2] المصدر نفسه.

ماشيات باتجاه آخر نقطة من قطعة أرض والد الطفل وتسمّى بـ "الرْسَمْ"، ليقمن بدفن ما انتزع من المختون، ويضعن معه قطعة من الفضة أو قطعة نقود، ثم يعدن إلى البيت.

ومن العادات التي تقام أيضا في هذه المناسبة إعداد أكلة الشَرْشَمْ (المَسْلُوقْ) التقليدية في اليوم الثالث من ختان الولد، وبعد مرور أسبوع تأتي جدّة الطفل لأمّه لزيارته وهي تحمل معها قفة التسقية كما لو أنّه امرأة نافس.

ج- الزواج:

يعتبر الزواج ميثاق تراض، وترابط شرعي بين الرجل والمرأة، غايته التحصين والعفاف وإنشاء أسرة مستقرة، وهو ظاهرة إنسانية تقام لأجلها الاحتفالات، وكلّ مجتمع له طريقته الخاصة في الاحتفال، فمن عادات منطقة جيجل أن يختار يوم الخميس لإقامة العرس. وقبل هذا اليوم، يذهب صباح الأربعاء رجل من أهل العريس وامرأة يقال لهم "الدَفَّاعَة" ومعهم أربعة راقصات إلى بيت أهل العروس ليقدّموا لهم الكبش والسميد والزّيت. فيقوم الرجال بذبح الكبش وتقوم النساء بإعداد الكسكس من ذلك السميد، ويحضّرون العشاء، فيتعشى المدعوون وكذلك الدفاعة.

بعدها تجتمع النسوة بالعروسة فيغنّين ويرقصن مع راقصات الدفاعة، ثم تقوم إحدى قريبات العروسة بتخضيب يديها مع ترديد أغاني الحناء، ويطلق على هذه السهرة اسم "حنّة الاحباب*"، لأن العروسة مازالت ستخضّب يديها في بيت زوجها.

وفي الصباح الباكر من يوم الخميس يأتي جمع من أهل العريس بحقيبة فيها فستان الجهاز والصداق والحايك والحذاء، فترتدي العروس فستان الجهاز ويسمى بـ"القفطان" وتتزيّن بمهرها المتمثّل في خلخال وأساور من فضّة. ثم تضع وشاحا أصفرا يغطّي وجهها، ثم الحذاء ثم الحايك الذي يلفّ كل جسدها ويستره، وبعدها تخرج من بيت أهلها بزغاريد وأهازيج تردّدها النسوة، كقولهن:

« يَا لاَلِي يَا لاَلِي يَا لاَلِي يَا لاَلِي

سِيـــرْ يَا الحْمَامَة سِير بالسْلاَمَـــة

* الاحباب في لهجة جيجل هم أهل المرأة.

خُـــوكْ صْغِيـــرْ بْقَى فِي النْدَامَة»[1].

فتركب العروسة على ظهر البغل، وتسير إلى بيت زوجها، تاركة فراغا رهيبا في بيت والدها، وتستمر النساء في ترديد الأغاني طيلة الطريق يمدحنها ويثنين عليها، كقولهن:

« أَرِيشَـــة النَّعْنَـــاعْ الرِيـحْ يَـــدِّي* فِيـــهَا

يَا اللِّي طَامَعْ فِي لاَلَّة قُلْ لُه يْوَيَّسْ** عْلِيهَا»[2].

وعنـد وصولهم إلى بيت الزوج، تستقبل النسوة العروسة بأغنية الترحيب، وتقوم أمّ زوجها بإعطائها قمحا وتمرا وبيضة لترميهم من الأمـام إلى الخلف، حتى تجلب الخيـر لبيتـها الجـديد، وتضلّ واقفـة إلى أن يأتي أبو زوجها ويرحّب بها، ثم يقول لها: "الدار ليك" إن كان له ولد، و"النص *** من الدّار ليك" إن كان له ولدان وهكذا...، بعدها تجلس لتأتي حماتها وترفع الوشاح الأصفر عن وجهها ثم تطعمها ملعقة من أكلة الطمينة، حينئذ يحضرون طفلا صغيرا ويجلسونه على ركبتيها لتنجب أوّل أبنائها ذكرا.

أما عن الطعام الذي يقدّم في يوم العرس فهو الكسكس، يقدّم صباحا باللبن أو الرائب، الذي يسهم كل الجيران والأقارب بجمعه من أبقارهم وماعزهم ويقدّم مساء مع اللحم ومرقه.

وبعد الفراغ من مأدبة العشاء، تغنّي النساء وترقصن، ثم تقوم إحداهن بتخضيب يدي العروسة بالحناء مرّة ثانية، ويتوجّه الرجال إلى الفرجة المقامة على شرف العريس، فيرقصون للطبل والغايطة، ويقدّمون هدايا للعريس تكون عبارة عن مبالغ مالية يشهر بها البراح كقوله: "هذي خمسين ألف من عند فلان، كثّر الله خيره"، كما يقوم أحد أقارب العريس بتخضيب أصابع يديه بالحناء، وهو يردّد أغنية الحنّاء.

---

[1] حوار مسجل: يمينة بوخمخم، 70 سنة، بلدية الطاهير، يوم 2013/02/05.

* يدّي: يأخذ.

** يويّس: ييأس.

[2] حوار مسجل: عيشة رزيق، 78 سنة، بلدية جيملة، يوم 2013/02/24.

*** النص: النصف.

وفي صباح يوم الجمعة تأتي مجموعة من قريبات العروسة لتهنئتها، يحملن معهن فطور الصباح فيزغردن ويغنين ويرقصن ثم ينصرفن على أمل العودة في يوم الغد المسمّى بـ"الثالث".

في صباح الثالث، يقدّم للعروسة لوازم أكلة الغرايف التقليدية، لتقوم بعجنها مع بعض قريبات زوجها، كما يقمن أيضا بإعداد أكلة الشرشم. وقبل منتصف النهار تأتي أم العروسة وامرأتين من قريباتها مع محرم لزيارتها يحملون معهم طعام الفتات التقليدي، وبعض حبّات من البيض ومقدار من السميد، فترحّب أم العريس بالنسوة وتستقبلهن استقبالا حسنا، ثم يجتمعن على مأدبة الغداء في جو يسوده التنكيت والضحك، ثم يذهبن.

أما في المساء – بين العصر والمغرب – فيمارس طقس "خروج العين " ، إذ تأخذ قريبات العريس زوجته إلى عين الماء وهنّ يغنّين ويزغردن، ويمشي طفل صغير أمام العروسة يحمل سكينا على رأسه حبّة تمر أو تين. وعند الوصول إلى العين تشرب العروسة الماء وتغسل وجه الطفل، وترمي الماء إلى الخلف، ثم يعطينها فسيلة من شجر الزيتون لتغرسها قرب العين، بعدها يرجعن إلى البيت فتوزّع العروسة هدايا بسيطة على أقارب زوجها.

2- الاحتفالات المرتبطة بدورة العام:

المناسبات المرتبطة بدورة العام كثيرة، فهناك الأعياد الدينية وهناك الوطنية وأيضا الموسمية (أي المرتبطة بمناسبات زراعية) والحديث عنها جميعا سيطول، لذلك تمّ اختيار مناسبتي المولد النبوي الشريف وقدوم فصل الربيع كنموذج عن الاحتفالات السنوية.

أ- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

إنّ يوم 12 ربيع الأول غال على الشعب الجزائري، ففيه ولد الهدى صلّى الله عليه وآله وسلّم لذلك لا تفوت أهل جيجل فرصة الاحتفال به وفق عادات وتقاليد متوارثة، ففي ليلة هذا اليوم المبارك تشعل الشموع وتوضع البخور وتخضّب الأيادي بالحناء فرحا بقدوم خير الأنام – محمّد صلّى الله عليه و آله وسلّم – ، وفي الصباح الباكر تقوم ربّة البيت بإعداد أكلة الفطور بالقمح المطحون والزبدة والعسل

والتي تسمّى بـ"الزرير"، وكما ذُكر آنفا، فإنّ الزرير يقدّم للمرأة النفساء، وبما أن " آمنة بنت وهب " أم الرسول صلى الله عليه و آله وسلّم كانت نافسا في مثل هذا اليوم فإن وجبة الفطور ستكون زريرا.

وأما وجبة الغذاء فهي أكلة "الغرايف"، وهي لا تقدم إلا في الأفراح والمناسبات السعيدة، وأما وجبة العشاء فعادة ما يشترك ربّ البيت مع جيرانه أو جماعة من أقاربه أو مع أصحابه في ذبح بقرة أو شاة، ثم يقومون بتوزيعها بالتساوي، ليأخذ كل واحد حصّته المسمّاة بـ "السّهمة" ليُحضّر بها العشاء.

ومن العادات التي تقام أيضا في هذا اليوم بالمنطقة الإكثار من الصلاة والسلام على النبيّ محمّد والحرص على إقامة الحفلات فيه كحفل الختان.

ب- الاحتفال بفصل الربيع:

عندما تذهب عتمة الشتاء، يأتي فصل الربيع الموافق لرأس السنة الأمازيغية، وكلّه حسن وجمال فيفرح الناس بقدومه، ويقيمون احتفالات لأجله.

وجيجل على غرار جميع المدن الجزائرية تحتفل بقدوم هذا الفصل، بإعداد النسوة أكلة "البراج" التي تقدم مع اللبن وكذلك "طمينة الربيع"، وقد كانت قديما نساء الريف يخرجن إلى المروج الخضراء مع أولادهن للتعبير عن احتفالاتهم بهذه المناسبة، غير أنّها الآن لم تعد موجودة.

ومن العادات التي تقام أيضا في هذا الفصل، عادة "الضحى*"، إذ يقوم أصحاب المواشي بإخراجها في الصباح الباكر للرعي في المساحات الخضراء، وعند وقت الضحى، أي وقت اشتداد حرارة الشمس يرجعونهم إلى أماكنهم وتقوم النساء في ذلك بإعداد أكلات تقليدية هي: الغرايف، الشرشم وعصيدة آقرني وهو نبات له قرنيات كحبات البطاطا.

ومن الطقوس التي تمارس أيضا في عادة "الضحى" اقتلاع الرعاة نبتة العنصل ذات الجذور الزوجية لا الفردية، وإحضارها إلى البيت لتوضع قرب برمة الحليب المسمّاة بـ "الشموخة" أو "المازلة" لمدة سبعة أيام كاملة، وعند انتهاء المدة يعاد غرس النبتة لتحيا من جديد.

---

* في بعض المناطق من جيجل يقال لها "الطحى" (بالطاء)؛ لأنّ الضاد عندهم تقلب طاء، كقولهم في مريض (مريط) وأبيض (ابيط).

كما يُحضرون حشائش كثيرة يطلقون عليها اسم "حشايش الضحى" وهي: تَزُّودَلْ، السَكُّومْ أَسَاطَر، اللَّحْلاَحْ و ... إلخ، لتقوم ربّة البيت بحكها في برمة الحليب، ويُحضرون أيضا نبتة " اللْدَادْ *" فتقول لها من تقوم بحلب البقرة:

«يَـــا اللْـــــدَادْ أنَا نْقُولْ لَكْ لْـــــدَادْ

لَقَّمْ ** لِي خْلِيبِي مَا لْقَمْ دْكِيرْ*** الحَدَّادْ»[1].

وأخيرا توضع سبعة حجيرات في اللبن وتمخض معه، وكانت كلّ هذه الطقوس من أجل حماية حليب البقرة من الفساد.

* اللْدَادْ: هي عبارة عن نبتة شوكية.

** لَقَّمْ: أَصْلِح.

*** دْكِيرِ: مغناطيس.

[1] حوار مسجل: عيشة رزيق، 78 سنة، بلدية جيملة، يوم 2013/02/24.

المبحث الثاني: الأدب الشعبي وفنون المحاكاة.

لا يختلف الأدب الشعبي عن الأدب الفصيح في شيء سوى اللغة، فهوية الأدب تكمن في لغته واعتماد الأدب الشعبي على لغة العامة، لا يعني بتاتا وضاعته، أو خلوّه من القيم الجمالية؛ لأنّ الأدب هو تحوير لمعدن اللغة الخام، والأدب الشعبي يسمو عن لغة التواصل اليومية، من حيث جودة الصياغة وحسن السبك، ومن خلال الأثر والإحساس بالجمال الذي يتركه لدى القارئ أو السامع، فكلمة أدب إذن في حدّ ذاتها اعتراف ضمني بالقيمة والدّلالة. [1]

وقد تحدّث "ابن خلدون" عن هذه القضية في زمانه، عندما ردّ على المستهجنين لهذا الأدب لفقدانه الإعراب بقوله:

«الإعراب لا دخل له في البلاغة، إنّما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال (...) فالدّلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة، فإذا عرف اصطلاح في ملكته واشتهر صحّت الدّلالة، وإذا طابقت تلك الدّلالة للمقصود ومقتضى الحال صحّت البلاغة»[2].

وبما أنّ هذا الأدب بلغة السواد الأعظم لبيئة ما فهو «اجتماعي وجماعي في شكله ومضمونه، إنّ مبدعه الأوّل سرعان ما يذوب في الإبداع الجماعي، وذلك لاقترانه بالقضايا الجماعية التي ينتمي إليها، بل ويستمد مادته من محيطها النفسي، الاجتماعي، الثقافي والاقتصادي»[3].

فالإبداع هو ابن الفردية، لكن الروح الجماعية في المضمون جعلت الأدب الشعبي ملكا للجميع فهو مرآة صادقة، وقاسم مشترك بين أفراد مجتمع من المجتمعات، يشتمل على الكثير من الفنون القولية هي: الأغاني الشعبية والحكايات والخرافات والأمثال والحكم والنكت ونداءات الباعة والأحاجي والأساطير والسّير، تتميّز بالشفوية والمحلية، لكنّ ذلك «لم يمنعها من التحليق في أجواء ومعارج رحبة، والغوص في أغوار فلسفية عميقة، مما يؤكد المعادلة القائلة بأنّ التراث مصدر لنظرية المعرفة والإبداع»[4].

---

[1] ينظر، حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2003، ص 15.

[2] عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ص 532.

[3] نبيلة سنجاق: الشعر الشعبي بين الهوية المحلية ونداءات الحداثة، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، الجزائر، دط، 2009، ص20.

[4] خالد عيقون: تمثلات الأشكال والمفاهيم في الأدب الجزائري، مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، دار الأمل، ط3، أشغال الملتقى الوطني المنعقد بتيارت يومي 13 و14 أكتوبر 2002، ص 237.

ومنطقة جيجل هي بحر زاخر بفنون الأدب الشعبي، منها ما هو متداول ومنها ما دخل في طيّ النسيان، لذلك سنحاول في هذا المبحث التحدّث عن بعض الفنون التي ما زالت محفوظة في الذاكرة الشعبية الجيجلية، دون الحديث عن المثل الشعبي، لأنّه سيدرس على انفراد في الفصول الموالية كونه موضوع البحث.

1- الأغنية الشعبية:

هي مقاطع شعرية شفوية بلغة عامية، متوارثة جيلا بعد جيل، ذات طابع جماعي، غالبا ما يكون مؤلّفها مجهولا، تعتمد على اللّحن والإيقاع وتعالج مختلف الظواهر الاجتماعية، وهي «أصدق من الشعر الفصيح في التعبير عن هذه الظواهر لقربها من المجتمع الشعبي، ولأنّها ترتبط في تعبيرها عن مناسبات متعدّدة بالعادات والتقاليد (...) على حين قد يرتبط الشعر الفصيح "بما يجب أن يكون" عليه المجتمع لما هو كائن»[1].

فالأغنية الشعبية هي المرآة التي يرى فيها الشعب نفسه، والقلب النابض في المجتمع والناطق الرسمي عنه؛ لأنّها تصوّر الواقع كما هو، بكلّ ظروفه وملابساته، وبصدق وعفوية.

تتنوّع الأغاني الشعبية بتنوع المضامين والمناسبات، فهناك الأغاني الدينية وأغاني الأعراس وأغاني الأطفال وأغاني الختان و... إلخ، وما زالت الذاكرة الشعبية بجيجل تحفظ الكثير من هذه الأشعار، وتؤدّيها في مناسبات مختلفة، ومنها نذكر:

أ- أغاني الأطفال: يؤدّى هذا النوع من الغناء لمداعبة الصغار أو لتنويمهم كأغنية "نَنِّي نَنِّي يا بَشَّة":

« نَنِّي نَنِّي يَا بَشَّـــــة* دَاشْ نْدِيـرُوا لَلْعْشَا

نْدِيرُوا الجَارِي** بَالدَّبْشَة كِي يْجِي بَابَا نَتْعَشَّا

نَنِّـي نَنِّـي يَابَشَّة»[2].

---

[1] حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، ص 45.

* بَشَّة: القطة

** الجاري: أكلة شعبية.

[2] حوار مسجل: عيشة رزيق، 78 سنة، بلدية جيملة، يوم 2012/12/25.

ب- أغاني الأعراس: كثيرة هي الأغاني التي تُؤدّى في حفلات الزواج بمنطقة جيجل، خصوصا أغاني الحنّة، ومن ذلك قولهم:

«آلاَلَّة مَدْ يـــدَّكْ لَلحَنَّـــة آلالَّـــة وَمـدْ يَـــدْكَ

الاحْبَابْ دَايْرِينْ بطَفْلَة صْغِيرة فَرْحَانَـة ومَـــدْ يَـدْكَ

شُوفُـوا شُوفُـوا كِيـفَاشْ تْلاَلِي بِينْ النَّاسْ وْسُومْهَا غَـالِي

لاَبْسَة المَحْـرُوجْ بِينْ البْنَاتْ البنيَّةْ تْسُـوجْ ومَدْ يَـدك

البْنِيَّة تْسُـوجْ وَاتاَتْهَا الحَنَّـــة فِي يَدِيهَا الزُّوجْ وْمَـدْ يَدْكَ »[1].

ج- الأغاني الدينية: تقال هذه الأغاني إمَّا للوعظ والإرشاد، أو في مناسبات دينية كالمولد النبوي الشريف، ومنها قولهم:

«يَا ابْـنَ ادَمْ يَا المْشُـومْ

نُوضْ تْصَلِّي نُوضْ تْصُومْ

الدَّنْيَا مَاهِيـــشْ تْـــدُومْ

المَـا وَالقَبْـــلَـة بَاطَـلْ

غِيرْ الشِّيطَانْ يْعَطَّـــلْ »[2].

فهذه الأغنية من قبيل الوعظ والإرشاد، تدعو إلى الصلاة قبل فوات الأوان.

د- الأغاني الثورية: قيلت هذه الأغاني أيام الثورة، وما زالت لحدّ الساعة تردّد على أفواه أهل جيجل المحبّين لهذه الأغاني، ومنها قولهم:

د/1: « وَانا سَمْنِي خَدُّوجْ وْرَانِي فِي الجْبَالْ نْسُـــوجْ

وَالسْلاَحْ تَمَّ مَوْجُودْ وْبَاشْ نْطَاكِي هَذَا اليْهُودْ

---

[1] حوار مسجل: فجرية أقيس،69 سنة، بلدية الميلية، يوم 2012/03/13.

[2] حوار مسجّل: شعبان قريمس، 64 سنة، بلدية قاوس، يوم 2012/01/20.

وَالنَّاظُورْ عْلَى عِينِيَّا وَالرَّافَالْ عْـــــلَى كَتْفِيَا

وخَلِّي نَمْشِي عْلَى رَجْلِيَّا حَتَّى نْمُوتُوا وَطْنِيَّة»[1].

تصوّر هذه الأغنية بسالة المرأة الجندية "خدّوج" التي تحدّت كلّ الصعاب في سبيل الوطن.

« يَاسِي الزَرَافُو* يَا جِيشَكْ دِيمَا مَخْوَافْ

أَرْسَل لِي الجْنُودْ خْفَافْ خْفَافْ

يْنَحِيّوْ الدَمَّارْ عْلِيَّا

وَالبْلاَنْدِي مْعَدِّي وْرَكَّبْتْ لُه الدِّيسِيَا

وَضْرَبْتْ حَتَّى سَخْنُوا يَدِّيَا

هَذِي عْلَى نَارْ الحُرِّيَة»[2].

تعكس هذه المقطوعة الشعرية تضامن المجاهدين في جيجل ضد المستعمر الغاشم من أجل نيل الحرية الحمراء.

د/2: « آيَمَّا الشِّيلِي وَالعُــونْ آيَمَّا فــي بُوعَــفْــــرُونْ

آيَمَّا الشِّيلِــي طَـــلَّتْ آيْ كِي طَلَّتْ وَمْسَـاتْ

أَضْرَبْ يَا خُويَـا عَبُّــودْ الهَجْـــرُوسْ دَّى البْنَـاتْ

كِي طَلْعَـــتْ لْبُوعَفْرُونْ عَمْلَتْ الرَّامْبَا فِي الحْشِيشْ

سَالُولِـــي عْلَى يَمَّا وْبَابَا وْكَثْـــرُولِي عْـــلَى الجِيشْ

كِي طَلْعَتْ لْبُوعَفْـــرُونْ رِيـــشْ الـــزَّانْ مْغَطِّينَـا

أَضْرَبْ يَا خُويَا عَبُّـــودْ الهَجْـــرُوسْ خْصَـــلْ فِينَا»[3].

تحيل هذه الأغنية إلى اشتباك وقع في جبل بوعفرون ببلدية جيملة، يُبلِّغ فيها المجاهد الذي استشهد في المعركة سلامه لأهله وإخوانه المجاهدين ويدعوهم إلى مواصلة الجهاد.

---

(1) حوار مسجل: زليخة بسيبس، 80 سنة، بلدية قاوس، يوم 2013/03/29.

* الزرافو: كنية مجاهد.

(2) حوار مسجل: زليخة بسيبس، 80 سنة، بلدية قاوس، يوم 2013/03/29.

(3) حوار مسجل: مسعودة بوطاجين، 55 سنة، بلدية تاكسنة، يوم 2012/04/06.

د/3: « القُومِي وَالقُومِيَّة فِي الشَّعْبَة مَسْطَالِيَا

أَخُوتِي أَسَّمْعُوا لِيَّ نَنْشَدْ عْلىَ القُومِيَّا

الدِّيفِيلِي فِي المْصَلَّى* خْلاَتْ عْلِيكْ يَا عَبْدْ الله»[1].

هذا مقطع من أغنية طويلة تفضح بعضا من خونة جيجل (القُومِيَّة) الذين باعوا وطنهم بأثمان بخسة، وتتوعدّهم بسوء العاقبة.

من خلال هذه النماذج القليلة من الأغاني الثورية التي تحفظها الذاكرة الشعبية بمنطقة جيجل، يتبيّن دورها الفعّال في الثورة التحريرية، حيث أدّت دور الإعلام والصحافة والتاريخ، فاستطاعت أن تحفظ العديد من الأحداث والوقائع والأسماء التي لا توجد في كتب التاريخ؛ لأنّها كانت في قلب الحدث، ولأنّها «تحاشت المجاملة وابتعدت عن اللّف والدوران وعن الإيماء والتلميح كما يحدث في النص المدرسي وفي الوثائق الرسمية التي تتحكّم فيها ظروف شتّى»[2].

فالتاريخ المدرسي عادة ما يجنح إلى ذكر الأمجاد والبطولات، أمّا الأغاني الشعبية فتنزع إلى التسجيل الدقيق للأحداث بذكر مزاياها وعيوبها على السواء، وهو ما جعلها ثمينة، ذات أهمية تاريخية وتوثيقية.

2- اللغز الشعبي:

هو قالب فني مسجوع أو منظوم، يمتاز بالقصر – عموما – ويقوم على «التعمية في الكلام على المتلقّي»[3]، فيحاول هذا الأخير فكّ شفراته بغية الوصول إلى الحل، ليس من أجل التسلية فقط، بل كذلك من أجل التربية والتعليم وحفظ القيم، تقول " نبيلة إبراهيم":

* المصلّى: منطقة ببلدية جيملة.

[1] حوار مسجل: باية حمودة، 56سنة، بلدية جيملة، يوم 2012/02/02.

[2] العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1988، ص 283.

[3] عبد المالك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط،2007، ص 13.

«اللغز شكل أدبي قديم قدم الأسطورة والحكاية الخرافية، كما أنّه كان يساويهما في الانتشار، فليس اللغز إذن مجرّد كلمات محيّرة تطرح للسؤال عن معناه بين ثلل الأصحاب في الأمسيات الجميلة، ومن ثمّ فإنّه يحتّم علينا أن نبحثه بوصفه عملا أدبيا أصيلا»[1]، لما فيه من دلالات عميقة تمسّ الحضارة والتاريخ.

ويقابل لفـظ اللغز في اللهجة الجيجلية مصطلح "التْحَاجَانِيَّة"، وهي مأخوذة من "الحجا" بمعنى العــقل، وما أكثر الألغاز في ذاكرة الشعب الجيجلي، لكنّها لا تطرح إلاّ نادرا بسبب الوسائل التكنولوجية التي حلّت محلّها، ومن الألغاز الجيجلية نذكر:

«- مَطْمُورْنَا وْرَا الجْبَالْ مَا عْرَفْنَاهْ لاَ قَمْحْ وْلاَ جَلْبَانْ (الجنين).

- مْعَدِّي الوَادْ الوَادْ، رَافَدْ قَتَّة* دِّي العْوَادْ (القنفد).

- لاَلَّة المَّانَة لاَبْسَة مْيَاةْ كَتَّانَة، وْتَحْتْ الرَّكْبَة عَرْيَانَة (الدجاجة).

- بَرْمَة مَلْيَانَة وْمَاكْفَاتْشْ عْشَانَا (البيضة).

- لاَلَّة الهَنْدْرِيَّة، رَجْلاَهَا فِي الطِّينْ غَاصُوا، وَلْدَتْ مْيَاةْ طْفَلْ، وْوَاحَد مَا عَرْيَانْ رَاسُه (شجرة البلوط).

- عْلَى اللِّي تَبْدَا بَالصَّادْ، وَالصَّادْ سَلْسْلَة قْدِيمَة أَرْبَعْطَاشْ فِي الظَّلْمَة وَثْمَانْيَة فِي الشَّمْسْ دِيمَا (الصلوات الخمسة).

- طِيرْ مْرَقَّمْ الجْنَاحْ، مَا فِيه لاَ عَرْقْ وْلاَ دَمْ يَنْسَاحْ (الفراشة).

- حَصْدُوهْ فِي السْمَا دَرْسُوه فِي المَا (الزيتون) »[2].

هذه النماذج القليلة من ألغاز المنطقة، تعكس العديد من جوانب الحياة فيها، فقد صوّرت البيئة من خلال الألفاظ المستعملة فيها، فالجبال والقمح والجلبان والواد، وشجرة البلوط و ... إلخ، تبيّن جغرافية المنطقة وطبيعة المنتوج الفلاحي المتواجد فيها، كما تصوّر الهوية الإسلامية وجميع أنماط الثقافة الشعبية السائدة.

---

(1) نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 154.

* قتّة: حزمة.

(2) حوار مسجّل: زينب بوغريرة، 74 سنة، بلدية العنصر، يوم 2011/12/15.

3-الحكاية الشعبية:

هي «قصّة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم (...) يستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها، إلى درجة أنه يستقبلها جيلا بعد جيل عن طريق الرواية الشفاهية»[1].

تكون نثرا، تتميّز بالبساطة والخلوّ من الزخرف اللّفظي، يسردها راوٍ واحد على مستمع واحد أو مجموعة من المستمعين، يؤديها بلغته الخاصة دون التقيّد بألفاظ الحكاية، لكنّه يتقيّد بالأحداث والشخصيات، وتستمد مادتها من الواقع المعيش، «ومن خلالها نتبيّن طموح الإنسان إلى مراقبة واقعه وإخضاعه للملاحظة، ومحاولة توجيهه وإيجاد حلول للمعضلات التي يطرحها والسعي إلى الإجابة على مجموع الأسئلة التي يثيرها»[2].

إنّ الحديث عن الحكاية الشعبية بجيجل يعني شيئا كبيرا من القيم والمعارف، فأهل المنطقة يحفظون الكثير منها، خصوصا الشيوخ الذين يحرصون على روايتها وتخليدها في ذاكرة الناشئة، غير أنها لم تعد كما كانت في القديم، حيث تراجع حضورها نتيجة التقدّم العلمي في وسائل الإعلام، فأخذت المسلسلات والأفلام مكانها وما إلى ذلك من وسائل الترفيه.

ومن الحكايات الشعبية المشهورة بالمنطقة حكاية "بقرة اليتامى" التي تحكي عن قساوة زوجة الأب على ربائبها، فلم تكتف بإبعادهم عنها من البيت، بل تبعهم شرّها إلى غاية المكان الذي استقرّوا فيه ولكنّه في النهاية انتصر الخير على الشر وأخذت زوجة الأب جزاءها.

وحكاية "قرن فضّة وقرن ذهب" التي تعالج صراع الخير مع الشر، وانتصار الخير في الأخير، وتحكي عن الأذى الذي لاقته المرأة "قْشِيرَة" من ضرّاتها، لا لشيء إلاّ لأنّها أنجبت ولدا ذا قرنين، واحد من ذهب والآخر من فضّة، حيث تآمرن عليها، وألقين بطفلها بعيدا، ورمينها في زريبة الحمير، لكنّ الفضيلة تعلو دائما، فقد ظهرت الحقيقة وزهق الباطل بعودة الابن الذي أعاد لأمّه الاعتبار.

---

(1) نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص 92.

(2) عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري – دراسة لأشكال فنون الأداء التعبيرية الشعبية في الجزائر–، دار القصبة، الجزائر، دط، 2007، ص 186.

المبحث الثالث: المعتقدات والمعارف الشعبية.

يقصد بالمعتقدات والمعارف الشعبية «تلك الأفكار التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلّق بالعالم الخارجي وما وراء الطبيعة، وهذه المعتقدات قد تكون – في الأصل – نابعة من نفوس أبناء الشعب ذاته عن طريق الكشف والإلهام، أو أنّها كانت معتقدات دينية (...) ثم تحوّلت مع مرور الزمن إلى أشكال جديدة من الاعتقاد المغاير»[1].

والمعتقد ينشأ من مجموعة التجارب العقلية التي يؤمن بها الناس من خلال ملاحظتهم المتكرّرة لنفس النتيجة، فيصبح نظاما مشتركا فيما بينهم «يسهم في تكوين سلوك الفرد ويطبعه بطابع خاص، ليصبح فيما بعد قانونا يسير عليه كما لو كان فريضة من فرائض الدين»[2].

ومنطقة جيجل كغيرها من مناطق الوطن تنتشر بين سكانها مجموعة من المعتقدات والتصوّرات، وهي واسعة جدّا، يصعب الإلمام بها جميعا، وما سيورد في هذا المبحث منها هو غيض من فيض، حيث سيتمّ اختيار الشائع منها والمشترك فقط.

1- الطب الشعبي:

الطبّ الشعبي هو أحد عناصر التراث الشعبي، يعتمد على مجموعة من المعارف والخبرات والممارسات المتوارثة مشافهة عبر الأجيال، ويهدف إلى تحقيق حالة من التوازن بين المريض وبين المجتمع المحلّي.[3]

وسائل العلاج في هذا الطب التقليدي بسيطة، غير مكلّفة ولا تترك آثارا جانبية، لذلك مازال سكّان جيجل يقبلون عليه، رغم تراجع كبير مقارنة بالماضي، ومن وصفاتهم ما يلي:

- يوصف النعناع كعلاج للقلق والتوتّر، والزعتر للإسهال، والثوم لضغط الدم المرتفع، والبصل لصداع الرأس، وإكليل الجبل لآلام البطن، وأوراق شجرة الكاليتوس من نوع الأنثى* لمعالجة آلام

---

(1) أحمد بن نعمان: نفسية الشعب الجزائري – دراسة علمية في الأنثروبولوجيا النفسية- ،دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، دط، 1994، ص 65.

(2) أمينة بلعبدي: الحكاية الشعبية بمنطقة الشلف – دراسة ميدانية- ، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2001/2000، ص 43.

(3) ينظر، فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي عثمان: دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2011، ص 225، 226.

* تختلف أشجار الكاليتوس باختلاف الأوراق، فالأشجار ذات الأوراق العريضة هي من نوع الأنثى، أمّا الأشجار ذات الأوراق الطويلة فهي من نوع الذكر.

القدمين، كما تستخدم أيضا كبخور للزكام أو شراب للسعال، وتوصف أوراق شجرة الزيتون (الزْبُوْش) كعلاج للثة.

- توصف عظام الدّجاج المطحونة بعد تجفيفها، أو العدس المطحون كعلاج للحروق.
- يوضع سوار من النحاس في معصم اليد لمعالجة الروماتيزم.
- يوصف حليب الأم المرضعة لطفلة كعلاج للطفح الجلدي.
- تستخدم الجْبِيرَة كعملية لإعادة الكسر إلى مكانه.
- يستخدم المنديل الأحمر في معالجة مرض بوحمرون، وذلك بتعصيبه على الرأس.
- تستعمل التمائم* المكتوبة بلغة مقروءة فيها آيات قرآنية كآية الكرسي أو المعوذتين كعلاج لبعض الآلام الجسدية كالحمّى، كما تساعد الأطفال الصغار على النوم، وتحميهم من شرّ الإنس والجنّ. أما التمائم التي تحتوي على جداول وطلاسم غير مفهومة فهي من اختصاص السحرة و المشعوذين.

كانت هذه النماذج المذكورة من بين وصفات الشعبي بالمنطقة، تعتمد على أدوية مستوحاة من البيئة، إمّا نباتات مزروعة كانت أم برّية، وإمّا عظام حيوانية، أو معادن أو أشياء أخرى، اكتُشفت عن طريق التجربة، لذلك يقال في المثل الشعبي: "سَالْ المْجَرَّبْ وْمَا تْسَالْشْ الطْبِيبْ" ولا تخضع للعلم إلاّ من باب الصدفة، مما يدلّ على بدائيتها.[1]

2- معتقدات متعلقة بالإنسان:

المعتقدات المرتبطة بالإنسان في جيجل كثيرة، لأنّه قطب الرحى في هذه الحياة، وكلّ شيء يدور حوله، ومن هذه المعتقدات ما هو مستوحى من الدين الإسلامي، وطرأت عليه بعض التغييرات والاعتقادات الخاطئة كظاهرة العين الموجودة في السّنة، إذ يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم: «العَيْنُ حَقّ»[2].

---

* تسمّى التمائم في منطقة جيجل بـ "الكْتابات" (ج كْتابة).

[1] ينظر، محمد عيلان: التراث الشعبي الجزائري – دراسات ميدانية –، الجزائر عاصمة الثقافة العربية (وزارة الثقافة)، الجزائر، دط، 2007، ص 26.

[2] محمد بن إسماعيل البخاري: الصحيح، باب العين حق، الحديث رقم 5740 ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص1466.

وفي حديث آخر يقول عن طريقة الوقاية من العين التي أصابت جارية أم سلمة: «اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةُ»[1].

فالرقية هي طريقة الوقاية من أضرار العين، لكن البعض من سكان جيجل، جعلوا لهذه الظاهرة طرقا وقائية مخالفة للشرع، كوضع نبتة الصبّار في شرفة البيت، أو أي نبتة شوكية أخرى، أو وضع عجلة مطاطية أمام البيت أو المقولة الشهيرة "خمسة في عينيك" وغيرها ...

ومنها ما نشأ عن طريق الملاحظة والتجربة المتكرّرة، ومن بينها ما يلي:

- إذا شعر الإنسان بحكة في الشفة العلوية، فهذا دليل على أنّه سيسلّم على شخص، لذلك يقولون عند شعورهم بها: "آوْكْلاَنِي شَارَبْ السْلاَمْ".

- إذا عضّ الإنسان على لسانه، فإنّه يريد أكل اللحم.

- إذا شعر الإنسان بحكة في حاجبه الأيمن، فمعناه أنّ هناك أناسا يتكلّمون فيه خيرا، وإن كانت الحكّة في الحاجب الأيسر فهم يغتابونه.

- من كانا خطّا راحة يديه ملتقيين فمعناه أنّه سيكون غنيّا، وسيعدّ الكثير من الأموال بيده تلك ويطلق على هذا اليد اسم "اليَدْ الزَّهْرِي".

- إذا كانت في جسم الإنسان شامة كبيرة (وحمة)، فمعناه أنّ أمّه اشتهت أكل نوع من الطعام في فترة حملها به ولم تحصل عليه أو اشتهت قهوة.

3- معتقدات متعلّقة بالحيوان:

علاقة الإنسان بالحيوان قديمة جدّا، خصوصا الأليفة منها، فلا غرابة أن تجد في منطقة جيجل معتقدات تدور حولها، ومنها نذكر:

- رؤية سرب من الطيور محلّقا بسرعة معناه قدوم المطر.

- إذا التصقت عشبة أو ريشة طائر بشوارب القط، فمعناه قدوم الضيف.

- إذا تقلّب الكلب في الأرض فدلالة على قدوم المطر.

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري: الصحيح ، باب رقية العين، الحديث رقم 5739 ، ص 1466.

- سماع صياح الدّيك دلالة على رؤيته لملك، ونهيق الحمار دلالة على رؤيته لشيطان، وهذا الاعتقاد لم يكن من الملاحظة والتجربة بل من قوله صلّى الله عليه و آله وسلّم: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِيَكَة فَاسْأَلُوا الله مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»[1].

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري: الصحيح، باب همزة القطع، الحديث رقم 2729، دار الأصالة، الجزائر، دط، 2009، ص237.

المبحث الرابع: الفنون الشعبية والثقافة المادية.

الفنون الشعبية هي تعبير عن الذوق الشعبي، والقيم الجمالية الشعبية، تشتمل على الآلات الموسيقية التقليدية والموسيقى الصاحبة لها والرقص الشعبي والألعاب الشعبية وفنون التشكيل الشعبي كالأزياء والحلي والوشم.

أمّا الثقافة المادية فهي «التعبير المادي عن التغيّرات التي يحدثها البشر في توافقهم وسيطرتهم على بيئاتهم الاجتماعية و الفيزيقية»[1]، كالصناعات التقليدية وأنماط العيش عن مأكل وملبس و مسكن.

والفنون الشعبية والثقافة المادية بجيجل كثيرة جدّا، تعكس نمط الحياة فيها، وتاريخها العريق وطريقة تفكير شعبها، وكل ما يتعلّق بملامح هويتها، ومنها نذكر:

1- الآلات الموسيقية التقليدية:

لقد تطوّرت الآلات الموسيقية في الآونة الأخيرة بشكل كبير، لكنّ هذا التطوّر لم يكن يوما حائلا عن استعمال الآلات التقليدية، فما زال البعض من سكّان جيجل المحبّين للموسيقى القديمة، يفضّلون استعمال هذه الآلات في حفلات الزواج والختان وغيرها، ومنها نجد:

أ- الطبل:

ويسمّى في المنطقة بـ"الطْبُولْ"، وهو آلة إيقاع مصنوعة من الخشب على شكل أسطواني، ومغطّى من الجانبين بجلد الماعز أو البقر، يُحكم جيّدا من كلّ الجوانب ثم يربط بخيط سميك وطويل من الجهتين ليوضع على كتف القارع فيه بشكل مائل، ليضرب من الجهتين العلوية والسفلية بعودين من الخشب.

ب- الغايطة:

هي عبارة عن آلة تقليدية يُنفخ فيها فتحدث صوتا، يُتحكّم في إيقاعيته ونغمه عن طريق أبخاش تصنع من الخشب على شكل أنبوب فيه بعض الثقوب، وفي أسفله يتخذ شكل المخروط، أمّا من الجهة العلوية فتوضع صفيحة دائرية فيها لترتكز الشفتان عليها، ثمّ يُنفخ الهواء ، فتحدث رنّة قويّة.

---

[1] فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي عثمان: دراسات في التراث الشعبي، ص 37.

والغايطة مكمّلة للطبول، فهما يؤدّيان معا في حفلات الزواج والختان الجيجلية، وذلك في الهواء الطلق دون مصاحبة أي نوع من الغناء.

ج- الدربوكة:

هي آلة إيقاع عريقة بالمنطقة، يُضرب عليها باليدين، كانت في القديم تصنع من الطين، أما الآن فتصنع من الخشب وتكون على شكل مزهرية، يوضع عليها جلد الماعز ويشدّ بإحكام من كلّ الجوانب، أمّا في الوقت الراهن فإنّ «ضاربو الدربوكة يفضّلون جلد السمك على بقية الجلود الأخرى لما يملكه من خصائص من ناحية الصوت و المتانة »[1].

والدربوكة على عكس الطبل والغايطة، حيث ترافقها الأغاني، وكلّ أغنية لها ضرباتها الخاصة، وهي مستعملة عند النساء أكثر من الرجال.

2- الرقص الشعبي:

الرقص هو عنصر هام في الأغنية الفولكلورية، لذلك يؤدّي أهل جيجل عدّة رقصات في حفلات الزواج، أشهرها رقصة الترحيب بالعروسة التي تؤدّيها النسوة. فبمجرّد وقوف العروس على عتبة باب بيتها الجديد، تستقبلنها مجموعة من قريبات العريس، وهن واقفات صفين متقابلين، فتمسك نساء الصف الأوّل بأيادي بعضهنّ البعض، ويقمن نساء الصف الثاني بنفس الشيء، ثم يحرّكن الرجل اليمنى باتجاه الأمام ثم إلى الخلف بصورة جماعية منظّمة وهنّ يردّدن أغنية الترحيب بأعلى صوت:

«يَا مَرْحْبَا بَعْرُوسَتْنَا يَا مَرْحْبَا يَا مَرْحْـــبَا بَعْرُوسَتْنَا يَا مَـــرْحْبَا

يَا مَرْحْبَا بَعْرُوسَتْنَا يَا مَرْحْبَا يَا مَرْحْبَا بْبَنْتْ القَايَدْ يَا مَرْحْبَا

يَا مَرْحْبَا بَعْرُوسَتْنَا يَا مَرْحْبَا يَا مَرْحْـــبَا بَخْوَاتَـمْهَا المْذَهْبَا

يَا مَرْحْبَا بَعْرُوسَتْنَا يَا مَرْحْبَا يَا مَـــرْحْبَا بَسْنَاسَلْهَا المْذَهْبَا

[1] Brahim Bahloul : les instruments de musique traditionnels en Algérie , office national de la culture et de l'information , Algérie, 2004, p 32.

يَا مَرْحَبَا بْبَنْتْ المَضْرَبْ يَا مَرْحَبَا جُوزْ وْقَرَّبْ»[1].

إنّ اجتماع قريبات العريس في جيجل على آداء هذه الرقصة المنظمة، دلالة على حضور الفرد وإثبات وجوده داخل الجماعة، تقضي على الانطوائية وتحدث شعورا جماعيا، ناهيك عن القيمة الجمالية التي يلاحظها جمهور المتفرّجين «من خلال تلك القدرة على التواصل عبر نظام إشاري مصقول بتلك الخبرة الإنسانية المستمدة من علاقة البشر فيما بينهم»[2]، والراحة النفسية والطمأنينة التي تشعر بها العروس وهي تلاحظ حفاوة الاستقبال.

3- الصناعات اليدوية:

لا تزال جيجل تنتج المصنوعات اليدوية، خصوصا في المناطق الريفية، رغم تراجعها الملحوظ بفعل التمدّن والتطوّر التكنولوجي وما يقدّمه من مغريات ووسائل، ومن هذه الحرف التي ما زالت تصارع المدّ الحضاري بالمنطقة ما يلي:

أ- صناعة الفخّار:

تختصّ بهذه الصناعة نساء الأرياف، والمادة الأولية لها هي الطين، وليس كلّ الطين صالح لها، فما سوى الطين الأبيض والأحمر غير صالح، حيث يوضع الطين في الماء لعدّة أيّام ثم يقام بعجنه مع بقايا الأواني الفخارية المتكسّرة والمسمّاة بـ"آفْرُورْ"، حتى يتماسك العجين الطيني ويصبح صالحا للتشكيل، وبعد عملية التشكيل، توضع الأواني جانبا حتى تجفّ، وبعدها تُعرض للكيّ في النـار حتى لا تتشقق، وذلك في مكان نسمّيه "المَحْمَى".

لقد عزف سكّان جيجل عن العديد من الأواني الفخارية لوجود البديل عنها، كالقَعَّادَة التي تستخدم لتخزين الماء وتبريده، والتَّاجْرَة وهي صحن طيني أصغر من القصعة، و ... إلخ.

---

[1] حوار مسجل: مسعودة قريمس، 60 سنة، بلدية قاوس، يوم 2013/03/18.

[2] محمد تحريشي: رقصة الهي نموذج للتواصل بين أفراد الجماعة، مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، ص260.

ومن الأواني التي لم يستطيعوا الاستغناء عنها، وما زالت أيادي النسوة تجود بها الطَّاجِينْ المْسَرَّحْ ويستعمل لطهي الأكلة الشعبية المعروفة بـ"الكَسْرَة اليَابْسَة"، والطَّاجِينْ المْرَقُّومْ المستعمل لطهي "كَسْرَة المَطْلُوعْ"، وطَاجِينْ النَّمْرَة، ويستعمل لطهي أكلة " الفْتَاتْ " والمسمّاة أيضا "الفْطِيرْ".

فالطواجين بمختلف أشكالها ما زالت حاضرة حضورا قويّا في منازل جيجل، لتمسّك أهلها بالطبخ التقليدي، ولإدراكهم قيمة الطين فمنه خلقنا وإليه نعود.

ب- صناعة الزرابي:

تعدّ صناعة الزرابي من الحرف التي ما زالت تمارس بالمنطقة وإن كانت بصورة أقل عمّا مضى، وهيّ الأخرى تختص بصناعتها النساء والعجائز.

تصنع الزرابي التقليدية في جيجل بالثياب القديمة، بالصوف وبقايا الأقمشة بعد تفصيلها؛ حيث تقطّع بطريقة طولية للحصول في النهاية على أشرطة قماشية طويلة مختلفة الألوان، بعـدها تقوم النساء بإعدادها في المنسج المتكوّن من:

- المْنَوَلْ: وهما عمودان، واحد من الأعلى والآخر من الأسفل.
- القَايْمَة: وهما عمودان، واحد من الجانب اليمن والآخر من الجانب الأيسر.
- النِيّارْ: وهو عبارة عن عود في الوسط يثبت به جانبا القايمة.
- العْضَاعَدْ: وهما أداتان لشد الأقمشة في المنسج.
- الخْلاَلَة: وهي أداة ذات أسنان طويلة، تستعمل لرس الأشرطة جنبا إلى جنب.
- السَفَّاحَة: وهي خيط مغزول من الصوف يوضع في المنسج ليمنع تسرّب الأشرطة.

بعد هذه الإطلالة المتواضعة على تراث جيجل الشعبي يتبيّن لنا بأنّه تراث زاخر، يعكس مختلف مناحي الحياة، ويعبّر عن الإبداع الشعبي الأصيل وذوقه الراقي، وهو جزء لا يتجزأ من التراث الشعبي الجزائري، لم يكن يوما ترفا لا طائل منه، بل هو هادف ذو بعد مقاصدي، ومادّة خصبة للدراسة لا تقلّ شأنا عن أيّ مجال آخر، بل هو أفضلها لأنّه الهوية والكيان، وفي هذا يقول الدكتور "أحمد الأمين":

«إن الترفّع عن دراسة تراثنا الشعبي هو ترفّع عن كياننا، وإنّ التنكّر له هو تنكّر لهويتنا الثقافية وإهمال لجزء كبير من ثقافتنا الفنية و الأدبية»[1].

فلابدّ علينا أن نعضّ عليه بالنواجذ ممارسة ودراسة للوقوف في وجه المدّ الحضاري الزاحف.

[1] أحمد الأمين: صور مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري – دراسات ونماذج –، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2007، ص8، 9.

الفصل الثاني

أمثال جيجل الشعبية حضورها وخصائصها.

المبحث الأول: المثل الشعبي.

1- حدّ المثل الشعبي.

2- بين المثل الشعبي وما شابهه من الأقوال.

3- نشأة المثل الشعبي.

المبحث الثاني: علاقة المثل الشعبي بالحكاية.

1- علاقة المثل الشعبي بالحكاية الواقعية.

2- علاقة المثل الشعبي بالحكاية الخرافية.

المبحث الثالث: حضور المثل الشعبي في المجتمع الجيجلي.

1- تداول المثل الشعبي بالمنطقة.

2- دواعي حضور المثل الشعبي في الكلام.

المبحث الرابع: خصائص أمثال جيجل الشعبية.

1- خصائص فنية.

2- خصائص عامة.

المبحث الأول: المثل الشعبي.

المثل الشعبي هو من أشهر فنون التعبير في الأدب الشعبي ، وقبل أن نشرع في الحديث عنه في منطقة جيجل، يستحسن البدء بتعريفه، فما مفهوم المثل الشعبي؟ وما الفرق بينه وبين ما شابهه من الأقوال؟ وما تاريخ نشأته؟ إلى غير هذا من التساؤلات التي يستوجبها البحث والاستقصاء.

1- حد المثل الشعبي:

أ- لغة:

للمثل معاني لغوية كثيرة، نجملها في ما يلي:

- **التسوية، المماثلة، الشبه والنظير**، فقد جاء في "لسان العرب": «مثل: مِثل: كلمة تسوية يقال: هذا مِثْله ومَثَله كما يقال شِبْهه وشَبَهُه (...) هو مِثْلُه في كذا فهو مساوٍ له في جهةٍ دون جهةٍ والعرب تقول: هذا مُثَيْلُ هذا وهم أُمَيْثَالُهُمْ، يريدون أن المشبَّه به حقير كما أنَّ هذا حقير، والمِثْل: الشِّبْه يقال: مِثْل ومَثَل وشِبْه وشَبَه بمعنى واحد»[1].

وفي "جمهرة الأمثال": «أصل المَثَل التِّمْثَالُ بين الشيئين في الكلام ؛ كقولهم: كما تُدين تُدان وهو من قولك: هذا مِثْلُ الشيء وَمَثَلُه، كما يقال شِبْهَهُ وشَبَهُهُ»[2].

وجاء أيضا في "مقاييس اللغة": «مَثَل: الميم والثاء واللام أصل صحيح، يدلّ على مناظرة الشيء للشيء وهذا مِثْل هذا، أي نظيره (...) والمَثَلُ: المِثْلُ أيضا كَشَبَهٍ وَشِبْهٍ»[3].

وفي "مجمع الأمثال" لـ "الميداني": «قال المبرّد: المَثَل مأخوذ من المِثال، وهو: قول سائر يُشَبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، فقولهم "مَثَل بين يديه" إذا انتصب، معناه أَشْبَه الصورة المنتصبة، وفلان "أمثل من فلان" أي أشْبَه بما له [من] الفضل...»[4].

---

[1] جمال الدين بن منظور: لسان العرب، ج14، ص 17.

[2] أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ج1، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، دت، ص07.

[3] أحمد بن فارس الرازي: معجم مقاييس اللغة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص498.

[4] أحمد بن محمد الميداني: مجمع الأمثال، ج1، تحقيق: جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 69.

وقد ورد في محكم التنزيل قوله "عزّ وجلّ":

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[1].

فمعنى المثل في هذه الآية الكريمة هو "الشَّبَه"، حيث شَبّه الله تبارك وتعالى المنافقين «في اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى، بمن استوقد نارا فلمّا أضاءت ماحوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي»[2].

والمعنى نفسه في قول "كعب ابن زهير":

«كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاَّ الأَبَاطِيلُ»[3].

حيث شُبِّهَتْ مواعيد محبوبته بمواعيد عرقوب ووجه الشبه بينهما يكمن في الإخلاف بالوعد.

- **الانتصاب، الشفاء، المقدار، التصوير، الفراش، الحذو، القصاص**، فقد ورد في "أساس البلاغة": «مَثَلَ قائما: انْتَصَبَ، مُثُولاً، ورأيته مائِلاً بين يديه، وتَمَاثَل من مرضه(...) ومُثِّل الشيء بالشيء سُوِّي به وقُدِّر تقديره (...) ومَثَّل التماثيل ومَثَلَها صَوَّرها (...) ونام على المِثَال وهو الفراش (...) وامْتَثَلْتُ الأمر احتذيته وأَمْتَثِل منه: أقتصّ ، وأَمْثَلَهُ منه القاضي: أقصّه، وأخذ المِثَال: القصاص»[4].

- **الحديث، الصفة، العبرة، الالتصاق بالأرض، الزوال، الذهاب، العقوبة والجهد**، يقول "ابن منظور" في "لسان العرب":

«المَثَلُ: الحديث نفسه (...) والمَثَلُ: الشيء الذي يُضرب لشيء مَثلاً فيجعل مِثْلَه (...) ومَثَلُ الشيء صفته (...) وقد يكون المَثَل بمعنى العبرة، ومنه قوله "عزّ وجلّ": ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا

---

[1] سورة البقرة: الآية 17.

[2] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، دار الكتاب الحديث، الجزائر، ط1، 2010 ، ص57.

[3] كعب بن زهير: الديوان ، تحقيق: محمّد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 85 .

[4] محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، ج2، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 195.

لِّلْآخِرِينَ ﴾[1]، مَثَل: لَطِئ بالأرض (...) ومَثَلَ يَمْثُل: زال عن موضعه (...) كان فلان عندنا ثم مَثَل: أي ذهب (...) المَثُلةُ بفتح الميم وضم الثاء، العقوبة والجمع المَثُلات، وقالوا: مِثْلٌ مَاثِلٌ ، أي جهد جَاهِدٌ»[2].

قال "الله تبارك وتعالى": ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾[3].

فالمثل هنا بمعنى الصفة، أي« صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد الله بها عباده المتّقين أنّها تجري من تحت قصورها وغرفها الأنهار(...) ثمرها دائم لا ينقطع، وظلّها دائم لا تنسخه الشمس»[4].

من خلال هذه الإطلالة السريعة لمعاني المثل في بعض المعاجم العربية وفي بعض التوظيف القرآني له، يتبيّن لنا غزارة معانيه اللغوية ومشتقّاته، فيُقصد به التشبيه في غالب الأحيان، كما يُقصد به في بعض الأحيان العبرة أو الصفة أو القصة...إلخ.

هذا عن التعريف اللغوي للمثل، أما تعريف الشعب لغة فقد سبق ذكره في الفصل الأول.

ب- اصطلاحا:

عرفت كلّ الشعوب المثل، لكثرة تداوله على الألسنة، فأولاه الباحثون عناية قصوى سواء من ناحية الجمع أم من ناحية الدراسة ، لكنّنا عند البحث في كتب التراث لم نجد له تعريفا شاملا وافيا، فقد اختلف الدارسون العرب في تحديد مفهومه. فـ "ابن عبد ربه" يعرف الأمثال بأنها «وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيّرتها العرب وقدّمتها العجم ونُطق بها في كل زمان على كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، فلم يسر شيء مسيرها ولا عمّ عمومها»[5].

---

(1) سورة الزخرف: الآية 56.

(2) جمال الدين بن منظور: لسان العرب، ج14، ص 18- 20.

(3) سورة الرعد: الآية 35.

(4) محمّد علي الصابوني: صفوة التفاسير،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999،ص541.

(5) أحمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج3، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص03.

فالأمثال عند صاحب "العقد الفريد" هي ما امتازت بجمال اللفظ (وشي الكلام) وجمال المضمون (حلي المعاني)، وكانت ذائعة دائمة.

أمّا "ابن السكّيت" فيقول:

«المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبّهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره»[1]، فالمقصود من هذا القول هو التعبير غير المباشر للمثل.

وأمّا "الفارابي" فالمثل عنده «ما تراضاه الخاصة والعامة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهوا به في السرّاء والضرّاء، واستذرّوا به من المتمنّع من الذرّ، وتوصّلوا به إلى المطالب القصيّة، وتفرّجوا به على الكرب المكربة، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأنّ النّاس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى من النّفاسة»[2].

إنّ المثل من خلال هذا القول هو ما تواضع وأجمع عليه الناس واستعمل في شتى مناسبات الحياة لقدرته على استيعاب ظروفها المختلفة وصروفها المتقلبة.

ويعرّف "أبو عبيد القاسم بن سلام" الأمثال بأنّها «حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق، بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه»[3].

يرى صاحب هذا القول أن الأمثال حكمة العرب، لكنها أوسع من ذلك، فهي حكمة الشعوب جميعها في تحضرها وبداوتها...، وخلاصة التجارب المعبرة عن مواقف الحياة بأسلوب غير مباشر (بكناية غير تصريح) تتوفر فيه ثلاثة خصائص بلاغية هي: الإيجاز وإصابة المعنى وحسن التشبيه، وهي نفسها الخلال التي ذكرها "ابن رشيق القيرواني" حين قال:

---

(1) أحمد بن محمد الميداني: مجمع الامثال، ج1، ص 70.

(2) إسحاق بن إبراهيم الفارابي: ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، الشركة العالمية للمصرية -لونجمان-، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص 46.

(3) أبو عبيد القاسم بن سلام: كتاب الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، ط1، 1980، ص 34.

«سُمي مثلا لأنه ما ثل لخاطر الإنسان أبدا، يتأسى به ويعظ ويأمر ويزجر (...) في المثل ثلاث خلال: إيجاز اللّفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه»[1].

يشير قول "ابن رشيق القيرواني" إضافة إلى الخلال المذكورة، إلى ديمومة المثل كونه يتناول السلوك الإنساني، وإلى بعض الأغراض التي يؤديها كالوعظ والأمر والزجر.

ويأتي "المرزوقي" في "شرح الفصيح" ليعرّف المثل بأنّه «جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها تتّسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عمّا وردت فيه إلى كلّ ما يصحّ قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها»[2].

إنّ المثل حسب هذا التعريف هو جملة قد تكون كلمات سائرة أخذت من حكاية ما، أو قالها شخص ما في موقف ما، فنالت القبول من الناس، وأصبحت متداولة، مع حفاظها على صيغتها الأصلية مهما تعددت المواقف.

وأمّا "ابن المقفع" فقد تحدّث عن قيمة المثل في الكلام لمّا قال:

«إذا جُعل الكلام مثلا، كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث»[3].

أي أنّ المثل هو قالب الكلام ومقداره.

وتحدث "أبو هلال العسكري" أيضا عن أهمية الأمثال بقوله:

«ولمّا عرفت العرب أنّ الأمثال تتصرّف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جلّ أساليب القول أخرجوها من أوقاتها من الألفاظ، ليخفّ استعمالها ويسهل تداولها، فهي أجلّ الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها»[4].

فالأمثال لها إمكانية التصرّف في كثير الكلام، وهذا ما أكسبها سعة التداول بين الناس، وقد جُعلت من أفضل الكلام لإيجاز لفظها وكثرة معانيها.

---

(1) الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981، ص 280.

(2) جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، دت،ص486،487.

(3) أحمد بن محمد الميداني: مجمع الأمثال، ج1، ص 70.

(4) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ص 50.

بعد هذا، نرى أنّ هؤلاء الباحثين لم يقفوا على تعريف واحد للمثل، فكل واحد يعرفه من زاوية أو زاويتين و يهمل الزوايا الأخرى، ومن خلال ضم كل الزوايا، نصل إلى تعريف جامع لكل ما سبق، أورده صاحب كتاب "التجوال في كتب الأمثال" وهو كما يلي:

المثل هو «قول موجز، سائر مشهور، باق على مرّ الدهور، عاكس تجارب الأمم والشعوب، واصف لنا مختلف الدروب، بلفظ مرغوب، ومعنى مطلوب، لائط بالقلوب، تلذّ الآذان لسماعه، تتناقله العامة والخاصة، فيه وعظ وزجر، حسن التشبيه لكلّ عالم وفقيه، مفتاح للقول ومصباح للعقل»[1].

أما الشعب اصطلاحا فهو الآخر تعددت تعاريفه، حيث نقصد به في المفهوم العام الجمهور، الأهالي السواد الأعظم، العامة، ويقصد به في الدراسات الفولكلورية الأوروبية الطبقة الدنيا، وهي طبقة الفلاّحين وسكان الأرياف، يقول "إيكه هولتيكرانس" (Icah Holticrance) في "قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور":

«كان يقصد بكلمة الشعب ذلك الجزء من السكان الذي احتفظ بالعادات والتقاليد وآداب اللياقة maners القديمة، أي الفلاحين وأهل الريف»[2].

لكن مدلول الشعب أوسع من ذلك بكثير، فهو يضم جميع الطبقات وكل ما تشعب من القبائل. قال "الله تبارك وتعالى": ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[3].

تشير هذه الآية الكريمة إلى أنّ الله عزّ وجلّ قد خلق الناس جميعا من آدم وحواء، وعن طريق التناسل أصبحوا شعوبا وقبائل كثيرة، ليعرف بعضهم بعضا، لا تفاخرا بعلوّ النسب، وإنّما الفخر بالتقوى.[4]

و الشعب هو أعلى مراتب النسب ثمّ تأتي القبائل بعده أقلّ درجة منه، قال "محمّد بن علي الصابوني":

---

(1) خضر موسى محمد حمود: التجوال في كتب الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 24.

(2) إيكه هولتيكرانس: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط2، دت، ص 231، 232.

(3) سورة الحجرات: الآية 13.

(4) ينظر، جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلّي: تفسير الجلالين، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1995، ص 517.

« قبائل جمع قبيلة، وهي الجماعة التي يربطها حسبٌ أو نسبٌ، وهي أخصّ من الشعب، لأنّ الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد، فالشعب يجمع القبيلة، والقبيلة تجمع البطون والأفخاذ»[1].

أي أنّ الشعب هو ذلك الكلّ الذي تندرج تحته الأجزاء،« ومثاله خزيمة: شعب، كنانة: قبيلة، قريش: عِمارة بكسر العين، قُصي: بطن، هاشم: فخذ، العبّاس: فصيلة»[2].

إذن فكل الأفراد الذين ينتمون إلى دولة ما ويتمتعون بجنسيتها، من مثقف وأمي وغني وفقير وبدوي وحضري و...إلخ يدخلون في خانة الشعب، وحتّى النخبة تعدّ من الشعب رغم مستواها الفكري والنمط المعيشي الراقي، لكنّها ليست منه في السلوكات والتطلّعات وغيرها؛ لأنّ الشعب شيء آخر غير النخبة التي تميّزت عنه بأوضاع ووظائف وأنماط معيشية. ومن ثمّ تختلف بالضرورة الاهتمامات ودرجة الشعور وطرائق الاستجابة والتلقي وكيفيات التذوق، لكن هذا لا يعني بأن النخبة لا تتذوّق ما ينتجه الشعب أو الشعب لا يتذوّق ما تنتجه النخبة.[3]

بعد تحليل التركيبة اللغوية "مثل + شعبي" نعود لنجمع بينهما، فنصل إلى أنّ المثل الشعبي هو فن قولي موجز بليغ بلغة عامة الناس، يعبّر عن الحياة الشعبية بصدق وعفوية، ويُذاع بين الناس عن طريق الرواية الشفاهية. إنّه «فكرة وطريقة تفكير في الآن نفسه، فكرة لأنّه يلخص تجربة عاشتها الجماعة، وطريقة تفكير لأنّه يوضّح نظرة الجماعة إلى ما يمرّ بها من تجارب وما تؤمن به من معتقدات»[4].

2- بين المثل الشعبي وما شابهه من الأقوال:

يتشابه المثل الشعبي مع بعض الأشكال التعبيرية القصيرة إلى حدّ يصعب التفريق بينها، لذلك سنحاول في هذا المقام التمييز بينها بالبحث عن الفروق الجوهرية، التي تفصل بعضها عن بعض.

---

(1) محمّد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج3، ص1131.

(2) جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلّي: تفسير الجلالين، ص 517.

(3) ينظر، عيسى لحيلح: محاضرة الأدب الشعبي تحديداته ومفاهيمه، السنة الجامعية 2009/ 2010.

(4) طلال حرب: أولية النص – نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي-، ص 142.

أ- بين المثل الشعبي والحكمة:

يعتقد البعض بأنّه ليست هناك حكمة شعبية، إذ ترتبط الحكمة عندهم بالفلاسفة ؛لأنّ «كلمة (فيلوسوفيا) اليونانية مركّبة من كلمتين هما (فيلو) يعني (مُحِبُّ) و (سوفيا) تعني (الحكمة)، والفيلسوف هو محب الحكمة، والحكمة في هذا السياق هي محاولة الوصول إلى جوهر الأشياء باستخدام الفكر»[1].

كما ترتبط الحكمة عندهم أيضا بالعلم، والشعب قليل العلم، بسيط التفكير ومحدود الثقافة فأنّى له الحكمة؟

هذا الاعتقاد خاطئ، فالحكمة الشعبية موجودة، يتّفق معها المثل الشعبي في بعض الجوانب كالإيجاز وإصابة المعنى والإيقاع، وفي الغاية التربوية الأخلاقية التعليمية، لكنّه يختلف عنها في جوانب أخرى هي:

أ/1- أساس المثل هو التشبيه، حيث يعمل على «إبراز المعاني الخفية والحالات المعنوية بصورة حسّية تزخر بالحركة والحياة»[2]، أمّا الحكمة فهي خالية من الصورة والمشابهة، و تجنح دائما إلى التجريد.

أ/2- عادة ما يكون المثل الشعبي وليد قصة أو حدث ما، فهو «قول محكي يُقصد به تشبيه حال الذي حُكي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي شُبِّه مضربه بمورده»[3]. لذلك يأتي عفويا غير متكلّف فيه بينما الحكمة هي تأمّل لخلاصات مستقطرة لعديد التجارب ولا يوجد مورد محدّد لها، والعلاقة بينها وبين المثل متداخلة؛ لأنّ المثل هو قراءة ذكية لحدث والحكمة هي تجريد ذكي للمثل، وبالتالي فالحكمة مَثل مجرّد والمثل حكمة مجسّدة، أي إذا كان المثل زبدة الحدث فإنّ الحكمة هي زبدة المثل، ومنه نصل إلى المعادلة التالية: [4]

حكمة + تجسيد =مثل.

مثل – تجسيد = حكمة.

---

(1) أحمد بن نعمان: نفسية الشعب الجزائري – دراسة علمية في الأنثرولوجيا النفسية-، ص 74.

(2) إميل بديع يعقوب: موسوعة أمثال العرب، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 48.

(3) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط11، 2000، ص 275.

(4) ينظر، عيسى لحيلح: محاضرة المثل الشعبي ، السنة الجامعية 2011 /2012.

أ/3- لا تسير الحكمة سير المثل، فالمثل يشيع بصورة أوسع، وإذا شاعت الحكمة صارت مثلا لقول "أبي هلال العسكري":

«ثمّ جُعل كلّ الكلام حكمة سائرة مَثَلا، وقد يأتي القائل بما يُحسن أن يُتمثّل به إلاّ أنّه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلا»[1].

أ/4- قد لا يتضمن المثل فكرة ثاقبة أو رأيا سديدا، في حين تكون الحكمة دائما صادقة النظرة ومصيبة المضمون، وبالتالي «إذا كانت كلّ حكمة شائعة مثلا، فليس كل مثل حكمة شائعة»[2].

أ/5- قد تكون الغاية من المثل الاحتجاج، أمّا الحكمة فغايتها الأولى والأخيرة هي الوعظ والإرشاد لأنها «تربط بين العلم والعمل وتهدي إلى الرشد بالقول والفعل»[3].

ب- بين المثل الشعبي والقول السائر:

يتساوى المثل الشعبي مع القول السائر في نقاط كثيرة منها الإيجاز والشيوع وصياغة العبارة، ويختلف عنه في نقاط أخرى هي:

ب/1- لا يخلو المثل الشعبي مطلقا من التشبيه، فهو من خصائصه الثابتة. أمّا القول السائر فلا أثر للتشبيه فيه.

ب/2- المثل الشعبي قد يكون واقعيا أو لا يكون، أمّا القول السائر فواقعي دائما، يقول "عبد الحميد بن هدوقة":

«القول السائر يقرر شيئا واقعا مثل قولهم: "رَانَا والموتْ وْرَانَا" (...) بينما المثل قد يتضمّن ذلك وقد لا يتضمّن، فعندما يتمثل الرجل الشعبي لهذا المثل "رَاحَتْ جْوَابِي وَعْشُورْ" فهو لا يقرّر ولا ينصح وإنما يصوّر ذهاب أمواله فيما لا غناء له فيه»[4].

---

(1) أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ص 07.

(2) إميل بديع يعقوب: موسوعة أمثال العرب، ج1، ص 23.

(3) ندية حفيز: ابن المقفع وكتابة كليلة ودمنة – دراسة تحليلية –، دار هومة، الجزائر، دط، 2012، ص 283.

(4) عبد الحميد بن هدوقة: أمثال جزائرية –أمثال متداولة في قرية الحمراء ولاية برج بوعريريج–، دار القصبة، الجزائر، دط، 2007، ص13.

ج- بين المثل الشعبي والعبارة التقليدية:

يقصد بالعبارة التقليدية تلك «الأقوال والتعبيرات الاصطلاحية التي تقال في بعض المناسبات المتكرّرة كالدعاء للإنسان أو عليه، والتحيّة في المقامات والأحوال المختلفة، وتسبيح الله وذكره، وغير ذلك من المناسبات»[1].

وما أكثر هذه العبارات في حياتنا فهي حاضرة في المحادثات اليومية، في الأعياد، في الزيارات في الدعاء و...إلخ. ومن أمثلتها: "صحّ عيدك" التي تقال في عيدي الفطر والأضحى، و "صحّ فطورك" التي تقال للصائم و"مبروك عليك" للتهنئة، و "أهلا وسهلا و قرّب" للترحيب، و "الله يسترك" في الدعاء للإنسان، وغيرها من الأقوال التي سارت مسير الأمثال.

فالعبارة التقليدية إذن توافق المثل الشعبي في الإيجاز وفي كثرة تداولها بين الناس، لكنّها تختلف عنه فيما يلي:

ج/1- شرط المثل الشعبي الأساسي هو التشبيه، أمّا العبارة التقليدية فلا تستوفي هذا الشرط فهي «لا تشتمل على تشبيه البتة، ومن ثم فهي ليست من الأمثال في شيء، وإن كانت تجري مجراها»[2].

د- بين المثل الشعبي والنادرة:

النادرة هي قصة صغيرة يغلب عليها الطابع الهزلي، تشبه المثل في كثير من النقاط منها الإيجاز ورشاقة التعبير والنقد والإصلاح، « إلاّ أنّها لم تشع في الجمهور، ولم يختزنها إلاّ الخواص وليس بينها وبين المثل إلاّ الذيوع وضده »[3].

فالمثل الشعبي والنادرة شيء واحد لولا درجة الشيوع، حيث يكون المثل متداولا بين الجميع، ولا يكون عند فئة محدودة كما هو حال النادرة الحبيسة بين الخواص، إضافة إلى كون النّادرة أطول في الصياغة.

---

(1) عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية – دراسة تاريخية تحليلية –، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988، ص 21.

(2) المرجع نفسه، ص 23.

(3) إسحاق بن إبراهيم الفارابي: ديوان الأدب، ص 47.

3- نشأة المثل الشعبي:

المثل الشعبي هو صورة صادقة عن البيئة التي نبع منها، وهو ترجمان تفكير الشعب وآرائه، والمعبر عن تجارب الحياة اليومية، وعلاقة الإنسان بالمثل قديمة جدا «لذلك فمن العسير إن لم نقل من المتعذر الجزم بتاريخ نشأة الأمثال عنده، ولكن لمّا كانت الأمثال وليدة تجارب الناس في تعامل بعضهم مع بعض فمن المحقّق أنها بدأت تظهر بعد تكوّن المجتمعات البشرية الأولى»[1].

ومن الأسباب أيضا التي أدّت إلى صعوبة معرفة تاريخ ظهور المثل الشعبي مجهولية المؤلف، فالمثل الشعبي يقوله فرد بعينه لكنه سرعان ما يذوب في الجماعة ويصبح المثل ملكا للجميع، كما أن الناس في تناقلهم للمثل لا يعيرون أي اهتمام لصاحب المثل؛ لأن قيمة المثل تكمن في مضمونه لا في صاحبه. والقول نفسه عن الأمثال العربية فقد «رُوِيت غفلا عن النسبة إلى قائل بعينه مما يؤدّي إلى صعوبة تحديد زمن نشأتها أو زمن مضربها الأول»[2].

غير أنّ حفاظ الأمثال على صيغتها الأصلية، قد يُسهّل ولو بشيء قليل من معرفة المكان أو الزمان الذي قيلت فيه، وذلك من خلال السمات الدالة في نص المثل كاسم القبيلة، أو اسم شخص أو تصوير حالة المجتمع أو بيئة، أو حدث تاريخي...إلخ.

---

(1) كمال خلايلي: معجم كنوز الأمثال والحكم العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1998، من مقدمة الكتاب.

(2) إميل بديع يعقوب: موسوعة أمثال العرب، ج1، ص 33.

المبحث الثاني: علاقة المثل الشعبي بالحكاية.

ترتبط الكثير من الأمثال الشعبية بحكايات قد تكون وقعت وقد تكون مخترعة، إذ يُستعصى في بعض الأحيان فهم مقصود المثل فتكون الحكاية التي تمثّل سبب نشأته المفسر والشارح له. فهي «تعين على فهم الأمثال فهما دقيقا، وذلك بتفصيل الأحداث التي تكتنفها، كما أنّها تعين على تحديد مضاربها واستخدامها في الكلام استخداما سليما»[1].

فالحكاية هي أصل المثل، وبالتالي هي سابقة عنه دائما، لكن الدكتور "التلي بن الشيخ" ينفي هذه الأسبقية بقوله:

«نحن لا ننفي تأثّر المثل بالقصة و العكس صحيح، ولكنّنا نميل إلى الاعتقاد بأنّ هذا التأثر لا يعني أُبوّة القصة أو الحكاية للمثل، ويترتّب عن هذا الزعم أنّ المثل قد نشأ متأخّرا عن القصة أو الحكاية، ونحن لا نملك دليلا تاريخيا يثبت سبق القصص والحكايات على الأمثال، بالإضافة إلى أنّ القـول بأسبقية قصّة أو حكاية على المثل يترتّب عليه أنّ المثل كان ثمرة تأمل وتفكير مجرّد»[2].

يرى "التلّي بن الشيخ" بأنّه لا توجد أيّة حقيقة تاريخية تؤكّد بأنّ الحكاية أسبق من المثل، وأنّ المثل الشعبي معروف بالبساطة والعفوية والوضوح في المعنى، واعتباره وليد القصة يعني انتفاء الخصائص المذكورة منه.

ونحن لا نؤيّده في هذا القول بل نخالفه؛ لأنّه «من المنطقي جدّا أن يكون الشكل البسيط من الكلام أسبق من الشكل المعقّد أو المركّز، كما يكون اللّبن أسبق من الزبدة »[3].

أي أنّ المثل هو زبدة الحكاية أو عصارتها.

1- علاقة المثل الشعبي بالحكاية الواقعية:

غالبا ما يُستنبط المثل الشعبي من حكاية واقعية، ومصداق ذلك قوله "عز وجل":

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾[4].

---

(1) عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية – دراسة تاريخية تحليلية –، ص 298.

(2) التلّي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1990، ص 56.

(3) عيسى لحيلح: محاضرة المثل الشعبي، السنة الجامعية 2011/ 2012.

(4) سورة الزخرف: الآية 55، 56.

ومن أمثال جيجل الشعبية التي يقال بأنّها نشأت من قصص واقعية ما يلي:

-" أَنَا نَبْكِي لابْنْ يمَّا وْ هُوَّ يْسَبَّغْ * وَ يْمَرَّغْ ** "وحكايته «أنّ رجلا ذهب لزيارة أخته التي تعيش في خص، فرحّبت به وأكرمته بما تملكه من طعام والمتمثل في قطع من الخبز وقليل من زيت الزيتون، جلست بجانبه تشكوه عن فقرها المقذع، علّه يرأف بحالها فيترك ذاك الطعام لأولادها، لكنّه لم يعطها أذن الاستماع بل كان منهمكا في الأكل، فلما رأته لا يعيرها اهتمامه قالت هذه الجملة: أَنَا نَبْكِي لابْنْ يمَّا وْ هُوَّ يْسَبَّغْ وَ يْمَرَّغْ »[1].

-" رُوحْ يَاقْرَايْتِي فِي تَمْرِيغَةْ كَلْبْ ": قيل هذا المثل في قصة مفادها «أنّ أناسا رأوا كلبا يتقلّب في الأرض فتوقّعوا نزول المطر في اليوم الموالي انطلاقا من إيمانهم بمعتقد تقلّب الكلب، لكنّ رجلا عالما بالفلك راهنهم بأنّ الجو سيكون صحوا، انطلاقا من معطيات علمية مدروسة... وجاء يوم الغد وقد تغلّب فيه المعتقد على علم الرجل، إذ نزلت الأمطار بقوّة، حينئذ قال الرجل: رُوحْ يَاقْرَايْتِي فِي تَمْرِيغَةْ كَلْبْ »[2].

ومن هنا صارت هذه الجملة مثلا يضرب عندما يلاحظ تغلب التجربة أو المعتقد على العلم.

-" الطَالَبْ *** رَبِّي": قيل «أنّ امرأة تعرّضت للسبّ والشتم من الطالب، فذهبت إلى بعض الناس تشتكي عنه، فلم يصدّقوها؛ لأن المشتكى عنه هو الطالب، الذي يُعرف بالتقوى والورع ولا يؤذي أحدا. فعندما رأت المرأة انخداع الناس به قالت: الطَّالَبْ رَبِّي»[3]. لتصبح هذه الجملة مثلا يضرب في عدم الانخداع بالمظاهر.

2- علاقة المثل الشعبي بالحكاية بالخرافية:

ليست الخرافة المقصودة هنا ذلك النص السردي الخيالي المحكم، الذي يكسر فيه الإنسان كل الحواجز بغية التواصل مع الطبيعة أو الغيبيات إنّما الخرافة هنا هي «حكاية ذات طابع خلقي وتعليمي في

---

* يْسَبَّغْ: يغطس الخبز في الزيت.

** يْمَرَّغْ: يقلب.

(1) روتها بالعامية، الظريفة بورويس، 93 سنة، بلدية الأمير عبد القادر، يوم 04/ 04/ 2013.

(2) المصدر نفسه.

*** الطالب: هو الحافظ لكتاب الله، يدرّس القرآن، و يعالج الناس بكتابة الأحجبة والتمائم.

(3) روتها بالعامية: مسعودة قريمس، 60 سنة، بلدية قاوس، يوم 04/12 /2013.

قالبها الأدبي الخاص بها، وهي تنحو منحى الرمز في معناه اللغوي العام لا في معناه المذهبي (...) غالبا ما تحكى على ألسنة الحيوان أو النبات أو الجماد، ولكنّها قد تحكى كذلك على ألسنة شخصيات إنسانية تتّخذ رموزا لشخصيات أخرى» [1].

هذا الجنس الأدبي موجود في مختلف الآداب العالمية، كحكايات "كليلة ودمنة"، التي ترجمها "ابن المقفع" من الفارسية إلى العربية، وكذلك قصص "لافونتين" الفرنسية. يطغى عليها الطابع الرمزي في تناول الواقع المعاش وتهدف إلى معنى خلقي نبيل هو التربية والتعليم والإصلاح، تلخّصه حكمة أو مثل في آخره.

وكم هي كثيرة الأمثال الشعبية التي تلخّص الحكايات الرمزية في منطقة جيجل، سنحاول في هذا المقام أن نورد بعض النماذج منها:

- " يَبْرَاوْ ضَرْبَاتْ الفِيسَانْ * وْمَا يَبْرَاوْشْ ضَرْبَاتْ اللّسَانْ " وحكاية هذا المثل أنّ «امرأة كان يفصل بين بيت زوجها وبيت أهلها وادي دائم الجريان، لا تستطيع عبوره إلاّ بمساعدة الأسد، الذي لم يكن يوما ليبخل عليها في هذا العمل الخيري.

وذات مرّة تبع الأسد المرأة إلى غاية بيت أهلها، وبقي يستمع إلى الحديث الذي يدور بينهم، فإذا به يصدم بما قالت عنه، لقد اغتابته، فجرحت مشاعره بكلامها القاسي...مرّت الأيام ومازال أثر الكلام يؤلم الأسد، فأخذ الفأس وذهب به إلى المرأة لتضربه به، فأبت وهي مستغربة من هذا الفعل، لكنّه أصرّ عليها حتى ضربته على رأسه فجرحته، فذهب وهو ينزف دما، وبعد أيام عاد إليها وهو سليم معافى يسألها إن بقي هناك أثر لجرح رأسه أم لا، فأجابته بلا، حينئذ أخبرها بأن جرح قلبه لم يندمل بعد جراء لسانها اللاذع، وأنه " يَبْرَاوْ ضَرْبَاتْ الفِيسَانْ وْمَا يَبْرَاوْشْ ضَرْبَاتْ اللّسَانْ" ثم أكلها»[2].

إن هذا المثل يلخّص مغزى الحكاية وهو التوخّي من زلّة اللّسان، لأنّها أشدّ من جرح السّنان، فالفأس تقطع به الأغصان وحتى جذوع الأشجار، لكنّها تعود بعد وقت لتحيا من جديد، وكأنّها لم تقطع يوما

---

(1) غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار نهضة مصر، دط، القاهرة، مصر، 2003، ص 148.

* الفيسان: جمع كلمة فاس (فأس).

(2) روتها بالعامية، الظريفة كحيلة، 68 سنة، بلدية القنار، يوم 20/ 12/ 2005.

أمّا اللسان فجرحه عميق، يؤدّي بصاحبه إلى الهلاك كما حدث للمرأة. يقول "الإمام الشافعي" في هذا الشأن:

«إِحْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الإِنْسَـانُ لاَ يَلْـــدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَـــانُ

كَمْ فِي المَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الأَقْرَانُ»[1].

- " دِيرْ النِّيَّة وَارْقَدْ فِي الثْنِيَّة *": وقصّته أنّ «النيّة والحيلة كانتا مسافرتين، وفي طريق عودتهما إلى الديار حلّ الظلام، وكان الطريق في أوّله، فقالت الحيلة للنيّة: لم لا نبيت هنا وفي الصباح الباكر نكمل سيرنا، فوافقت النية واختارت الحيلة أمكنة المبيت، اختارت لنفسها مكانا آمنا، وتركت المنحدر (آجْدِيرْ / آزَدْرِي) الذي يمر عليه الخنزير للنيّة، فنامت هذه الأخيرة وهي لا تدري مخاطر المكان، وعندما أتى الخنزير ليمرّ على طريقه المعهود، رأى النية نائمة هناك فراع منها، وانطلق فارّا باتجاه مكان الحيلة فدهسها»[2].

لم تكن هذه الحكاية الرمزية عبثا فارغا لا طائل منه، ولم تكن للتسلية والترفيه بقدر ما كانت للتربية والتوجيه إلى مكارم الأخلاق، فالنيّة هي رمز لإنسان حسن النيّة، طيّب الطويّة، صافي السريرة، والحيلة هي رمز لشخص سيء النية، خبيث الطوية، عكر السريرة. فمن كان حسن النيّة كان جزاؤه خيرا، ومن كان سيئ النية فلن يفلح أبدا، ولن ينقلب سحره إلا عليه، ولن يتحقق مكره إلا فيه كما حدث في هذه الحكاية.

---

(1) محمد بن إدريس الشافعي: الديوان، دار الهدى، الجزائر، دط، دت، ص 45.

* الثْنِيَّة: الهضبة.

(2) روتها بالعامية، الظريفة بورويس، 93 سنة، بلدية الأمير عبد القادر، يوم 2013/04/04.

المبحث الثالث: حضور المثل الشعبي في المجتمع الجيجلي.

كانت الأمثال الشعبية قديما في جيجل هي ضمير الشعب ولسانه؛ لأنّها تعبّر عنه بصدق وبساطة وإيجاز، لذلك شغلت حيزا كبيرا من كلامه، ومع مجيء المد الحضاري الزاحف بكل مغرياته أخذ الناس ينصاعون وراءه، هذا ما جعلنا نتساءل إن كان لهذا الانصياع تأثير على إقبال أهل جيجل على المثل الشعبي أم لا؟ فما مدى حضور المثل الشعبي في المجتمع الجيجلي؟ وما الداعي من حضوره في كلامهم؟

1- تداول المثل الشعبي بالمنطقة:

إنّ المثل في الكلام كالملح في الطعام — إذا جاز التعبير-، فإذا كان مذاق الطعام مرهون بالملح فكذلك الكلام، حسنه وجماله مرتبط بتواجد الأمثال فيه، غير أنّ الملح لو زاد عن حدّه المطلوب فسد الطعام ولم يعد مستساغا، أمّا الأمثال فهي عكس ذلك، فكلّما كثر تواجدها في الكلام ازداد رونقا وبهاء ودلالة وتأثيرا. يقول "علي بن محمّد الماوردي":

«وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها، لأنّ المعاني بها لائحة والشواهد بها واضحة، والنفوس بها وامقة، والقلوب بها واثقة والعقول بها موافقة»[1].

من خلال عملية جمع الأمثال الشعبية بجيجل، تبيّن لنا حضورها القوي في المجتمع، فهي تحتلّ مكانة الصدارة مقارنة بالقوالب التعبيرية الشعبية الأخرى، وهي منتشرة في كلامهم بشكل كبير، هذا ما أكسبها خاصية التداول وأبعدها عن دائرة النسيان كما حدث لبعض المورثات الشعبية. والملاحظ على الأمثال الشعبية أيضا أنّها حاضرة على مدار أيام السنة، فلا ترتبط بمناسبة معينة، كما أنها محبّبة لدى الجميع؛ لأنّها «واقعية، بعيدة البعد كلّه عن الوهم والخيال، ومن هنا تتميّز الأمثال عن الأقاويل الشعرية»[2].

---

(1) علي بن محمد الماوردي: أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، دار إقرأ، بيروت، لبنان، ط 4، 1985، ص294.

(2) جلال الحنفي: الأمثال البغدادية، ج1، مطبعة أسعد، بغداد، العراق، دط، 1962، ص 03.

غير أن نسبة استعمال الأمثال الشعبية في كلامهم تختلف من منطقة لأخرى، فالمناطق الريفية أكثر تداولا وتناقلا لها بحكم حفاظهم على التراث الشعبي، أمّا أهل الحضر فينخفض تداولهم لها بفعل التمدّن الذي أصابهم هذا مقارنة مع أهل الريف، لكن لو قارنّا استعمالهم للمثل الشعبي مع استعمالهم للموروثات الشعبية الأخرى لوجدنا الفارق شاسعا، فحصة المثل في التداول مع هذه الموروثات أكبر بكثير، ومنه نقول بأنّ المثل الشعبي مازال مستعملا في الحياة اليومية رغم متطلبات حياة المدينة ولو بنسبة أقل من حياة الريف أو من الحياة القديمة.

إنّ الشريحة الأكثر تداولا للمثل الشعبي بمنطقة جيجل هي الفئة البالغة العاقلة، خصوصا المسنّين الذين أكسبتهم الحياة العديد من التجارب والخبرات، فصاغوها على شكل أمثال اختصرت لهم طول الكلام.

أمّا الأطفال فهم حديثو العهد بالحياة، لذلك لا نجدهم يتداولون الأمثال، فهم في مرحلة التعلّم والاستفادة من مواقف الحياة، وإذا ما ضرب الكبار أمثالا للصغار فهي من أجل العظة والتربية، فالمثل الشعبي إذن هو ملخص تجارب الكبار ومدرسة لتعليم الصغار.

وأمّا عن الجنس الأكثر استعمالا للمثل فهو جنس النساء؛ لأنّهن يكثرن الجلسات، ويحببن التكلّم بالكنايات، ومن خصائص المثل جودة الكناية.

2- دواعي حضور المثل الشعبي في الكلام:

لا يُذكر المثل الشعبي في الكلام اعتباطا من دون سبب، ولا من أجل تنميقه وتزيينه، بل ضربه في الكلام مقصود وهادف؛ لأنّه يعمل على «تقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مُثّل به»[1].

ولأنّه يؤدي جملة من الوظائف داخل المجتمع هي:

أ- الوظيفة التواصلية:

يأتي المثل الشعبي في الكلام ليُحدث التواصل بين الناس، فعندما يجتمعون في مجلس ما، يتبادلون أطراف الحديث فيزيّنونه بمُلح الكلام كـ «ذكر آيات من القرآن الكريم وحديث الرسول صلّى الله عليه

(1) ابن قيم الجوزية: الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، 1981، ص22.

[وآله] وسلّم أو بالأمثال، ويُستدلّ على ثقافة المتحدّث بكثرة ما يأتي به من ذلك، بل ويكون محل احترام وتقدير إذا عرف كيف يسردها ويعلّق عليها»[1].

ب- الوظيفة الإقناعية أو الحجاجية:

تُؤدّى هذه الوظيفة في المعاملات اليومية كالتجارة، حيث يعمد التاجر من أجل ترويج بضاعته إلى تعزيز كلامه بالأمثال بغية إقناع الزبائن بمنتوجه، «وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية وقد يقتصر على إقامة الحجة الخطابية، وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صور مشابهة»[2].

كأن يعرض بائع ما أدوات تقليدية للبيع وهو يردد المثل الشعبي القائل " الجْـدِيدْ حَبُّـه والقْدِيمْ لاَ تْفَرَّطْ فِيهْ" أو يعرض سلعة غالية الثمن، وإذا ما سأله الزبون عن سبب الغلاء يجيبه بالمثل: " بُورَخْصُو طَيَّشْ نَصُّه" أو "أشْرِ العَالِي ولُو كَانْ سُومُه غَالِي "...

ج- الوظيفة التنبيهية:

يلفت المثل الشعبي في كثير من الأحيان انتباه السامع، وتحذيره كي يكون مستعدّا لاستقبال الطارئ، كما في قولهم: "السَّنْ يَضْحَكْ لَلسَّنْ وَالقَلْبْ فِيهْ الخْدِيعَة"، حيث ينبّه هذا المثل إلى عدم الوثوق بأيّ شخص كان؛ لأنّه قد يكون الظاهر شيئا، والباطن شيء آخر. أو في قولهم: "الحِيطَانْ بْوَذْنِيهَا"، وهو مثل يشير إلى أخذ الحيطة والحذر أثناء التلفّظ بالأسرار.

د- الوظيفة الحوارية:

يكون المثل الشعبي هنا جوابا لسؤال واستفسار ما، كأن يستشير الرجل والده في دخوله في شراكة مع مجموعة من الناس في مشروع ما، فيجيبه الوالد بالمثل القائل "الشَّرْكَة هَلْكَة وَلَوْ فِي مَكَّة"، أو بالمثـل الآخر " مَنْ وَاحَدْ تَعْمَرْ وْمَنْ عَشْرَة تَخْلَى*"، فيفهم الابن رفض والده الشراكة.

---

(1) قادة بوثارن: الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة: عبد الرحمن حاج صالح، دار الحضارة، الجزائر، دط، دت، ص 04.

(2) عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 2، 1992، ص 59.

* تَخْلَى: تفسد وتتفرّق.

هـ- الوظيفة الترفيهية:

يعدّ المثل الشعبي من وسائل الترفيه والترويح عن النفس، فهو يُذهب الهمّ والحزن عن الإنسان ،كما في هذه الأمثلة:

" الصَابَرْ يْنَالْ " و " المُومَنْ يَتَّاذَى * "، هي أمثال تقال لمن ابتلـــي بنائبه من نوائـــب الدهر كالـمرض أو الموت أو...، فتعمل على التخفيف والترويح عنه.

" كَلْ عَطْلَة فِيهَا خِيرْ "و "الشْغَلْ المْلِيحْ يْطَوَّلْ" تقال للشخص الذي حدث له عسر في أمر ما، حتّى يطمئنّ ويهدأ باله.

وعلى غرار هذه الوظائف يُستدعى المثل في الكلام ليـــؤدي دور المربّي والموجّه في المجتمع، وهـــذا ما سنراه لاحقا في الدلالة التربوية الأخلاقية.

* يَتَّاذَى: يتأذّى، والمقصود هو الابتلاء.

المبحث الرابع: خصائص أمثال جيجل الشعبية.

يشتمل المثل الشعبي في جيجل على جملة من الخصائص ميّزته عن باقي فنون القول الشعبية، وبوّأته مكانة هامة في المجتمع وفي الساحة الأدبية وهي كالآتي:

1- خصائص فنية:

يعدّ المثل الشعبي الجيجلي لوحة فنّية رائعة، غنيّة بالقيّم الجمالية، تصوّر قدرة الإنسان على الإبداع انطلاقا من لغة بسيطة هي لغة العامة، وتدحض فكرة «من يرون فيه سوى أداة التحليل المضموني المتعلّق بفروع العلوم الاجتماعية مثل التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس (...) وهي كما نرى بعيدة عن الموضوعية»[1]؛ لأنّ اللغة العامية لا تقف حائلا أمام الإبداع الفني.

أ- اللغة:

يعرّف "ابن جنّي" اللّغة بقوله:

«أمّا حدّها (فإنّها أصوات) يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»[2].

أي هي وسيلة لنقل الأفكار والمشاعر، ووسيلة من وسائل الاتصال بين الناس.

أمّا تعريفها عند دراسي الأدب الشعبي فـ « تعني المعنى العربي القديم الذي يقابل ما نسمّيه اليوم باللّهجة»[3].

فنقـول: المثل + الشعبي، لأنّه مصاغ بلهجة ما، كلهجة جيجل التي تميّز سكـانها عن باقي الناس من خلال الصفات اللّغوية التي يشتركون فيها، وهي إحدى تأديات العامية الجزائرية التي توصف بقربها الكبير إلى العربية الفصحى، وهو ما يؤكده "أحمد توفيق المدني" بقوله:

«العامية عندنا هي العربية التي نزل بها القرآن، إنّما دخل عليها تحريف قليل (...) ونحن بذلك أقرب الأمم العربية إلى العربية الفصحى، وهي ميزة لبلادنا لا يستطيع نزعها أحد»[4].

---

(1) Ahmed Lamine : La poésie populaire Algérienne à Sidi Khaled et ses relations avec le patrimoine culturel arabo – islamique de 1850 à 1950, Edition de l'El-Amel, Algérie, 2012, P262.

(2) عثمان بن جني: الخصائص، ج 1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص87.

(3) العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج 1، ص 193.

(4) أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2010، ص 179.

وهذا ما نستشفّه من أمثال جيجل الشعبية، حيث نجد معظم كلماتها ذات أصول عربية مثل:

-" اللْسَانْ الحْلُو يَرضَعْ اللَّبَّة".

كلّ الكلمات المكوّنة لجملة هذا المثل الشعبي عربية، وحتى كلمة "اللّبة" إذ يقصد بها "اللبؤة" وهي أنثى الأسد.

-" إذا غَابْ الزّينْ يَبْقَاوْ مَّايْرُه" .

"مَّايْرُه" هي الأخرى كلمة عربية فصيحة؛ لأنّ المقصود منها هو "الأمارات" جمع "أمارة"، التي تعني السمة أو العلامة. « قال الأصمعي: الأمارة العلامة، تقول: اجعل بيني وبينك أمارة أو أمارا، قال:

إذَا الشَّمْسُ ذَرَّتْ فِي البِلاَدِ فَإِنَّمَا أَمَارَةُ تَسْلِيمِي عَلَيْكِ فَسَلِّمِي»[1].

أي أنّ الشمس هي علامة سلامه.

-" اللّي قَارِيهْ الدِيبْ حَافْظُه السْلُوقِي ".

تبدو كلمة " السْلُوقِي " بأنّها كلمة دارجة، لكنّها على العكس من ذلك بل هي عربية فصيحة؛ لأنّ «السلوقي نوع من الكلاب الجيّدة، منسوب إلى قرية سلوق باليمن، تنسب لها الكلاب والجياد الجيدة»[2].

كما تخضع الجمل فيها إلى نظام الجملة العربية من حيث الصياغة، فنجد علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه في الجملتين الاسمية والفعلية:

-" اللـــهْ غَالَبْ يَا الطَّالَبْ " ← جملة اسمية.

مبتدأ خبر

(مسند إليه) (مسند)

-" طَـــاحْ الحَكْ لْقَى غْطَاهْ " ← جملة فعلية.

فعل فاعل

(مسند) (مسند إليه)

---

(1) أحمد بن فارس الرازي: معجم مقاييس اللغة، ج 1، ص 75.

(2) عثمان سعدي: معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)، دار الأمة، الجزائر، دط، 2012، ص 147.

ونجد الأفعال " الماضية" و "المضارعة" و "الأمرية":

- " صَـــــامْ عَامْ وَافْطَرْ عْلَى جْرانَة * "، " صَيّـدْ الفِيرانْ رَحّلْ الجِيرَانْ".

فعل ماضي فعل ماضي

-" عْلَى حَاجْتِي نْقُـــــولْ للكَلْبَة خَالْتِي "، "الكَرْشْ تْهَزْ الرَّكْبَـة" .

فعل مضارع فعل مضارع

-" ألْبَـــــسْ مَا قَدَّكْ، وامْـــشِ مْعَ نَدَّكْ، وْ تَبَّـــــعْ سِيرَةْ بَابَاكْ وجَدَّكْ ".

فعل أمر فعل أمر فعل أمر

واسما الفاعل والمفعول:

-"أَنَا نَحْفَرْ لُه في قَبْرْ امُّه وْ هُوَّ هَـــارَبْ لِي بَالفَاسْ".

اسم فاعل

-" نَاكَلْ طْعَامْ المَعْفُـــونَة وْمَا نَاكَلْشْ طْعَامْ المنَّانَة ".

اسم مفعول

وظرفا الزمان والمكان:

-" النَّارْ تَحْـــتَ التْبَنْ "، "كِالنُوم فُـوقْ الدَّابْ".

ظرف مكان ظرف مكان

-" إذا حَمَرْتْ مْعَ الْعْشِيـــةَ هَيِّئ البَرْدَعْ وَالعْبِيَّة ، وِ اذَا حَمَرْتْ مْعَ الصْبَـــــاحْ خَلّ دْوِيَّكْ يَرْتَاحْ".

ظرف زمان ظرف زمان

وحروف الجر والنصب والنداء والنفي و....إلخ :

-" تَايَبْ عْلَـــى اللْحَمْ وَيَحْسِي المَرْقَة"، " رَاحْ فِي كِيلْ الزِّيتْ".

حرف جر حرف جر

-"عِيشْ يَا عِيَّاشْ حَتَّى يْطِيبْ** المَشْمَاشْ".

حرف نصب

---

* جْرَانَة: ضفدع.

** يْطِيبْ: ينضج.

-" يَـــــا المْزَوَّقْ مَنْ بَرَّى وَاشْ حْوَالَكْ مَنْ دَاخَلْ؟ "

أداة نداء

-"مَـــــا نَاكَلْ البْصَلْ مَا نَحْصَلْ".

أداة نفي

كما نجد ظاهرة "النحت":

-" يَا قَاتَلْ الرُّوحْ لاَيَـــــنْ تْرُوحْ ؟ ".

إلى أين

- "المُوتْ مْقَدْرُه رَبِّي وَالخُوفْ عْلاَشْ ؟"

على أيّ شيء

أضف إلى ذلك استعمالهم – تقريبا- معظم الأوزان العربية مثل: "فَعَّال"، "مَفْعَل"، "فَعَّلَ"، "فَعْلَة" ...إلخ كقولهم:

-" تَبَّعْ الكذَّابْ لْبَابْ الدَّارْ ".

فَعّال

-" وَاحَدْ يَحْلَبْ والآخَرْ شَادْ المَحْلَبْ ".

مفْعَل

-"خَلَّطْ شَعْبَانْ فِي رَمْضَانْ ".

فَعَّلْ

- " عَشْبَة عْلَى عِينْ فَلُّوسْ * ! ".

فَعْلَة

وصيغ الجمع العربية كجمع المؤنث السالم وجمع المذكر السالم وجمع التكسير و اسم الجمع، كما في قولهم:

-"النْهَارْ يْرُوحْ بَالوَقْفَاتْ والزَّبْدَة تْرُوحْ بالقَطْفَاتْ "

جمع مؤنث سالم جمع مؤنث سالم

* فلوس: صغير الدجاج (الصوص).

-"مْطَابَسْ وَيْخَيَّطْ فِي الكْبَابَسْ".

جمع تكسير

-" عَشْرَة نْسَـــــا وَ القَرْبَة يَابْسَة ".

اسم الجمع

وغير ذلك من الأمثلة التي تبيّن قرب لهجة أمثال جيجل إلى العربية الفصحى.

غير أنّنا في مقابل ذلك نجد منها ما يخالف نظام اللغة العربية، سواء في أصواتها أو نحوها أو صرفها أو في دلالة ألفاظها، لذلك لم ترق إلى مستوى النصّ الفصيح، ومن بين التغيرات التي طرأت عليها نذكر:

أ/ 1- على مستوى الحروف:

• **الهمزة:** أُسقطت تقريبا من جميع الكلمات، سواء كانت الكلمة حرفا أو اسما أم فعلا، وهذا من طبيعة اللهجة المحلية التي تميل إلى التخفيف في النطق:

-"نَاكَـــلْ الخَبْزْ والـــمَا وْنَرْفَعْ رَاسِي للسْـــــمَا.

(فعل: آكل) (اسم: الماء) (اسم: السماء)

-" جَـــــا يَسْعَى غَبَّرْ * تَسْعَة ".

(فعل: جاء)

-" مَا تَكْبَرْ الاَّ الزَّبَّالَة ".

(حرف استثناء: إلاّ)

• **الثاء:** تنطق تاء مباشرة، لصعوبة مخرجها وميل اللّهجة إلى التخفيف:

-" التُّورْ المَعْفَافْ مَا رَبَّى كْتَافْ "، " لَا مْزِيَّة لَا كَتْرَانْ خِيرْ ".

الثور كثران (كثرة)

• **الحاء:** تضاف دائما كسابقة للأسماء:

---

* غبّر: ضيّع.

-" مَاكْلَة الدَّابْ بَالعَشْبَة تْخَلَّصْ حَالدَّامُوسْ *".

الداموس

•**الدال**: تستخدم هي الأخرى كسابقة للأسماء:

-" اللِّي اسْتْحَى فِيمَا ضَرُّه دَالشِّيطَانْ غَرُّه ".

الشيطان

• **الذال**: تنطق دالا لتخفيف النطق، ذلك أن مخرجها يكون من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وهو مخرج ثقيل، واللهجة تتحاشى كل ما هو ثقيل:

-" ذْكُـــرُوهْ مْرَابَطْ ** نَاضْ يَتْهَزَّزْ ***"،"الدوَّاقْ مَا يَشْبَعْ مَايَقْنَعْ، يْخَلِّي غِيرْ القَلْبْ يَتْوَجَّعْ".

ذكروه الذوّاق

• **الشين**: تستعمل كلاحقة مقرونة بالأفعال والأسماء المسبوقة بـ "ما"، وهي ترخيم لكلمة شيء:

-" لْبَاسْ الغِيرْ مَا يْدُومْشْ وِ اذَا دَامْ مَا يْدَفِّيشْ ".

لا يدوم لا يدفئ

•**الضاد**: تنطق طاء في بعض مناطق جيجل:

-"دْرَاهَمْ الشِّيلِي تَاكَلْهُمْ الطْلاَلَة".

الظل

-"الكْلاَمْ لجَارْتِي والمعْنَى لْطَارْتِي".

الضرّة

---

* الدَّامُوسْ: أكوام من التبن.

** مْرَابَطْ: مشعوذ.

*** يَتْهَزَّزْ: يقلد أفعال المشعوذين.

• **الظاء**: ينطق هذا الحرف ضادا (ض) لصعوبة مخرجه، وشأنه في ذلك شأن الثاء والذال:

-" الشَّرْ مَا يَضْلَمْشْ "، " الضَّلْمَة وَالكَلْبْ اعْمَى " .

لا يظلم الظُّلْمَة

• **القاف**: يكاد حرف القاف في كثير من مناطق يتماهى في حرف الكاف لقرب مخرجيهما:

-" كَـــهْوَةْ مُوحْ أَشْرَبْ وْرُوحْ".

قهوة

• **الكاف**: تستعمل بذل الكلمات الظرفية "حينما" و "عندما":

-"كِـــتْجِي تْجِي مَنْ شَعْرَة وْكِـــتْـرُوحْ تْقَطَّعْ السْنَاسَلْ ".

عندما

-" شَهَّانِي وْلَهَّانِي وْقَالْ لِي نْلَبَّسْ لَكْ خَلْخَالْ، كِـرُوحْتْ لْقِيتْ عْشَاهْ نَخَّالْ".

حينما

• **الميم**: تستخدم مكان "لا" الناهية أو "لا" النافية:

-" مَـــــا تَبْنِيشْ الدّارْ حتَّى تْشُوفْ الجَارْ ".

حرف نهي

-" مَـــــا فِي كَرْشِي التْبَنْ مَـــــا نْخَافْ مْنَ النَّارْ ".

حرف نفي حرف نفي

• **الياء**: تضاف بين الجار والمجرور تخفيفا للثقل الموجود عند التقاء بعض الحركات مثل قولهم:

-" عْبِيتْ * بِيكْ يَا الهَمْ وانْتَ مَا عْبِيتْ بِيَّ ".

بك

فالتقاء الكسرة بالسكون أحدث ثقلا في النطق، مما أدّى إلى إشباع الكسرة لتيسيره.

* عبيت: رضيت.

أ/ 2- على مستوى القواعد النحوية والصرفية:

•لا وجود للحركات الإعرابية في المثل الشعبي الجيجلي، فطبيعة اللّهجة تحتّم «تسكين أواخر الكلمات في الغالب (...) ومن هنا ضاع الإعراب بضياع الحركات المحدّدة لمكان الكلمة فيه»[1].

فقد أصبح الفعل الماضي المبني على الفتح مبني على السكون، والفعل المضارع ساكن الآخر سواء في حالة الرفع أو في حالة النصب، وكذلك الفاعل والمفعول والاسم المجرور والمبتدأ والخبر و...إلخ :

- " الرَّبْحْ يْشَدُّ المْفَاصَلْ".

مبتدأ فعل مضارع مفعول به

-" فِي وَقْتْ الصْيَادَة نَاضْ السْلُوقِي يْبُولْ".

اسم مجرور فعل ماضي فعل مضارع

-" يَنْغَزْ * الدَّابْ ويدَّرَّقْ ** وْرَا البَرْدَعْ ".

فعل مضارع مفعول به فعل مضارع

-" القَلْبْ قَاصَدْ وَاللْسَانْ فَاسَدْ ".

مبتدأ خبر مبتدأ خبر

•مطابقة الفعل الفاعل في حالة الجمع:

-" مَا يَنْضْرَبْ الكَلْبْ حتَّى يَنْعَرْفُوا مَّالِيهْ ".

يُعرف أهله

•التعبير عن المثنى بصيغة الجمع دائما:

" الرَّاعِي والخمَّاس يَضَّارْبُوا عْلى رَزْقْ النَّاسْ ".

يتخاصمان

فلو أخذنا الفعل "جاء" – مثلا- لنصرّفه مع "أنتما" و "هما" لوجدنا:

أنتما: جيتو = أنتم: جيتو.

---

(1) العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج 1، ص 213.

* ينغز: يخز.

** يدرّق: يختبئ.

هما: جاو = هم: جاو.

والقول نفسه عن الاسم، حيث لا نجد فيه علامات التثنية وإنّما نجد علامة جمع المذكر السالم في حالة الجر والنصب وهي "الياء والنون":

-" الكْلاَمْ بِينْ اثْنِيـــنْ والتَّالتْ مَالُه وَذْنِينْ ".

اثنيْن أذنيْن

•وجود اسم موصول واحد هو "اللّي" ويعبّر عنه في بعض من مناطق جيجل بـ "الدّي" للدلالة على المفرد المذكر، والمفرد المؤنث والمثنى والجمع، والعاقل وغير العاقل:

-" اللِّي خَانُوهَا يَدَّيهَا تْقُولْ بِيَّ السْحُورْ ".

التي (للدّلالة على المفرد المؤنث)

-"اللِّي يْرُوحْ بْلاَ عَرْضَة يَقْعَدْ بْلاَ مَضْرَبْ".

الذي (للدّلالة على المفرد المذكّر)

•وجود بعض الأسماء غير خاضعة للأوزان العربية مثل:

-" مَا احْلى الفَاسْ فِي يَدِّيـنْ النَّاسْ ".

أيادي

-" إذَا قْواوْ لَرْيَـايْ يَغْرَقْ البَابُورْ ".

الآراء

كانت هذه النماذج المذكورة على سبيل المثال لا الحصر، الغاية منها هي تبيان بعض النقاط التي تلتقي فيها أمثال جيجل الشعبية مع العربية الفصحى وبعض نقاط الاختلاف، فلاحظنا أنّ الجملة تخضع لنظام العربية، لكنّ التحريف الذي وقع في بعض القواعد النحوية والصرفية حال أن ترقى الأمثال الشعبية الجيجلية إلى مستوى النص الفصيح.

ناهيك عن وجود كم كبير من الألفاظ الدارجة، والتي تستخدم مكان ألفاظ عربية مثل "العَظْمَة" للدلالة على "البيضة"، و"يَدَّرَّق" بمعنى "يختبئ"، وغيرها:

" بَهْلُولْ مَنْ شْوَى عَظْمَة وبَهْلُولْ مَنْ طْمَعْ فِيهْ "، " اللِّي يَدَّرَّقْ فِي الايَّامْ تْعَرِّيهْ ".

وكثير من الكلمات الأمازيغية مثل: "بوفكران" بمعنى "السلحفاة"، " و "زمّ" بمعنى "غلق"، "للّش" بمعنى "جمّل أو حسّن" و "زلق" بمعنى "تعثّر" و...إلخ، كقولهم:

" الرَّبْحْ يْلَلَّشْ وَالزَّلْطْ يْكَمَّشْ "، " طْلَعْ الشَّـــانْ عْلَى بُوفَكْرَانْ "، "الزَّلْقَة بْفَلقَة "، "الفَمْ المَزْمُـومْ مَا يَدَّخْلُوهْ الذَبَّانْ "...

أما الألفاظ الفرنسية فرغم تواجدها في بعض من كلام أهل المنطقة بحكم الاستعمار الفرنسي سابقا إلاّ أنّها تكاد تنعدم في الأمثال التي جمعناها لولا هذه النماذج :

- "اللّي تَقْتَاصْدُه فِي الكُـــوزِينَة تْدِيرْ بِيهْ الدَّارْ فِي المْدِينَة".

La cuisine (مطبخ)

-" يَلْعَبْهَا مْرَابَطْ وْبُولِيسْ ".

Policier (شرطي)

-" لامَانْ فِي رَبِّي والكْوَافُورْ ".

Coiffeur (حلاق)

-" مَا تَدِّيشْ البَنْتْ مْنَ الشَطْ، تَهْدَرْ تْبَلْبَلْ، تْنَاوَلْ تْفَنْدَرْ، ودِّ بَنْتْ الفَامِـي تَلْبَسْ تْجَرْجَرْ، تْنَاوَلْ تْقَدَّرْ، تَهْدَرْ تْعَبَّرْ ".

Famille (العائلة)

ومن خصائص المثل الشعبي الجيجلي أيضا **عدم تغيّر صيغته الأولى مهما اختلفت الأحوال**، حيث لا تصيبه الزيادة ولا النقصان، بل يبقى محافظا على صيغته الأولى مهما اختلفت المضارب، والسرّ في ذلك هو «أنّ المثل استعارة تمثيلية، تُستعار فيها للمشبّه الألفاظ الموضوعة للمشبّه به، فإذا غيرت هذه الألفاظ بتغير المضارب، خرج الأسلوب من حضيرة الاستعارة»[1].

فالمثل الشعبي يلتزم حالة واحدة فقط، هي الحالة الأولى التي نشأ فيها، فيبقى على صيغة المذكر وإن ضُرب على مؤنّث والعكس صحيح، يقول "محمد البشير الإبراهيمي":

---

(1) إميل بديع يعقوب: موسوعة أمثال العرب، ج 1، ص 65.

«وفيها* أنّها لا تتغيّر كالأمثال العربية، فإذا كان في المثل خطاب مؤنث فإنّهم يلتزمون بذلك، وإن كان المضروب له مذكّرا يتفطّنون بذوقهم إلى المعنى، فلا ينفـر المذكر إذا ضرب له مؤنث، وهـذا النوع من محاسن العامية»[1].

فيقولون: "تْهَنَّى الفَرْطَاسْ مَنْ حَكَّانْ الرَّاسْ"، وهو مثل يضرب على كل شخص تخلّص من حمل ثقيل كان عليه أو مشكلة كان واقعا فيها، فيقال للرجل وللمرأة وللفرد وللجماعة بنفس الصيغة وهي صيغة المفرد المذكر، ذلك أن المثل الشعبي ينظر إلى الإنسان من حيث هو إنسان فقط، كما أنّ محاولة تغيير صيغة المثل بحسب الشخص أو الأشخاص الموجّه إليهم يفقده الجمالية التي اكتسبها من خلال كسر أو اختراق القاعدة المتعارف عليها.

ب- البلاغة:

البلاغة هي فنّ تعبيري جميل، يؤدّى فيه المعنى بوضوح، في عبارة فصيحة لها أثر في النّفس مع ملاءمة كل كلام للموضع الذي يقال فيه، أي «مطابقته لما يقتضيـه حال الخطاب (...) حال الخطاب ويسمّى بـ "المقام" وهو الأمر الحامل على المتكلّم أن يورد عبارته على صورة مخصوصة، والمقتضى ويسمى "الاعتبار المناسب" وهو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة»[2].

ومن بين المظاهر التي تتراءى فيها البلاغة الأمثال، إذ نجـد عددا هائـلا من أمثال جيجل الشعبية في منتهى البلاغة، رغم بساطة العقلية الشعبية وبساطة اللغة، ذلك لاحتوائها على عناصر البلاغة كالصور البيانية والمحسنات البديعية التي تساهم في إكساب الكلام قوّة وبيانا ووضوحا.

---

* أي: الأمثال الشعبية.

(1) محمد البشير الإبراهيمي: التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر، تحقيق: عثمان سعدي، دار الأمة، الجزائر، دط، 2012، ص48.

(2) السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 2003، ص 40، 41.

ب/ 1- المعاني:

•الخبر والإنشاء:

الخبر هو «ما يحتمل الصدق والكذب لذاته»[1]، أي إذا كان الكلام مطابقا للواقع فهو خبر صادق، وإذا كان مخالفا للواقع فهو خبر كاذب. أمّا الإنشاء فهو «ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته»[2]؛ لأنّ الكلام لا يتحقّق إلا بالتلفّظ به.

لقد جمعت الأمثال الشعبية الجيجلية بين الخبر والإنشاء، فكانت الأمثال الخبرية ذات الجمل الاسمية تفيد الثبوت والدوام والشمول والعموم، مثل: "الموتْ غَفْلَة"،"اللّي مَكْتُوبْ عْلَى الجْبِينْ مَا يْنَحّيوَهْ اليَدّينْ " " النَّاسْ اجْنَاسْ فِيهَمْ الفَضَّة وفِيهَمْ النَّحَّاسْ "، " اليْتِيمْ يْتِيمْ ولُو كَانْ بالرَّاعِي والخْدِيمْ "، "الظَّالَمْ لاَ يْرُوحْ سَالَمْ"،" الضَّامَنْ رَبِّي "،"اللّي خَافْ سْلَمْ"، "دَار الجَدْ مَنْ جَا يْهَد"، "المْعُونَة * تَغْلَبْ الصِيدْ ** "...إلخ.

وكانت بعض الأمثال الخبرية ذات الجمل الفعلية تفيد التجدّد والاستمرار مثل: " يْقَمَّرْ وَيْبَانْ"، "تْطِيرْ وَتْعَلّي وَلَلْقْبَرْ تْوَلّي"، " يَتْصَالَحْ الرَاجَلْ وَ عْيَالُه وْيَبْقَى العِيبْ لَلّي قَالُه"...إلخ.

إنّ معظم الخبر الموجود في الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل يحتمل الصدق، لأنّ المثل معروف بـ "إصابة المعنى"، وناتج عن الخبرات والمعارف الصحيحة، الصادقة والواقعية. فـ «الحياة تتكرّر ويعيد بعضها بعضا وما يحدث بالأمس يحدث مثله في اليوم، ويحدث مثله في الغد (...) والإنسان هو الإنسان منذ بدء الخليقة لا تتبدل طبائعه، ولا تتغير مشاعره»[3].

أي أنّ المثل هو خلاصة عقل إنسان عاش الحياة وتأملها، فعبّر عنها بصدق وعفوية، فبقي تعبيره سائرا على مرّ الأزمان.

ومن الخبر القليل الذي يحتمل الكذب في أمثال المنطقة، ما ورد على ألسنة الحيوانات والجماد كهذين المثلين:

- "قَالْ العَظْمْ لَلكَلْبْ: أنَا يَابَسْ، قَال له الكَلْبْ: أَنَا تَانِي فَارَغْ شْغَلْ".

---

(1) السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 55.

(2) المرجع نفسه، ص 69.

* المعونة: التعاون.

** الصيد: الأسد.

(3) عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية – دراسة تاريخية تحليلية –، ص 260، 261.

- "قَالَتْ الخِيلْ: مْنَ نْهَارْ وْلَدتْ اوْلاَدِي، مَا كْلِيتْ عَلْفِي وَافِي، مَا شْرَبْتْ مَايِي* صَافِي".

فالحيوان لا يتكلّم في الواقع، ومنه فإنّ هذه الأمثال الخبرية كاذبة على مستوى الشكل لا على مستوى المغزى، لأنّ المثل الأول يراد به أنّ الإنسان إذا أراد فعل شيء ما، فإنّه يتحدى كل ما يقف أمامه والمثل الثاني يبيّن تضحيات الأم من أجل أولادها.

أمّا الأمثال الإنشائية فقد انقسمت إلى قسمين: أمثال إنشائية طلبية، كان الغرض منها الحثّ على الخير والزجر من الشرّ وتقديم النصيحة والموعظة، مثل:

-" لاَ تْكَتَّرْ عْلَى المْلُوكْ لاَ يْمَلُّوك" (نهي)

-" يَا المْزَوَّقْ مَنْ بَرَّى وَاشْ حْوَالَكْ مَنْ دَاخَلْ ؟ " (نداء واستفهام)

-" واشْ يْخَصَّكْ يَا العَرْيَانْ ؟ قال له: يْخَصْنِي خَاتَمْ يَا مُولاَي " (استفهام وجوابه)

وأمثال غير طلبية كالتعجب والمدح والذم والعقود وغيرهم مثل:

-" مَا احْلى الفَاسْ فِي يَدِّينْ النَّاسْ! " (تعجب)

-" تْحَطُّه** عْلَى الجَرْحْ يَبْرَا". (مدح)

-" حْمَارْ بْلاَ وَدْنِينْ ". (ذم)

-" بِعْتْ بَقْرَاتِي، ارْتَاحُوا بْنَاتِي ". (عقود)

- **الإيجاز:**

يعدّ الإيجاز من أبرز صفات المثل الشعبي، ومن أفضل أساليب التعبير؛ لأنّ الكلام الحسن هو ما كان قليله يغني عن كثيره. ويعرّفه "أبو هلال العسكري" في "الفروق اللغوية" بقوله:

«الإيجاز هو أن يُبنى الكلام على قلّة اللفظ وكثرة المعاني»[1].

---

* مايي: مائي.

** تحطّه: تضعه.

(1) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 40.

أي هو «أكبر معنى في أصغر مبنى»[1]، كما قال الأستاذ الدكتور "عيسى لحيلح" في إحدى محاضراته.

فالجملة الواحدة تضمّ الكثير من المعاني، بل من الأحداث والوقائع كما رأينا آنفا في علاقة المثل الشعبي بالحكاية، لذلك وجدنا هناك من عرّف البلاغة في لفظ الإيجاز فقط، إذ ورد في "البيان والتبيين" أنّ "معاوية بن أبي سفيان" أعجب بفصاحة "صحار بن أبي عياش العبدي" فسأله: «ما تعدّون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز. قال له "معاوية": وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ»[2].

إنّ الإيجاز يحذف فضول الكلام ويُبقي على المهمّ فقط، ويساهم في حفظ التراث من الضياع، وهو ما لاحظناه على أمثال جيجل الشعبية، فما زالت الذاكرة الشعبية حافلة بها، يتناقلها الناس جيلا بعد جيل لاعتمادها على خاصية الإيجاز التي تساعد على الحفظ، وليست كلّ أمثال المنطقة على درجة واحدة من الإيجاز فمنها ما يتألّف من لفظين ومنها ما يتألف من ثلاثة ألفاظ أو أكثر، وكأمثلة عنها نذكر:

ـ"يْقَمَّرْ وَيْبَانْ": يضرب هذا المثل في الترّيث قبل إصدار الحكم، فالهلال يصير بعد أيام قمرا فلم العجلة؟

ـ" النَّارْ تُولَدْ الرْمَادْ ": يضرب المثل على الابن الذي لا يخلف والده من الناحية الخُلقية لا الخَلقية.

ـ" الحْدَايَدْ * للشْدَايَدْ ": يضرب المثل في قيمة الذهب والفضّة، إذ يستعملان للزينة كما يستعملان أيضا في حل المشاكل المالية.

ـ" الحَاجَة خِيرْ مْنَ ثْمَنّهَا ": أي أنّ الأغراض التي نبتاعها أفضل من أثمانها، وإلاّ ما فائدة الأموال إن لم ننتفع بها؟

لكن في مقابل الإيجاز نجد بعضا من أمثال المنطقة تعتمد على أسلوب التكرار ** بغية التأكيد أو الترغيب أو التنويه أو...إلخ، مثل:

---

(1) عيسى لحيلح: محاضرة المثل الشعبي، السنة الجامعية 2011 /2012.

(2) عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998، ص96.

* الحدايد: الحلي.

** التكرار: هو إعادة اللفظ أو مرادفه، في موضع أو مواضع متعددة، وهو من أقسام الإطناب.

"الاصْحَابْ اصْحَابْ والنِيَّة ما تَنْصَابْ"،" فِي عَرْسُــه نَعَّاسْ وْ فِي عَرْسْ النَّاسْ رَقَّاصْ"، "قَلْبِي عْلَى قَلْبْ ابْنِي وْقَلْبْ ابْنِي عْلَى حَجْرَة"،" المَسْلُوخَة تَضْحَكْ عْلَى المَذْبُوحَة، وَالمَذْبُوحَة تَضْحَكْ عْلَى المْقَطْعَة "، " دَاري دَاري مَسْتُورَةْ عَارِي "، " أَخْدَمْ يَا صَغْرِي على كَبْرِي، وأَخْدَمْ يا كَبْرِي على قَبْرِي " "اليْتِيمْ يْتِيمْ ولُو كَانْ بالرَّاعِي والخْدِيمْ "، "وَطْنِي وَطْنِي وْلَا فْرَاشْ القَطْنِي".

وبعضا منها تتسم بالطول لاعتمادها على طابع الحكاية كما في هذا المثل:

-"قَالْ العَافْرِي: رُوحْتْ لْعَنْدْ بَنْتِي اللِّي في الشَّاوِيَّة، فَرْشَتْ لِي زَرْبِيَّة وْغَطَّاتْنِي زَرْبِيَّة وْبَاتْ الهَمْ يْقَلَّبْ عْلِيَّ، واللِّي في آمْزُورْ* فَرْشَتْ لِي قْشُورْ وْغَطَّاتْنِي بَقْشُورْ وْبِيتْ نْفُورْ".

فالمغزى واضح وهو تفضيل العيش في الوطن الأم رغم قساوة الظروف، على العيش في بلاد الغربة وإن كانت حياة الرفاهية.

ب/ 2- البيان:

•التشبيه:

التشبيه هو لون من ألوان التصوير الأدبي المشهورة، يُقصد به «بيان أن شيئا وأشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدّرة، تقرّب بين المشبه والمشبّه به في وجه الشبه»[1].

فائدته في الكلام تثبيت المعاني في الذهن عن طريق علاقة المشابهة؛ لأنه «إذا شبّهت صورة بصورة هي أحسن منها، كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبّهتها بصورة شيء أقبح منها مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها، وهذا لا نزاع فيه»[2].

وكلما كان التشبيه خارجا عن المألوف، ولا يخطر على البال وكثير الخيال، كان أروع وأحلى للنفس.

وإذا كان التشبيه من أسمى أساليب البيان، فإنّه في الأمثال يبلغ قمة البلاغة؛ لأنّ «مضارب الأمثال تكون عادة من المعاني المعقولة التي يصعب تصوّرها و استكناه حقيقتها، ومن ثمّ يلجأ الناس إلى ضرب الأمثال لها بصورة حسية وأحداث واقعية، تكون مأنوسة لهم ومعروفة لديهم»[3].

---

* آمزور: منطقة في ولاية جيجل.

(1) عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع –، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص256.

(2) ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 2، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، مصر، ط2، دت، ص 123.

(3) عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية – دراسة تاريخية تحليلية –، ص 264.

ومن بلاغة التشبيه في أمثال جيجل الشعبية نذكر:

-" القْرَايَة فِي الكْبِيرْ كِالحَجرْة فِي الغْدِيرْ ": شُبّه تعلّم الكبير بالحجرة الموجودة في قاع الغدير، ووجه الشبه بينهما هو الثبوت في مكان واحد وعدم التحرك منه، فالكبير لا يمضي قدما في التعلمّ لقدرته الضعيفة على الاستيعاب، وكذلك الحجرة في الغدير لا تحركها قوّة المياه ولا قوّة الرياح، بل تبقى في المكان نفسه، وهو مثل يضرب في الحثّ على التعلم في الصغر؛ لأنهّ كالنقش على الحجر.

-" كِالخَضْرَة فُوقْ الطْعَامْ * ": شُبّه الشخص الذي لا فائدة ترجى منه (وهو محذوف) بالخضر التي توضع فوق طبق الكسكس من أجل تزيينه ووجه الشبه يكمن في قدرة الاستغناء عنهما.

-" لاَ يْغَرّكْ نُوَّار الدَّفْلَى فِي الوَادْ مْدَايَرْ الطْلاَيَلْ، وْلاَ يْغَرّكْ زِينْ الطَفْلَة حَتَّى تْشُوفْ الفْعَايَلْ ": شُبّه زهر الدفلى على ضفاف الوادي وهو يتألّق، بالفتاة الحسناء التي لا تجيد فعل شيء، ووجه الشبه بينهما هو المظهر الخارجي الخداع؛ لأن الدفلى جميلة المظهر لكنها مرّة الطعم، والفتاة الجميلة هي الأخرى كذلك وجهها حسن، لكنّها كسولة ولا تستطيع تحمّل المسؤولية.

•الاستعارة:

هي تشبيه حُذف أحد طرفيه وبقي ما يدل عليه ، أو هي كما يقول"عبد القاهر الجرجاني" «أن يكون للّفظ أصل في الوضع اللغوي معروفا، تدلّ الشواهد على أنّه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم»[1].

والمثل هو تركيب استعمل في غير معناه الحقيقي، مع وجود علاقة تجمع بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، أي هو استعارة تمثيلية.

لقد برزت الاستعارة في أمثال جيجل الشعبية، فأظهرت قدرة أهل المنطقة على تجسيد المعاني المعقولة وتشخيصها، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه «يدل على ملكتهم البلاغية وتوظيفها في تصوير القضايا الاجتماعية والاقتصادية تصويرا عميقا»[2].

---

* الطعام: الكسكس.

(1) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 2003، ص 27.

(2) بولرباح عثماني: دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين (وزارة الثقافة)، الجزائر، دط، 2008، ص78.

وبلا شك فإنّ لهذا التصوير قـوّة التأثير على المتلقّي، لأنّه أمام صياغة فنية بديعة، تقـرّب المعنى من خلال عرضه في صور مجسّمة، وكأمثلة عنها نذكر:

-"الكَلْبْ يَنْبَحْ وَاشْ يَرْبَحْ": وهي استعارة تصريحية شُبّه فيها الإنسان الذي يتوعّد ولا يفعل بالكلب الذي يضلّ ينبح دون أن يهابه أحد.

-"اللّي فِي البَرْمَة يَجْبدُه* المَغْرَفْ**": لا يُقصد من هذا المثل المعنى السطحي البائن، وهو أنّ الملعقة هي وسيلة تستعمل لإخراج الطعـام من القدر، بل يقصـد منه معنى آخر هو معنى مجازي؛ لأنّ "البرمة" في الحقيقة هي تشبيه "بالقلب" والمغرف هو تشبيه "باللسان"، أي أنّ اللسان هو مفتاح القلب، ولا أحد بإمكانه أن يخرج ما فيه من أسرار ومكنونات سوى اللسان. ومنه نستطيع القول بأنّ هذه الاستعارة قد «وهبت الحياة لجماد، بل بترته من فضائه الأصلي الجامد لتنتقل به إلى الفضاء الإنساني الذي يحسّ ويفكّر ويتكلّم»[1].

-" كِتْطِيحْ البَقْرَة يَقْوَاو*** عْلِيهَا المْوَاس**** ": شُبّه الإنسان الذي أصيب بنائبة من نوائب الدهر، كأن يفلس بعد غناه، أو يضعف بعد قوته أو...إلخ، واستغلّ الانتهازيون هذه المصيبة لينهالون عليه، بالبقرة التي تسقط لمرض أو لشيء آخر، فيُسارع في إحضار السكاكين لذبحها قبل فوات الأوان.

- **الكناية:**

الكناية هي الدلالة على الشيء من غير تصريح باسمه، وبتعبير آخر هي «لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي»[2]، من أروع أساليب البيان التي يُعبّر بها عن المعاني تعبيرا صادقا وموجزا، كما تعدّ من أركان المثل الأساسية، يقول "إبراهيم النظام":

---

* يجبده: يخرجه.

** المغرف: الملعقة.

(1) محمد سعيدي: التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2009، ص59.

*** يقواو: تكثر.

**** المواس: ج "موس" وهو السكين.

(2) السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 287، 288.

«يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية، فهو في نهاية البلاغة»[1].

ومن مهام الكناية داخل نصّ المثل التلميح وعدم التصريح، والإبهام وعدم الإفصاح، لذلك نلاحظ «المتمثّل به لا يصرّح بالمعنى الذي يريد وهو مضرب المثل، ولا يعبّر عنه بالألفاظ الموضوعة له في اللّغة، وإنّما يخفي هذا المعنى ويعبّر عنه بألفاظ أخرى هي ألفاظ المثل»[2]، ولها من الوقع والتأثير في نفوس السامعين ما لا يستطيع فعله الأسلوب التقريري.

أمّا عن أسباب حضور الكناية في المثل فترجع إلى غاية المثل بالدرجة الأولى، فهو يهدف إلى التربية والتعليم كما يهدف إلى النقد والتقريع، مما يحتّم عليه اعتماد الأسلوب غير المباشر الذي تتبنّاه الكناية وبالتالي «فتحت المجال الواسع للمثل الشعبي لاقتحام الفضاءات الممنوعة، حيث تحدّث عن الممنوع والمرفوض، وبلغة سهلة وبسيطة تاركا المجال واسعا للمتلقي ليؤوّل ما يقدر على تأويله»[3].

وكنماذج عن الكناية في الأمثال الشعبية الجيجلية نذكر:

ـ" البَقْرَة في السُّوقْ، وْ أَفَازَازْ * يَوْرَمْ " ⟵ كناية عن الاستعجال.

ـ" قَالُوا عليه فَلاَّحْ، حْرَثْ الجَبَّانَة ** وْزَادْ المْرَاحْ " ⟵ كناية عن حبّ المدح.

ـ" القَمْحْ مَرْدُوم*** وْ كِيَّالُه اعْوَرْ " ⟵ كناية عن التوافق.

ـ" المَسْعُود**** الرِّيحْ اللِّي يجِي يَحْطَبْ لُه " ⟵ كناية عن حسن الحظ (الإنسان المحظوظ)

ـ "حْمَارْ بْلاَ وَدْنِينْ " ⟵ كناية عن الذم.

ـ"الابْرَة تَكْسِي غِيْرَها وْهِيَ عَرْيَانَة" ⟵ كناية عن الإيثار.

ـ" يَاكَلْ مَنْ بِيرْ وْ يَشْرَبْ مَنْ غْدِيرْ " ⟵ كناية عن الاتّكالية.

---

(1) أحمد بن محمد الميداني: مجمع الأمثال، ج1، ص70.

(2) عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية – دراسة تاريخية تحليلية –، ص 267.

(3) محمد سعيدي: التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري، ص64.

* أفازاز: جلد مدبوغ تسدّ به فوهة ممخضة اللبن.

** الجبانة: المقبرة.

*** مردوم: فاسد.

**** المسعود: المحظوظ.

-" اللِّي مْوَالَفْ بالحْفَا يَنْسَى صَبَّاطُه " ← كناية عن تأثير العادة.

-" يَقْتَلْ الميَّتْ وْيَمْشِي فِي جْنَازْتُه " ← كناية عن النفاق.

- " مْرَضْ الدَّابْ كْوَاوْ التُورْ"← كناية عن سوء التقدير.

ب/3- البديع:

•السجع:

السجع من أوائل فنون التعبير الجميلة عند العرب، يقصد به «تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد»[1]، و هو نظير القافية في الشعر، غير أن القافية لا يمكن الاستغناء عنها في القصيدة أمّا السجع فليس مشروطا في النثر ويمكن الاستغناء عنه.

والسجع في الأمثال الشعبية الجيجلية كثير، تأنس النفوس به وتلذّ الآذان لسماعه لما يحدثه من وزن وإيقاع موسيقي ناتج عن توحّد الفواصل. فالسجع يحدث الإيقاع والإيقاع يكسب النص «تأشيرة اقتحام الذات المتلقية، حيث تحُدث موسيقاه حركة انفعالية قوية لدى المتلقي الذي يتأثر عند سماعه لنص المثل الشعبي بذلك الوقع الموسيقي»[2].

وقد ورد المثل الشعبي الجيجلي على أشكال، فتارة قصيرا وتارة متوسطا وطويلا تارات أخرى مثل:

- **القصير**: "الشِّيبْ وَالعِيبْ"، "الحَرّ بْغَمْزَة وَالسَاقَطْ بْدَبْزَة"، عْلَى كَرْشُه يَخْلِي عَرْشُه"، "الخَلطَة تَرْدِي والجَرْبْ يَعْدِي"، "اللّي مَا هُو لِيكْ يْعَيِّيكْ"، "اللّي جَارُه القَطْ مَا يَمْخَطْ"، "اوْلَادْ الشِيبْ يَاكَلْهُمْ الدِّيبْ"، "حَلّ كَلَامَكْ، يْعَدِّي عَامَكْ" ...إلخ.

- **المتوسط**: "اللّي هَزْ ابْنِي وبَاسُه حَطْنِي فُوقْ رَاسُه"، "اللّي رَاحْ و ولّى وَاشْ مَنْ بَنَّة خَلَّى "،" إذَا عدَّاتْ القْطِيرَة مَا بْقَى في السْمَا حِيرَة"، البَرْدْ يْعَلَّمْ الخِيَاطَة والشَّرْ يْعَلَّمْ السْقَاطَة"،...إلخ.

- **الطويـــل**: "بَنِيَانْ الطِّيـنْ لاَ تْعَلِّيهْ يَعِيَا وَيْطِيـــحْ سَاسُـــه، وَابْن الغِيرْ لاَ تْرِبِّيه لاَزَمْ يَرْجَعْ لْنَاسُه"، "مَا كَحْلَة غِير النَّحْلَة وْسُومْهَا غَالِي وْمَا بِيطَة غِيرْ القَرْعَة وْ جُوفْهَا خَالِي"، "اللّي فَاتَـكْ بالزَّرِّيعَة فُوتُه بالنْقا، واللّي فَاتَكْ بالمْرَا مَا تَتْعَبْ مَا تَشْقَى"،...إلخ.

---

(1) ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص210.

(2) محمد سعيدي: التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري، ص06.

•الجناس:

هو من ألوان البديع التي أولع بها العرب وشاعت في كلامهم، ومعناه «تشابه الكلمتين في اللفظ مع اختلاف في المعنى»[1]، وهو على قسمان كامل وناقص: فالكامل هو أن تتّفق الكلمتان في الوزن والحركات والسكنات وتختلفان في المعنى، والناقص هو أن تتّفق الكلمتان في بعض الأمور وتختلفان في المعنى وفي أشياء أخرى، وهو أنواع: المذيل*، المصحف**والمتوازن***.

وكما شهدت الاستعارة والكناية والسجع وما سبق ذكره على بلاغة الأمثال الشعبية الجيجلية، يشهد الجناس هو الآخر على هذه البلاغة، فقد أضفى على الأمثال سحرا، واستطاع أن يجذب الآذان لسماعه، وأن يستميل القلوب إليه ،كونه لم يأت إقحاما في المثل، وإنّما اقتضته الضرورة. يقول "عبد القاهر الجرجاني":

«وعلى الجملة فإنّك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتّى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتّى تجده لا تبتغي له بدلا، ولا تجد عنه حولا (...) وأحقه بالحسن وأولاه: ما وقع من غير قصد من المتكلّم إلى احتلابه وتأهّب لطلبه»[2]. ومنه قولهم:

"الجُودْ مْنَ المَوجُودْ" (مذيّل)، "مَا يْمُوتْ الفَـازْ حَتَّى يْخَلّي**** ابْنُه في الغَارْ" (متوازن)، "المَشْقِي والمرّتَاحْ يْبَاتُوا فَرْضْ مْرَاحْ" (مذيّل)، "المَزْوَدْ الرْقِيقْ شْحَالْ يَرْفَدْ الدْقِيقْ" (متوازن)، "ذَرِّيَةْ البَرَكَة زُوجْ ثْلاَثَة بَرْكَ*****"(مذيّل)، "الصَّالَحْ يْرُوح فِي جرَّةْ الطَّالَحْ" (متوازن)،" عْشَابْ عْمُودْ****** خِيرْ مَنْ دارْ بَالقَرْمُودْ"(متوازن)"، "تبَّعْ وْقُولْ بَعْ"(مذيّل)، "لا تْكَتَّرْ عْلى المْلُوكْ لَا يْمَلُّوكْ"(مصحّف)....إلخ.

---

(1) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ص354.

* الجناس المذيّل: هو أن تكون إحدى الكلمتين مشتملة على لفظ الأخرى مع زيادة مثل: (ساق/ مساق).

** الجناس المصحّف: هو اتفاق الكلمتين خطًّا لا لفظاً مثل: (يحسبون/ يحسنون).

*** الجناس المتوازن: هو اتفاق الكلمتين في الوزن واختلافهما في أشياء أخرى مثل: (مصفوفة/ مبثوثة).

(2) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص12.

**** يْخَلّي: يترك.

***** بَرْكَ: توقّف، يكفي.

****** عشاب عمود :كوخ.

كانت هذه النماذج المذكورة على سبيل المثال لا الحصر، وهي كما نلاحظ كلها جناسات ناقصة حيث لم نعثر في ما جمعنا من أمثال جيجل الشعبية على أيّ جناس كامل.

•الطباق:

ويسمّى أيضا "المطابقة" أو "التطبيق" أو"التكافؤ"، وهو من أهمّ ألوان البديع التي تكثر في الكلام نعني به «الجمع بين الشيء وضده في الكلام»[1]، يكون بين اسمين أو فعلين أو حرفين، أو بين مختلفتين وقد استعمل في الأمثال الشعبية الجيجلية لتأكيد المعاني فيها وتقريرها؛ لأنّ الشيء بالضدّ يعرف، ومن ذلك قولهم:

"الجْدِيدْ حَبُّه وَالقْدِيمْ لاَ تْفَرّطْ فِيه"، "عَاشْ مَا كْسَبْ مَاتْ مَا خَلَّى"، "أَخْدَمْ يَاصَغْرِي عْلَى كَبرِي وَاخْدَمْ يَاكْبرِي عْلَى قَبْرِي"، "مْيَة دَخْلَتْ وَمْيَة خَرْجَتْ"، "الشَّبْعَانْ مَا دارِي بَالجِيعَانْ، وَالمْصَبَّطْ مَا دَارِي بَالحَفْيَانْ"، "كِي يْمُوتْ الفْحَلْ مَا تْعَزِّي الفَايَحْ"، "الرَّبْحْ يْلَلَّشْ والزَّلْطْ يْكَمَّشْ"، "الشِّينْ وَالزِّينْ يَتْغَطَّاوْ" "القَرْبْ يجِيبْ الكْلاَمْ وَالبَعْدْ يجِيبْ السْلاَمْ "،"يَهْدَرْ مَسْعُودْ يَحْصَلْ، يَسْكَتْ يْمُوتْ بَالزْعَافْ"، "خَدْمَة اللِّيل يَضْحَكْ عْلِيهَا النْهَارْ"، "الصْغَارْ يْلَحْقُوهَا للكْبَارْ"...إلخ.

ومن الخصائص الفنية أيضا العاكسة لبلاغة الأمثال الشعبية الجيجلية وبراعة الصياغة فيها **أسلوب المفارقة**، الذي يكشف عن التناقض الحاصل في تصرّفات بعض الناس بطريقة تهكّمية ساخرة، و «هي طريقة فنية أدبية ذكية لبقة في الإبانة عن آراء ومواقف برؤية خاصة (...) وهي أسلوب نقدي مضحك هازئ هادف وتعبير عن انفعال معيّن كعدم الرضى بتناقضات الحياة وتصرّفات الناس، وكشف عن الحسرة والمرارة بطريق غير مباشر (...) قصد الإصلاح والتقويم والتعبير نحو الأحسن»[2].

فأسلوب المفارقة في المثل إذن هو رؤية ناقدة تهدف إلى محاربة كل سلوك شاذ، غريب ومنبوذ من طرف الجماعة، كما في قولهم :

---

(1) السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص303.

(2) محمد ناصر بو حجام: السخرية في الأدب الجزائري الحديث (1925،1962)، رسالة دكتوراه، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1994/1993، ص13.

"السَّنْ يَضْحَكْ للسَّنْ والقَلْبْ فِيهْ الخَدِيعَة"، "الهَمْ يَدَّي فِيه وَالنَعْنَاعْ فِي وَدْنِيه"، "يَقْتَلُه وْيَمْشِي فِي جْنَازْتُه"، "جَزَّارْ وعْشَاهْ لَفْتْ"، "أَنَا نَبْكِي لُه بَالقْطَا*، وْهُوَّ يْقُولْ لِي شْحَالْ عَنْدَكْ الذْرَارِي**"، "رَاجَلْهَا فِي الحْبَاسْ وْهِيَ تَشْطَحْ فِي العْرَاسْ "، "الدِّيبْ كِي مَا يَلْحَقْشْ العْنَبْ يْقُولْ حَامَضْ"، " اللِّي رَافْدَة*** المْطَحْنَة**** مَا قَالَتْ وَالُو، واللِّي رَافْدَة آسَقْرُو***** قَالَتْ خْلاَتْ عْلِيَّ"...إلخ.

2- خصائص عامة:

أ- الشيوع:

ينتشر المثل الشعبي بين الناس في منطقة جيجل بشكل واسع وكبير، وهو يشبه بهذه الخاصية المثل الفصيح قديما، فقد كان العرب يشبهون به كل شيء يذيع وينتشر بقولهم: "أَسْيَرُ مِنْ مَثَلٍ".

ويرجع هذا الشيوع المذهل إلى سهولة تداوله، وبساطة مضمونه، وإلى صدق تعبيره عن آلام الجماعة وآمالها، فهو من الشعب وإلى الشعب وكل له حق في استعماله.

لكن، ليست كل الأمثال على درجة واحدة، والحكم عليها بالشيوع هو خاص بالأمثال المتداولة الكثيرة الاستعمال؛ لأنه هناك «الخامل والنادر والبعيد المغزى والمعقد المعنى والجافي اللفظ، ومنها ما مات وأهمل، ومنها ما صحّح، ومنها الذي عاد إلى الحياة أصحّ ما كان قد نطق به»[1].

ومن الأمثال الشائعة بجيجل نذكر:

"أخْدَم الصّيدْ وْكُولْ عْشَاه"، "اللِّي يرَمِيكْ بْفُولَة أَرْمِيه بَقْشُورْهَا"، "طْلَعْ الشَّانْ عْلَى بُوفَكْرَانْ"، "أخْرَجْ لْرَبِّي عَرْيَانْ يَكْسِيكْ"، "أقْرا لَزْمَانَكْ حَذْرُه"، " كَلْ وَاحَد يْقُولْ فُولِي طِيَّاب"، " البَرَكَة فِي القْلِيلْ" "اللِّي رْبَطْهَا بْيَدِّيه يْفَكْهَا بَسْنَانِيهْ"، "اللِّي قَارِيهْ الدِّيبْ حَافْظُه السْلُوقِي"، "بَدَّلْ المْرَاحْ تَرْتَاحْ"، "بْقَى لُه

---

* القطا: عدم تخليف الذرية.

** الدراري: الذرية (الأولاد)

*** رافدة: حاملة.

**** المطحنة: الرحى.

***** آسقرو: العود الذي يستعمل في تدوير الرحى.

(1) علي بن عبد العزيز عدلاوي: الأمثال الشعبية ضوابط و أصول – منطقة الجلفة نموذجا-، دار الأوراسية، الجلفة، الجزائر، ط1، 2010، ص45.

الما يَحْمَى"،" المرا كِتْهَجَّلْ* تَتْرَجَّلْ"، "اللّي عَنْدُه لْسَانُه رَاكَبْ حْصَانُه"، "دْبَارَةْ الفَارْ عْلَى مُولْ الدَّارْ" "دِيرْ النِيَّة وَارْقَدْ فِي التْنِيَّة"،" الجُوعْ يْوَكَّلْ الحْجَرْ"،" حَبَّة مرّة تْمَرَّرْ عَشْرَة"، "الدّابْ رَاكَبْ مُولَاهْ"، "الدْسَارَة** تْجِيبْ*** الخْسَارَة "سَالْ المْجَرَّبْ وْمَا تْسَالْشْ الطْبِيبْ"، " الزَّلْطْ وَالتْفَرْعِينْ"، "السَّفِيه يَقْرَا مَا فِيه"، " صَنْعَةْ بُوه لَا يَعَّلْبُوه"، "مَا يْحَسْ بَالجَمْرَة غِيرْ اللّي كْوَاتُه"، ...إلخ.

ب- الديمومة:

لم تقو الكثير من موروثات جيجل الشعبية على الاستمرار والحفاظ على تواجدها في المجتمع، إلاّ المثل، فما زال يافعا، لم يصبه الدهر ببلى، لانفصاله عن الملابسات الأولى التي نشأ منها، واهتمامه بجوهر السلوك الإنساني المشترك بين جميع الناس، فكان بذلك أهمّ من الشعر والقصة ومن جميع أشكال التعبير الشعبية؛ لأنّه «لا يهتم بالظاهرة في حدّ ذاتها، وإنّما يهتمّ بالسلوكات الكامنة وراء الظاهرة»[1].

فنلاحظ استخدامه لصيغة الإفراد "اللّي" أو "الدي" – سبق ذكرها – التي تبيّن بأنّه «ليست هناك قضية اجتماعية في المثل، وإنما هناك دوافع سلوكية تنطبق على الجماعة كأفراد»[2].

و هو ما يفسر تقاطع كثير من أمثال المنطقة مع أمثال ولايات الجزائر والعالم العربي، بل والعالم بأسره، ولتوضيح ذلك أنظر الجدول الآتي:

المنطقة	مثلها الشعبي
جيجل	"اللّي قَرْصُه الحَنْشْ يْخَافْ مْنَ الحْبَلْ".
الأوراس	"اللّي لَدْغُو الحْنَشْ إِيخَافْ مَنْ لَحْبَلْ"[3].
قوراية (تيبازة)	"وَنِّي يَقَّسْ فِيغَرْ، يَتَّقَّذْ سَقْ أُوسْغُونْ"[4]. (من لدغته الحيّة، يخاف من الحبل.)

* تَتْهَجَّلْ: تصبح أرملة.

** الدسارة: كثرة الاختلاط.

*** تْجِيبْ: تجلب.

(1) التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص157.

(2) المرجع نفسه، ص157.

(3) سمية فالق: المثل الشعبي في منطقة الأوراس– جمع وتصنيف ودراسة في الوظيفة والتشكيل الفني –، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب، جامعة قسنطينة، 2004/ 2005، ص304.

(4) عبد الناصر بوردوز: الأمثال الشعبية في منطقة قوراية (تيبازة) – دراسة ميدانية –، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ (وزارة الثقافة)، الجزائر، العدد 12، 2009، ص202.

بغداد (العراق)	"اللّي تْعَضّه الحَيَّة يْخَافْ مَنْ الحَبْلْ"[1].
انجلترا	"Once bitten, twice shy "[2] (لا يلدغ المرء من جحر مرّتين.)

فالمثل الشعبي "اللّي قَرْصُه الحَنْشْ يْخَافْ مْنَ الحْبَلْ" المتداول بين أفراد جيجل، موجود عند معظم شعوب العالم، مع اختلاف صيغة إيراده من منطقة لأخرى تبعا لاختلاف اللغات واللهجات؛ لأنه يضرب للاعتبار والحذر، ومن ثمّ فهو موجّه لكلّ الناس على السواء.

(1) جلال الحنفي: الأمثال البغدادية، ص62.

(2) جولي مراد: معجم الأمثال المقارنة (إنجليزي، عربي)، دار المراد، بيروت، لبنان، دط، 1998، ص62.

الفصل الثالث

دلالات أمثال جيجل الشعبية

المبحث الأول: الدلالة الدينية.

1- الهوية الدينية من خلال القرآن الكريم.

2- الهوية الدينية من خلال الحديث النبوي الشريف.

المبحث الثاني: الدلالة التربوية الأخلاقية.

1- الأخلاق والسلوكات الحسنة.

2- الأخلاق والسلوكات السيئة.

المبحث الثالث: الدلالة الاجتماعية.

1- تصوير الواقع الاجتماعي.

2- تصوير البيئة الطبيعية.

المبحث الرابع: الدلالة التاريخية.

1- ملامح الحياة الماضية.

2- استلهام الحدث التاريخي.

المبحث الخامس: الدلالة النفسية.

1- تأثير المثل الشعبي في النفوس.

2- المثل الشعبي وظواهر النفس الإنسانية.

المبحث الأول: الدلالة الدينية.

إنّ الدين هو غريزة فطرية في الإنسان، لذلك نلمسه في كل جوانب حياته، في أفكاره ومشاعره وفي أقواله وأفعاله، وفي جميع ما ينتجه، والأدب هو من بين منتجاته التي لا يمكن أن تستغني بأيّة حال عن المعتقد الديني. وبما أنّنا أمام بحث حول أدب منطقة تؤمن بوحدانية الله تبارك وتعالى وبرسالته المنزّلة على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، خاتم الأنبياء والمرسلين، فإنّ الدّين المُتحدَّث عنه هنا بطبيعة الحال هو "الإسلام"، وما المثل الشعبي إلا إبداع أدبي، ومواقف صادرة عن رؤية إسلامية مستوحاة من القرآن الكريم والسنّة المحمّدية، فهو يتخذ من الإسلام «إطارا مرجعيا في رؤيته لهذه الحياة المتعددة الجوانب والأشكال فيقف على مرتكزات منهجية واعية، الغاية منها هي حقيقة الرؤية الإسلامية ونظرتها إلى الإنسان وتقويمه نحو الكمال»[1].

فالإسلام إذن هو من بين المصادر المؤثّرة بقوّة على المثل الشعبي الجيجلي، وبالتالي لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض؛ لأنّ الإسلام هو مرجعية المثل، وهو الذي يمدّه بالنظرة الصائبة والمعاني السمحة، بل حتى بالألفاظ العذبة والموحية، من أجل خدمة الفرد وتكوينه تكوينا حسنا، والمثل الشعبي يقوم بتثبيت دعائم الإسلام ومبادئه بأسلوب خاص.

1- الهوية الدينية من خلال القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله عزّ وجلّ المنزّل على محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم خاتم الأنبياء والمرسلين، بواسطة جبريل عليه السلام، في مدّة قدرها ثلاثة وعشرون (23) سنة، حتّى يسهل على الناس فهمه وحفظه، وكتاب الحق والهداية للإنسانية جمعاء، قال "الله تبارك وتعالى":

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[2].

وكتاب الأكوان والعمران وداري الدنيا والآخرة، كما يقول "عبد الحميد ابن باديس":

---

(1) محمد بلبشير: الأدب الإسلامي والمنحنى النفسي، مجلّة حوليات التراث، العدد 01، جامعة مستغانم، الجزائر، 2007، ص22.

(2) سورة الفتح: الآية 28.

« القرآن كتاب الإنسان من جميع نواحي الإنسان، وكتاب الأكوان بما فيها من نعم وعبر، وكتاب العمران ممّا يصلح به أحوال البشر وما يتصل بالبشر، وكتاب السعادتين الدنيوية والأخروية»[1].

ولمّا كان القرآن الكريم كذلك، لم يُفوّت أهل جيجل فرصة الاغتراف من فيضه في صياغة أمثالهم الشعبية، وفعلا نالت هذه الأخيرة حظا وافرا منه، حيث اقتبست منه ما يكفي لتعبيرها عن هموم الإنسان ومشاغله.

أ- اقتباس الألفاظ:

وظّفت الأمثال الشعبية كثيرا من الألفاظ القرآنية، وذلك في سياق الحديث عنها أو الحديث عن أشياء أخرى، مثل الألفاظ التالية:

- الشهادة: - "رَبِّي يْثَبّتْنَا عْلَى الشْهَادَة وَالعْبَادَة".
  - " فَكّرُوهْ بَاتْ يْشَهّدْ".
- الصلاة: - " صْلاَةْ القِيَّادْ غِيرْ بالجَمْعَة والاعْيادْ".
  - " عَلّمْنَاهْ للصْلاَةْ سْبَقْنَا للحْصِيرَة".
- الصوم: - "اللّي مَا صَلّى مَا صَامْ مَا عْلِيهْ كْلاَمْ".
  - " نَاضْ مْنَ المَرْضْ لْقَى رَمْضَانْ*".
- الحج: - " جدّي مدّيني لَلْحَجْ وَ انَا لاَبِيتْ **".
  - " اللّبْسَة لَبْسَة الحَجَّاجْ والخَزْرَة تَاعْ بَكْرِي".
- الدنيا والآخرة: - " الدّنْيَا بَالوْجُوهْ وْ الاخْرَة بَالفْعَايَلْ".
- الخير والشر: - " دِيرْ *** الخَيْرْ وَ انْسَاهْ، وِاذَا دِيرْتْ الشّرْ اتْفَكْرُه".
- الحساب والعقاب: - « الصَابَرْ يْنَالْ بْلاَ حْسَابْ، وَ السَّاخَطْ مَا يَفْلَتْ مَنْ عْقَابْ»[2].
- الجنّة ونار جهنم: - «كَمَّالَة القْصِيرْ **** وْرَضَّاعَةْ اليْتِيمْ للجَنَّة والرَّبْ الرْحِيمْ.

---

(1) عمّار طالبي: ابن باديس حياته وآثاره، ج3، دار الأمّة، الجزائر، دط، 2009، ص 225، 226.

* المقصود هو صيام رمضان.

** لابيت: أبيت (رفضت).

*** دير: إفعل.

(2) حسين بن بخمة المورغاني: ذرات النيكل في النادر من أمثال أهل جيجل، دار الوعي، الجزائر، دط، دت، ص 19.

**** القصير: المنسج.

- المَشْكَاكْ والمَغْرَارْ لنَارْ جَهَنَّمْ» [1].

•القيامة: - «اللّي يْحَبْنَا نْحَبُّوهْ وَنْدِيرُوهْ فُوقْ رُوسْنَا عْمَامَة، واللّي يَكْرَهْنَا نَكَّرْهُوهْ لْيُومْ القِيَامَة»[2].

•الملائكة: - "كَلْمَة عْلِيهَا مَلْكْ وْ كَلْمَة عْلِيهَا شِيطَانْ".

-"هْرَبْ مَنْ قَبَّاضْ الارْوَاحْ جَا فِي حَفَّارْ القْبُورْ".

•الجهاد: - " قَالُوا عْلِيهْ مُجَاهَدْ، قْتَلْ الإِمَامْ ".

•الحق: -" كَلْمَة الحَقْ عْلِيهَا نُورْ".

• الإيمان: - " المُومَنْ يَتَّاذَى".

•الصدقة: - "اللّي مَا يْحَبْشْ يْصَدَّقْ يْقُولْ مَالْ اليْتَامَى".

•البركة: - "البَرَكَة فِي القْلِيلْ".

- " رَبِّي قَالْ: أَنْتَ بَالحَرَكَة وانَا بَالبَرَكَة ".

وغيرها من الألفاظ القرآنية التي عكست بحق الثقافة الإسلامية لأهل جيجل من خلال أمثالهم الشعبية.

ب- الاقتباس على مستوى مبنى الآيات:

دلّت بعض من أمثال جيجل الشعبية على آيات قرآنية أو بعض منها، من خلال ما اقتبسته منها من ملفوظات، والجدول التالي يوضح ذلك:

المثل الشعبي	الآية القرآنية	الملفوظ
" الصَابَرْ يْنَالْ بْلاَ حْسَابْ، وَالسَّاخَطْ مَا يَفْلَتْ مَنْ عْقَابْ "	﴿...إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]	الصابر، حساب
« الضَّرْبَة بَالضَّرْبَة تْصِيرْ بَصَّحْ الصَّابَرْ عْلِيهَا خِيرْ»[4]	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[5]	الصابر، خير

(1) عبد المجيد بوالروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

(2) المصدر نفسه.

(3) سورة الزمر: من الآية 10.

(4) حسين بن بخمة المورغاني: ذرات النيكل في النادر من أمثال أهل جيجل، ص 32.

(5) سورة النحل: الآية 126.

"اللّي يَشْكَرْ لرُوحُه* و اللّي يَكْفَرْ لرُوحُه "	﴿... وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [1]	يشكر، يكفر
« اللّي يَشْرَكْ بْرَبُّه ويْضِيقْ كِاللّي طَاحْ فِي وَادْ عْمِيقْ »[2]	﴿... وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[3]	يشرك
«نَشْكِي لَلّي يَسْمَعْنِي وْنَبْكِي لَلّي يَرْحَمْنِي»[4]	﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ... ﴾ [5]	نشكي

من خلال هذه النماذج، نلاحظ تأثير القرآن الجلي في الأمثال الشعبية، إذ ساهم في إثراء معجمها اللغوي مما أدى إلى تدعيمها وتقويتها أكثر.

ج- استلهام معاني الآيات القرآنية:

لم تأخذ معظم أمثال جيجل الشعبية العبارات والصيغ القرآنية جاهزة، إنّما استقت منها معانيها وأكسبتها ألفاظا تتلاءم مع لهجة المنطقة، والجدول التالي يبين ذلك:

المثل الشعبي	معناه	ما يقابله في القرآن
"الابْرَة تَكْسِي غِيْرَها وْهِيَ عَرْيَانَة"	الشخص الذي يملك خصلة الإيثار يضحّي بنفسه من أجل غيره.	﴿... وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ....﴾[6]
" أَبْكِ على ظُهْرْ الجَمْعَة إذا فَاتْ، وما تَبْكِيشْ على بُوكْ إذا مَاتْ "	من فاته ظهر الجمعة فقد فاته خير كثير.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[7]

* روحه: نفسه.

(1) سورة لقمان: من الآية 12.

(2) حسين بن بخمة المورغاني: ذرات النيكل في النادر من أمثال أهل جيجل، ص 10.

(3) سورة الحج: من الآية 31.

(4) حسين بن بخمة المورغاني: ذرات النيكل في النادر من أمثال أهل جيجل، ص 86.

(5) سورة يوسف: من الآية 86.

(6) سورة الحشر: من الآية 09.

(7) سورة الجمعة: الآية 09.

" إذا تْحَلْفُوا فِيكْ الرْجَال بَاتْ رَاقَدْ، واذَا تْحَلْفُوا فِيكْ النْسَا بَاتْ قَاعَدْ" " اللِّي يَخْدَمْهَا الشِّيطَانْ فِي عَامْ خَدْمَتُّه العْجُوزْ فِي دْقِيقَة * "	كيد النسا صعب، يفوق دهاء الرجال وأفعال الشيطان.	﴿... إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (1)
" إذا اللِّيلْ طَاحْ أَحْسَبْ الْفَجَرْ لاَحْ"	بعد الشدة يأتي الفرج.	﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (2)
" البْعِيرْ يْشُوفْ العَرْوَة نْتَاعْ صَاحْبُه وْ يَنْسَى ذْيَالُه"	لا يأمر الإنسان بشيء إلا إذا كان آخذا به، ولا ينهى عن شيء إلا إذا كان تاركا له.	﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (3) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (4)
" بُوسْ الكَلْبْ مَنْ فَمُّه تَقْضِي حَاجْتَكْ مَنُّه"	الناس معادن، منهم من لا تستطيع أخذ حقك منه إلاّ باللين والمداراة.	﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (5)
" الحَرَكَة اللِّي تْنَسِّيكْ عْلَى الصْلاَةْ مَا فِيهَا بَرَكَة"	لا خير في عمل أو لهو في وقت الصلاة.	﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ (6)

* لهذا المثل الشعبي قصّة مختصرها أنّ عجوزا استطاعت بكيدها في ظرف قصير، ومن نقطة صغيرة أن تدخل الشك للرجل في عفّة زوجته، مما أدّى به إلى قتلها، فثأرت عائلتها لها بقتله، فقامت الحرب بين عائلتي الزوجين، ومن العائلتين إلى القبيلتين.

(1) سورة يوسف: من الآية 28.

(2) سورة الشرح: الآية 06.

(3) سورة البقرة: الآية 44.

(4) سورة الصف: الآية 02.

(5) سورة طه: الآية 43، 44.

(6) سورة الجمعة: الآية 11.

" الخَدْمَة مْعَ النْصَارَى وْ لاَ القْعَادْ خْسَارَة" " الحَرْ حَرْ والخَدْمَة مَا تْضَرْ"	العمل هو أساس رزق الناس، ومن أولويات الحياة، ووسيلة لتحقيق الغايات.	﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ... ﴾ (1)
" خْيَارْ النَّاسْ اللِّي يَنْهِي بِينْ النَّاسْ والنَّاسْ"	الإصلاح بين الناس سلوك حسن، يرفع من قيمة فاعله.	﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (2) ﴿ ... وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (3) ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (4)
"رَبِّي خْلَقْ وفَرَّقْ"	خلق الله الناس وفرّق بينهم في كثير من الأشياء.	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ... ﴾ (5)
« رَمْضَانْ رَاحْ وَتَّنْسَى وْخَلَّى دِينُه عْلَى النْسَا»(6)	تفطر النساء في رمضان لعذر شرعي، وينقضي رمضان وتبقى الأيام التي أفطرن فيها دين عليهن إلى أن يقضينها.	﴿ ... فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (7)

(1) سورة التوبة: من الآية 105.

(2) سورة النساء: الآية 114.

(3) سورة الأنفال: من الآية 01.

(4) سورة الحجرات: الآية 10.

(5) سورة الروم: من الآية 21.

(6) عبد المجيد بوالروايح : الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

(7) سورة البقرة: من الآية 185.

« عُودْ وَحْدُه مَا قْدَى وْفَارَسْ وَحْدُه مَا قْضَى»[1] " المْعُونَة تَغْلَبْ الصِيدْ" " يَدْ وَحْدَة مَا تْصَفَّقْ"	الناس لبعضهم البعض يتعاونون ويتآزرون في جميع ميادين الحياة، لأنّه في الاتحاد قوة.	﴿ ...وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ... ﴾[2]
"اللّي خْلَقْ مَا يْضَيَّعْ"	كل شيء خلقه الله هو رازقه.	﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَوْدَعَهَا ... ﴾[3]
" اللّي مَا كَاتْبَاشْ مْنَ الفَمْ تْطِيحْ" " اللّي مَكْتُوبْ عْلَى الجْبِينْ مَا يْنَحّيوَهْ اليَدّينْ"	لن يصيب الإنسان إلاّ ما كتب الله له، و ما هو مقدّر له سيأتيه لا محالة، وما ليس له لن يأتيه مهما حاول الجري وراءه.	﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[4] [4]
" هْرَبْ مَنْ قَبَّاضْ الارْوَاحْ جَا فِي حَفَّارْ القْبُورْ "	من وصله أجل الموت فلا مفرّ له.	﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ... ﴾[5]

إنّ استلهام معاني القرآن الكريم وتوظيفها في هذه الأمثال الشعبية وغيرها دلالة على وعي أهل المنطقة بالقرآن وفهمهم له، مما أمكنهم التعبير عن تلك المعاني بألفاظ أخرى تعمل على تقريب الصورة أكثر للمتلقي.

---

(1) عبد المجيد بوالروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

(2) سورة المائدة: من الآية 02.

(3) سورة هود: من الآية 06.

(4) سورة التوبة: من الآية 51.

(5) سورة النساء: من الآية 78.

2- الهوية الدينية من خلال الحديث النبوي الشريف:

للسنّة النبويّة الشريفة منزلة كبرى في الإسلام، فهي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن، تعمل على استخراج الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وأخلاق، وتشرح وتفصّل ما هو في الآيات، وهي كلّ ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قول وفعل وتقرير.

والأحاديث النبوية الشريفة تمثل سنّته القولية، وقد تأثرت بها الأمثال الشعبية الجيجلية أيّما تأثّر، كيف لا وهي أقوال خير خلق الله، ويتجلى هذا التأثير فيما يلي:

أ-الاقتباس على مستوى المبنى:

الأمثال التي اقتبست من مباني الأحاديث النبوية الشريفة قليلة مقارنة بالأمثال التي استلهمت معانيها وهذا راجع إلى الاختلافات الموجودة بين اللهجة الشعبية البسيطة ولغة أفصح العرب، إضافة إلى ثقافة الشعب المحدودة إذ عادة ما يحفظون الحديث بمعناه لا بلفظه، ومن هذه الأمثال التي اقتبست من ألفاظ الأحاديث نذكر:

المثل الشعبي	الحديث النبوي الشريف	الملفوظ
" جَارَكْ لاَ تَاذِيهْ وِ اذَا جَاكْ مَنُّه العِيبْ رُوحْ وْخَلِّيهْ "	«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ... » [1]	جارك، لا تاذيه
" الجُودْ ولُوكَانْ بْشَقْ تَمْرَة"	« اتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشَقِّ تَمْرَةٍ» [2]	شق تمرة
" سِيدْنَا مُحَمَّدْ أَشْفَعْ فِينَا "	«أَنَا سَيِّد وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَلَيْهِ القَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَلُ مُشَفَّعٍ»[3]	سيدنا، أشفع
« القَنْطَرَة وَاصْلَة وَالحَبَلْ مْمَدُودْ وَالقَاطَعْ مَقْطُوعْ»[4]	«الرَّحِمُ شَجِنَةٌ مِنَ الرَّحْمَانْ، فَقَالَ اللهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُه»[5]	واصلة، القاطع، مقطوع

---

(1) محمد بن إسماعيل البخاري: الصحيح، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، الحديث رقم 1618، ص1526.

(2) المرجع نفسه، باب طيب الكلام، الحديث رقم 6023، ص 1527.

(3) مسلم بن الحجاج النيسابوري: الصحيح، باب تفضيل نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلّم على جميع الخلائق، الحديث رقم 2278، ص54.

(4) حسين بن بخمة المورغاني: ذرات النيكل في النادر من أمثال أهل جيجل، ص 56.

(5) محمد بن إسماعيل البخاري: الصحيح، باب من وصل وصله الله، الحديث رقم 5988، ص 1520.

«اللّي يزَوّجْهَا عْلَى مَالْهَا يْمُوتْ فْقِيرْ، و اللّي يَزَوّجْهَا عْلَى رْجَالْهَا يْمُوتْ حقِيرْ، و اللّي يَزَوّجْهَا عْلَى دِينْهَا يْحَبّه رَبّي والنّبِي البْشِيرْ »[1]	« تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ » [2]	مالها، دينها
«المُومَنْ المْتِينْ مَا تَلْعَبْ بِيهْ مَرْتِينْ »[3]	«لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ» [4]	المؤمن، مرتين
" المِيَّتْ يْنَفْعُوهْ اعْمَالُه "	« يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ» [5]	الميت، اعماله
"اليَدْ اللّي تْمَدْ خِيرْ مْنَ اليَدْ اللّي تْشَدْ "	« اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، فَاليَدُ العُلْيَا هِيَ اليَدُ المُنْفِقَة وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ» [6]	اليد، خير
"العِينْ تَنْفَذْ فِي الحْجَرْ"	«العَيْنُ حَقٌّ»[7]	العين

ب- استلهام معاني الأحاديث النبوية الشريفة:

للأحاديث النبوية الشريفة حضور كبير في الحياة اليومية لأهل منطقة جيجل، إذ انعكست بصورة مباشرة في حياتهم وأفكارهم كما هيّ منعكسة في أمثالهم الشعبية، التي استوحت من معانيها الكثير في الحديث عن أمور شتى، منها الحث على فعل الخيرات وترك المنكرات وتوجيه الناس نحو الخير، كما في النماذج الآتية:

---

(1) عبد المجيد بوالروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

(2) مسلم بن الحجاج النيسابوري: الصحيح، باب استحباب نكاح ذات الدين، الحديث رقم 1466، ص 340.

(3) حسين بن بخمة المورغاني: ذرات النيكل في النادر من أمثال أهل جيجل، ص 16.

(4) محمد بن إسماعيل البخاري: الصحيح، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتّين، الحديث رقم 6133، ص1551.

(5) مسلم بن الحجاج النيسابوري: الصحيح، الحديث رقم 2960، ص 689.

(6) محمد بن إسماعيل البخاري: الصحيح، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، الحديث رقم 1429، ص 430.

(7) المرجع نفسه، باب العين حق، الحديث رقم5740، ص 1466.

المثل الشعبي	معناه	الحديث المقابل له
" أَضْحَكْ فِي وَجْهُه وْ مَا تَعْطِيهْشْ يَاكَلْ"	الابتسامة في وجه الناس خلق حميد وصدقة.	«لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ»[1]
" أَمْشِ مْعَ رَبِّي صْحِيحْ مَا تْطِيحْ " " دِيرْ النِّيَّة وَارْقَدْ فِي التْنِيَّة"	من تكون نيته خالصة لله تبارك وتعالى، ينير الله له طريقه، ولا يلقى أمامه إلاّ الخير.	«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِه، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِه...» [2]
" البْحَرْ يَشْتَاقْ المَا وابْنَ ادَمْ يَشْتَاقْ الكَلْمَة"	الكلمة الطيبة تؤثر في الإنسان وترفع من معنوياته، فيكون دائما متعطشا لسماعها.	« الكَلِمَةُ الطَّيِّبَة صَدَقَةٌ»[3]
" جَارَكْ، جَارَكْ حتَّى تْقُولْ شْرِيكْ مْعَاكْ "	المسلم قريب من جاره، يحترمه ويحسن إليه ويساعده ويؤازره، كما ولو أنّه شريك معه.	« مَازَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[4]
" العِينْ بْصِيرَة واليَدْ قْصِيرَة"	من الناس من يملك همة عالية، لكن لا مقدرة له على بلوغها.	«...وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِيَّةِ، يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ وَنِيَّتُهُ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ...»[5]

(1) مسلم بن الحجاج النيسابوري: الصحيح، باب طلاقة الوجه عند اللقاء، الحديث رقم 2626، ص 617.

(2) محمد بن إسماعيل البخاري: الصحيح، باب النية في الإيمان، الحديث رقم 6689، ص 1679.

(3) المرجع نفسه، باب طيب الكلام، الحديث رقم 6023، ص 1527.

(4) المرجع نفسه، باب الوصاءة بالجار، الحديث رقم 6014، ص 1525.

(5) محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الكبير، ج4، تحقيق: بشار عواد معروف، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، الحديث رقم 2325، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص 153.

" الفَمْ المَزْمُومْ مَا يَدَّخْلُوهْ الذَبَّانْ"	من يصمت يقي نفسه شر لسانه.	«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْم الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ...» [1] « إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزَلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»[2]
" بَاتْ مْعَ الحَاجْ صَبَّخْ يْقَاقِي"	من الناس من يعاشرون قوما من غير جلدتهم، فيقعون في التقليد الأعمى وإن كان هؤلاء القوم في طريق الضلال.	«لاَ تَكُونُوا إِمَّعَة، تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاؤُوا فَلاَ تَظْلِمُوا»[3]
« اللِّي بَكَّرْ وْشَمَّرْ عْلَى زْنَادُه نَالْ مُرَادُه. اللِّي نَاضْ بَكْرِي يْبِيعْ وْيَشْرِي »[4] " مَنْ بَكَّرْ لَشْقَاهْ قْضَاهْ"	الاستيقاظ باكرا من أجل العمل يعود على صاحبه بعظيم الفائدة والربح.	«اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»[5]
" اللِّي بْزِيتُه وذْقِيقُه كَلْ يُومْ عِيدُه"	من يملك طعام يومه فهو في نعمة كبيرة.	« مَنْ أَصْبَحَ مِنكُمْ آمِنًا فِي سَرْبِه ،مُعَافىً فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»[6]
" اللِّي قَرصُه الحَنْشْ يْخَافْ مْنَ الحَبْلْ" " الضَّرْبَة فِي الرَّاسْ تْفَطَّنْ"	من تعرض للأذى من شيء ما، سيتّعظ ويحذر منه فلا يصيبه مرّة أخرى.	«لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ» [7]

(1) محمد بن إسماعيل البخاري: الصحيح، باب حفظ اللسان، الحديث رقم 6475، ص 1632، 1633.

(2) المرجع نفسه، الباب نفسه، الحديث رقم 6477، ص 1633.

(3) محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الكبير، ج3، باب ما جاء في الإحسان والعفو، الحديث رقم 2007، ص 538.

(4) عبد المجيد بوالروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

(5) عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: كتاب السنن الكبرى، ج8، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، باب توجيه السرايا، الحديث رقم8782، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 120.

(6) محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الكبير، ج4، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، الحديث رقم 2346، ص 167.

(7) محمد بن إسماعيل البخاري: الصحيح، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ،الحديث رقم 6133، ص1551 .

" اللّي يْحَبَّكْ يْبَكِّيكْ واللّي يْكَرَّهَكْ يَضْحَكْ عْلِيكْ "	الذي يحب أخاه حقا هو من يقدّم له النصيحة وإن كانت قاسية، أما من يكرهه فلن يقدمها له أبدا، بل يضل يضحك عليه.	«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» [1]
" المْعَايْرَة في الوَجْهْ صَابُونْ وْفي الظْهَرْ طَاعُونْ"	منابزة المرء بما فيه من عيوب فرصة له للتخلص منها، لكن إذا ذكرت العيوب عن ظهر الغيب، فهو إثم كبير.	«عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: "أَتَدْرُونَ مَا الغَيْبَة؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» [2]
" مْلاَيْكَاتُه تْقَالْ"	الناس أشكال، هناك من يكون خفيف الظل تأنس له القلوب، وهناك من يكون ثقيل الظل تنفر منه القلوب.	«الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» [3]
"مَنْ قَالْ لَكْ قَالْ عْلِيكْ، وْمَنْ نَقَّلْ لَكْ حْدِيثْ الغِيرْ، نَقَّلْ حْدِيثَكْ لَلْغِيرْ" " اللّي جَابْلَكْ دَّى مَنَّكْ"	على الإنسان أن يأخذ الحيطة والحذر من الشخص المنّان، الذي يفتن بين الناس بنقل أخبارهم.	«عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ * ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»[4]

لقد كان الغرض من ذكر النماذج السابقة من الأمثال الشعبية وما يقابلها من آيات قرآنية أو أحاديث نبوية شريفة هو بيان أصالة أهل جيجل وانتمائهم العريق إلى الدّين الإسلامي الحنيف وارتباطهم الوثيق به، فهو دستور الحياة بما فيه من خير وعدل، والملجأ الوحيد الذي يلجأون إليه لحلّ ما يعترضهم من إشكاليات، والرابط القوي الذي يجمعهم ببعضهم البعض

---

(1) مسلم بن الحجاج النيسابوري: الصحيح، باب بيان أنّ الدين النصيحة، الحديث رقم 55، ص 27.

(2) المرجع نفسه، باب تحريم الغيبة، الحديث رقم 2589، ص 610.

(3) المرجع نفسه، باب الأرواح جنود مجنّدة، الحديث رقم 2638، ص 619.

* العضه: الكذب والبهتان.

(4) مسلم بن الحجاج النيسابوري: الصحيح، باب تحريم الغيبة، الحديث رقم 2606، ص 613.

المبحث الثاني: الدلالة التربوية الأخلاقية.

يعدّ الدور التربوي الأخلاقي العنصر المهيمن على جلّ الأمثال الشعبية المتداولة بالمنطقة، حيث تؤدّي داخل المجتمع رغم بساطتها دور المربّي الناصح المتشبّع بتجارب الحياة وخبراتها، الذي يهدف إلى زرع وتثبيت القيم والأخلاق الفاضلة والدعوة إلى التمسك بها، ونزع الأخلاق المنبوذة والسلوكات المستهجنة والتحذير من عواقبها، إمّا بتعبير مباشر وإمّا عن طريق التلميح والترميز.

1- الأخلاق والسلوكات الحسنة:

الأخلاق هي ميزان نقيس به تقدّم الأمم وازدهارها، أو ضعفها وتخلّفها، يقول الشاعر:

«وَإِنَّمَا الأُمَـــمُ الأَخْـــلاَقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاَقُهُمْ ذَهَبُوا»[1].

أي أنّ كيان الأمة مرتبط بالأخلاق، فإن غابت هذه الأخيرة لم يعد للأمّة اعتبار، ولكي تبقى شامخة لابدّ لها من شدّ الوثاق بالأخلاق، لذلك نرى جميع مجتمعات العالم تسعى جاهدة إلى ترسيخ القيم الأخلاقية الرفيعة وتحبيبها إلى نفوس الناشئة بمختلف الوسائل، والمثل الشعبي -كما هو معروف- أحد الوسائل الناجعة والفعّالة في توجيه السلوكات، في الأسرة والمجتمع والمدرسة والإعلام ؛ لأنه يلخّص خبرات الأجيال ويقدم مضمون هذه الخبرات للناس فيرشدون إلى الطريق المستقيم. ومن الأساليب التي يُعمد إليها في الأمثال الشعبية لترسيخ القيم الخلقية الرفيعة والسلوكات المستحبة ما يلي:

أ- المدح:

حتّى نضمن بقاء واستمرار حدوث الخلق النبيل أو السلوك الحسن لابدّ من تعزيزه بالإيجاب* باستعمال ألفاظ مدح تُشعر المتحلّي به بالافتخار والفرح مما يدفعه إلى تكراره، كما يؤدّي هذا الأسلوب أيضا إلى إذكاء الهمّة فيمن لم يقم بذلك الفعل أو لم يتحل بذلك الخلق، وفي هذا الشأن يقول "عبد القاهر الجرجاني" في مقام حديثه عن مواقع التمثيل وتأثيره:

---

(1) أحمد شوقي : الديوان، ج1، ص 74 .

* التعزيز الإيجابي: هو المكافأة على السلوك الإيجابي (المرغوب فيه) بأقوال أو أفعال تدفع إلى تكرار ذلك السلوك.

« (...) فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهزّ للعِطف، وأسرع للإلف وأجلب للفرح، وأوجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغرّ المواهب والمنائح، وأسير على الألسن وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر»[1].

ومن أمثلة المدح في أمثال جيجل الشعبية نذكر قولهم:

- "خْيَارْ النَّاسْ اللِّي يَنْهِي بِينْ النَّاسْ وَالنَّاسْ".

- "خْيَارْ النَّاسْ اللِّي يْفَرَّحْ النَّاسْ بَالخِيرْ".

ب- الترغيب:

إنّ الترغيب هو وعد النفس بما تشتاق إليه من نعيم سواء في الحياة الدنيا أو في الآخرة، والإنسان إذا رغّبته في شيء استعدّ وتحفّز له بغية الفوز به، وقد وجدنا بعضا من أمثال جيجل الشعبية ترغّب وتشجّع النفوس على التحلي بمكارم الأخلاق بطريقة مجدية، تُحرّك الوجدان والإرادة، فتدفع بقوة إلى فعل الخيرات والرغبة فيها والتضحية من أجلها ؛ لاقترانها بالأجر والثواب، مثل قولهم:

- «السْلاَمْ أَفْشِ وَلْجَنَّة أَمْشِ»[2]: وهو مثل يرغّب بالجنة مقابل المبادرة بتحيّة المسلم.

-"الصَّابَرْ يْنَالْ": يرغب هذا المثل في خلق الصبر بلفظة "ينال"، فالذي يحبس النفس عن الأذى ولا يجزع من بلايا وخطوب الدهر سيجزيه الله خيرا بأن يستره من الكروب ويعينه على الخطوب، ويفرج أزمته، ويزيل همومه، أما في الآخرة فيوفى أجره بغير حساب.

- "الصَّالَحْ دَايْمًا نَاجَحْ": يضرب هذا المثل في الحثّ على التمسّك بالعمل الصالح، لما يعود به من منفعة على صاحبه في الدنيا والآخرة، ففي الدار الدنيا ينعم بالهداية والاستقامة، وفي الآخرة بجنات تجري من تحتها الأنهار.

- "كَمَّالَةْ القْصِيرْ وَرَضَّاعَةْ اليْتِيمْ لَلْجَنَّة وَالرَّبْ رْحِيمْ": يدعو هذا المثل إلى المساعدة والتعاون في أمور الدنيا مقابل الجنة، فالمرأة التي تغيث أختها في إكمال النسج والتي تبادر في إرضاع اليتيم سيكون جزاؤها من جنس عملها، أي: تؤجر بالجنة.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 88.

(2) حسين بن بخمة المورغاني: ذرات النيكل في النادر من أمثال أهل جيجل، ص 49.

ج- الأمر:

إنّ أسلوب الأمر الموجود في الأمثال عامة والأمثال الشعبية الجيجلية خاصة لا يعني الإلزام والإكراه بل مجرد نصائح تسدى ، وإرشادات تقدم للناس من أجل الاهتداء، وهو كثير الوجود في الأمثال لما يؤدّيه من دور تربوي أخلاقي، نذكر منه على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- «أَغْسَلْ وَجْهَكْ وَالرَّقْبَة وَاكْنَسْ المْرَاحْ* وَالرَّحْبَة **» [1] وفي رواية أخرى "أَغْسَلْ وَجْهَكْ وْنَقِّيهْ يَعْلَمْ الله مَنْ تْلاَقِي بِيه": وهو أمر بنظافة الجسم والمحيط.

- "تْغَدَّى وَتْمَدَّى وَتْعَشَّى وَتْمَشَّى": في هذه الجملة المثلية إشارة إلى الثقافة الصحية، إذ هناك أمر بالقيلولة بعد وجبة الغداء من أجل تجديد طاقة الجسم، فيستطيع المرء إكمال ومواصلة مشواره اليومي وقد أورد "رابح خدوسي" في مؤلفه "موسوعة الأمثال الجزائرية" عند شرحه لهذا المثل بأنّ "ونستون تشرشل" (Winston Churchil) رئيس الوزراء البريطاني السابق، يُرجع ربحه في معارك الحرب العالمية الثانية إلى ربع ساعة قيلولة، التي كان يأخذها بعد كلّ وجبة غذاء.[2]

أمّا الأمر بالمشي بعد تناول وجبة العشاء فلِما له من فائدة في هضم الطعام.

- " شَاوَرْ الكْبِيرْ، إِذَا مَارْبَحْتْشْ تَسْلَكْ علَى خِيرْ": أي لا يندم من يستشير الكبير لما له من خبرة في الحياة، لذلك يقال في مثل آخر " اللّي رَاحْ كْبِيرُه رَاحْ دْبِيرُه".

- " أَطْعَمْ رْبِيبَكْ يْعِيشْ وْلِيدَكْ "، " كُولْ مَا يَعْجْبَكْ وَ الْبَسْ مَا يَعْجَبْ النَّاسْ"، " بَدَّلْ المْرَاحْ تَرْتَاحْ"، "كُولْ وْ ذَوَّقْ وَ الاَّ كُولْ وْ دَرَّقْ، " قُوقَشْ بَالقَشْقَاشْ حَتَّى يْجِي الصَبَّاطْ"... إلخ.

2- الأخلاق والسلوكات السيّئة:

كما يسعى المثل الشعبي بمنطقة جيجل إلى نشر الفضائل وتحبيبها، يسعى أيضا إلى كشف الأدواء الأخلاقية والتحذير من عواقبها بمجموعة من الأساليب منها ما يلي:

---

* المراح: مكان متّسع في البيت (فناء البيت).

** الرّحبة: وهي نفسها "المراح".

(1) عبد المجيد بوالروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

(2) ينظر، رابح خدوسي: موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، دط، دت، ص 44.

أ- الذم:

لكي يبتعد الناس عن السلوك والخلق السيء وعن كل ما هو منبوذ مستقبح ومستهجن، يُستعمل أسلوب الذم في المثل الشعبي للحطّ من قيمة ذلك الفعل الممارس؛ لأن الذم في التمثيل كما قال "عبد القاهر الجرجاني" «مسّه أوجع وميسمه* ألذع ووقعه أشدّ وحدّه أحدّ »[1].

وبالتالي له تأثير قوي في ترك الخلق السيّء، كقولهم في الأمثال الآتية:

-" المْعَرَّة ** فِي الرْجَالْ اللّي يَاكَلْ فِي السُّوقْ، وْ المْعَرَّةْ فِي النْسَا اللّي تْخَلَّطْ وَ تْذُوقْ"؛ يُذمّ في هذا المثل الرجل الذي يأكل الطعام في السوق من خلال لفظة "المعرّة"، وباللفظة نفسها تذم المرأة التي تطهي الطعام وتتذوق، إذ من آداب الأكل، أن يأكل الناس عن شعورهم بالجوع وليس في أي وقت كان.

- "الشْمَاتَة بَنْ الشْمَاتَة اللّي يْعَابَرْ زُوجْ ثْلاثَة": في هذا المثل ذمٌّ للشخص الذي يحاول مصارعة شخصين أو أكثر وهو يعلم بأن الفوز لهم لاتحادهم فيما بينهم.

-"الزّينْ بْلاَ فْعَلْ أخْزِ *** وانْعَلْ ****": يضرب هذا المثل فيمن ظاهره جميل وهو كسول.

- «الجِيلْ المَسْعُورْ يَاكلْ فِي الكَسْرَة والبَرْبُوشْ تْفُورْ»[2]: يذم هنا الشخص المتعجّل في أمره.

- "كِي تْفَرَّقْ العَرْسْ نَاضَتْ الخَايْبَة تَشْطَحْ"، " الرَّجَّالَة يْكَسْبُوا والطْحَاحْنَة يْحَسْبُوا"، " بَهْلُولْ مَنْ شْوَى عَظْمَة وبَهْلُولْ مَنْ طْمَعْ فِيهْ"، " رَاحْ الفَايَحْ لَلْغَابَة، جَابْ مْثِيلُه في العْوَادْ "، ... إلخ.

ب- الترهيب:

الترهيب هو توعّد النفس بما ينتظرها من عقاب إذا ما أقبلت على فعل المحظورات والمكروهات حيث يربط المثل الشعبي الخلق والفعل السيء بالعقاب فـ «يصبح السلوك السيّء الذي سيق المثل ليربّينا على تجنّبه مكروها لاقترانه بالانفعالات المنفّرة»[3]، مما يدفعنا إلى النفور والابتعاد عن كلّ ما يؤدّي

---

* الميسم: ما يكوى به.

(1) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 88.

** المعرّة: الأسوأ.

*** أخز: من الخزي.

**** انعل: إلعن.

(2) عبد المجيد بوالروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

(3) عبد الرحمن النحلاوي: التربية بضرب الأمثال، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 2005، ص 11.

إلى العواقب الوخيمة مهما كان محاطا بالمغريات، والإقبال على المباحات المؤدّية إلى العواقب المحمودة مثـــل ما يلي:

- " عِينْ الحَسُودْ يَدْخَلْ فِيهَا العُودْ": الحسد هو خلق ذميـم؛ عواقبه وخيـمة، يقتل صاحبه قبـل أن يصل إلى المحسود، وهو كما قال "علي بن محمد الماوردي" «بالنفس مضرّ وعلى الهمّ مصرّ ،حتّى ربّما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية في عدو ولا إضرار بمحسود»[1].

- " وَكَّالْ الامَانَة للنَّارْ وْجَهَنَّمَ": الأمانة حمل ثقيل على الإنسان، من وفّاها إلى أصحابها نال الجنّة ومن خانها ولم يؤدها إلى أصحابها كانت نار جهنّم في انتظاره.

- " اللِّي يْصَلِّي ويْخَلِّي* رَجْلُه فِي النَّارْ مْدَلِّي ": الصلاة من دعائم وأركان الإسلام، من يتهـاون في أدائها، يعاقب في نار جهنّم.

- " المَشْكَاكْ والمَغْرَارْ لْنَارْ جَهَنَّمَ"، " اللِّي يَدَّرَّقْ فِي الايَّامْ تْعَرِّيهْ "، "اللِّي يَكْذَبْ فِي مْنَامُه يْنَقَّصْ فِي مْقَامُه"، " الظَّالَمْ لاَ يْرُوحْ سَالَمْ"، " الدْسَارَة تْجِيبْ الخْسَارَة" ... الخ.

ج-النهي:

يعدّ النهي هو الآخر من الأساليب المستعملة بكثرة في الأمثال الشعبية ، التي تعمل على نصح الناس وإرشادهم وإبعادهم عن كل ما هو مكروه أو عن كل ما يجلب لهم الشر، كقولهم في الأمثال الآتية:

- " لاَ تْكَتَّرْ عْلَى المْلُوكْ لاَ يْمَلُّوكْ": أي كن خفيف الظلّ لا تثمل.

- " مَا تْكُونْشْ مَارْ يَبَزْقُوكْ، وْ مَا تْكُونشْ حْلُو يَبَّلْعُوكْ": ومعناه ألاّ تفرط وتتجاوز الحد في المرارة فتُرمى وتقذف خارجا، ولا حلوا فتبلع، أي لابدّ على المرء أن يكون في الوسط بين الحالتيـن حتى يستطيع العيش بسلام.

- "مَا تَضْرَبْ حتَّى تْقَرَّبْ، وْمَا تَحْرَثْ حَـتَّى تْزَرَّبْ، وْمَا تَصْحَبْ حتّى تْجَـرَّبْ": وهو مثل يدعـو إلى أخذ الحيطة والحذر من أيّ شيء قبل الإقدام على فعله.

---

(1) علي بن محمد الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص 278.

* يخلّي: يترك.

- " مَا تْخَطْ رُوحَكْ مْعَ الجَاجْ مَا يْنَقْبُوكْ "، " جَارَكْ لاَ تَاذِيهْ وِ اذَا جَاكْ منُّه العِيبْ رُوحْ وْخَلِّيهْ" "مَا تَسْتَعْظَمْ مَا يْجِيكْ عْظَمْ"، " مَا تَصْحَبْ خَاسَرْ وْمَا تْوَكَّلْ فَاجَرْ"، " عَانَدْ وْ مَاتَحْسَدْشْ"، "لاَ تْكَبَّرْ مَنْ كَانْ كْبِيرْ، وْلاَ تْوَالفْ الدَّابَّة الشْعِيرْ " ...إلخ.

د- النموذج السيء:

أوردت بعض من أمثال جيجل الشعبية أسماء افتراضية لنماذج من أشخاص سيّئون في المجتمع لا يحسنون التصرّف في أمورهم، بأسلوب مثير للضحك لكنّه هادف؛ إذ يسعى إلى توجيه للناس للابتعاد عن تلك الأفعال التي يقوم بها هؤلاء، مثل قولهم:

- " بَنْ عَلْجِيَّة اللّي يَخْدَمْ بِهَمْ الصْبَاحْ، يَاكَلْهُمْ الْعَشِيَّة": فـ" بَنْ عَلْجِيَّة" هذا هو قدوة سيّئة للناس ؛لأنّه يسيء التصرّف في أمواله.

- « المعَلَّمْ فُورُو يَخْدَمْ بَفْرَنْكْ ويَتْغَذَّى بْدُورُو»[1]: إنّ " المعَلَّمْ فُورُو " هو شخص غبي لا يحسن تسيير أموره ، إذ ينفق ما يفوق مدخوله.

- " قَالُوا بْرَاهَمْ فَلاَّحْ، حْرَثْ الجَبَّانَة * وْ زَادْ المْرَاحْ ": يدعو هذا المثل إلى عدم المبالغة في الشيء والغرور كالشخص المدعو "بْرَاهَمْ" الذي اغتر بنفسه لأنّه فلاح فحرث ما يُحرث وما لا يُحرث.

- «يَمِينَة طَهْطَالَة لاَ مَغْزَلْ وَلاَ صَنَّارَة»[2] : يدعو هذا المثل إلى العمل ونبذ البطالة، كهذا النموذج (يَمِينَة) الذي لا يملك أي حرفة في يده.

ومن الأساليب التي يعمد إليها المثل الشعبي أيضا في تحبيب الأخلاق والسلوكات الحسنة والتنفير من الأخلاق المستقبحة والسلوكات المعوجّة " **الجمع بين الخلقين المتناقضين**" ،من أجل هداية الناس إلى طريق الفهم والتبصر؛ فالإنسان بفطرته مجبول على حبّ الخير، ووضعه بين الخلق الحسن والخلق السيء يكون من أجل بيان التناقض بين الخير والشّر، والعقل دائما يفضّل الخير، وبالتالي يهتدي الإنسان

---

(1) عبد المجيد بوالروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

* الجبانة: المقبرة.

(2) عبد المجيد بوالروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

إلى محاسن الأخلاق من تلقاء نفسه ويعمل بها ، وكذلك من تلقاء نفسه يبتعد عن الغيّ والفساد والظلال مثل قولهم في هذه الأمثال:

- " ارتَاحْ من قْنَعْ، وْذَلْ مَنْ طْمَعْ".
- " فَاعَلْ الخِيرْ سَالَكْ، وْ فَاعَلْ الشَّرْ هَالَكْ".
- " القَنْطْرَة وَاصْلَة وَالحَبَلْ مَمْدُودْ وَالقَاطَعْ مَقْطُوعْ".

وهكذا نرى أنّ أمثال جيجل الشعبية تدعو وتحثّ على الأخلاق الفاضلة كالإحسان والصدق والسلام والعفو والتسامح والتعاون والشجاعة والعمل ... إلخ، وتصف من يسلكها بأحسن الصفات وتمدحه وتثني عليه وتحفّزه في المداومة عليها، ليكون نموذجا للاحتذاء، كما تبيّن أثر الفضيلة وجزاء من يعمل بها، وتذم وتنهى عن الاقتراب من الأخلاق السيّئة كالكذب والكسل والظلم والطمع والغفلة والغرور والإفراط والحسد والخيانة والتدخل في شؤون الغير وسوء الظنّ و ... إلخ، وتتوعّده بعقاب قد يكون عاجلا وقد يكون آجلا. إنّها سجل دقيق لأخلاقيات المنطقة «يحرص الناس على حفظها وتناقلها مستفيدين منها الخبرة والتجربة،[و] يتمرّسون على هديها المبدأ القويم والخلق النبيل»[1].

فربّ مثل يفعل في النفس ما تعجز عن فعله محاضرات في الأخلاق والمثل العليا!

(1) أحمد عبد الغفار عبيد: أمثالنا الموروثة قيمتها الأدبية والفكرية ودلالتها على شخصية الإنسان العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2007، ص 79.

المبحث الثالث: الدلالة الاجتماعية.

من المسلّم به أنّ الأمثال الشعبية هي أكثر فنون التراث الشعبي التصاقا بالمجتمع؛ لأنّها نابعة منه ومتأثرة بثقافته، ترصد حركيته وتصوره بأدقّ التفاصيل، كما تكشف عن هموم الشعب ومشاغله وتحاول «إرساء قواعد تضبط أصول الحياة في مظاهرها المختلفة»[1]، في جمل قصيرة بليغة، موحية، تلخّص العديد من التجارب فتعادل الكثير من المحاضرات والنظريات، لذلك «اعتبرت ركيزة ضخمة ينقّب فيها الباحث عن آراء الشعب وفلسفته في الحياة وحكمته أمانيه وآلامه ورغائبه وأحلامه (...) [و] أوضح صورة لتفاعل الشعب مع البيئة التي يعيش فيها، والتي هي – درى أم لم يدر– مسرح خواطره ومعين أفكاره ووحي أقواله»[2].

فكيف كانت صورة المجتمع الجيجلي في أمثاله الشعبية؟ وما مظاهر تأثّر الأمثال الشعبية بالبيئة الطبيعية؟

1– تصوير الواقع الاجتماعي:

الأمثال الشعبية بجيجل هي موسوعة من الأفكار والمعلومات والتجارب والخبرات الناتجة عن احتكاك الفرد بالجماعة، وتفاعلاته المستمرة مع بيئته، تصور «العلاقات القائمة بين الناس في تعاملهم أيام المعسرة والميسرة، والتفاهم حول مقدسات وقضايا مشتركة تجعل منهم وحدة متميزة لها خصوصياتها المحلية»[3] وتوضح دور هذه العلاقات وضرورتها في بناء المجتمع، كما تعرّف الآخرين بأعراف وتقاليد المنطقة.

أ– الرجل والمرأة في المجتمع:

أ/1– الرجل:

صورت بعض الأمثال الشعبية الرجل في المجتمع الجيجلي من مرحلة الطفولة إلى المرحلة الأخيرة من عمره، فولادة الطفل في أي أسرة تعني الفرح والسرور والابتهاج؛ لأنّ الطفل يحمل لقب والده، ويعين أهله عند شبابه بما حباه الله من قوة عقلية ("الرَّاجَلْ بْلاَ عْقَلْ كِالقَدْرَة بْلاَ بْصَلْ") وبدنية ("الرْجَال كِالقَمْحْ أَعْفَصْهُومْ * يْنُوضُوا").

---

[1] عبد المالك مرتاض: الأمثال الشعبية الجزائرية – تحليل لمجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية –، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2007، ص 09.

[2] نعمات أحمد فؤاد: النيل في الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1997، ص 109.

[3] عبد الحميد بن هدوقة: أمثال جزائرية – أمثال متداولة في قرية الحمراء ولاية برج بوعريريج –، ص 13.

* أعفصهوم: طأهم.

وعن تربية الطفل يحرص الآباء والأمهات على عدم الإفراط في الدلال؛ لأن "ذَرِّيَةْ العَز * تَقْعَـدْ لَلدَّزْ**" –كما يقول المثل الشعبي–، أي أنَّ الطفل المدلّل سيظل حتى في كبره يعتمد على والديه، ولا يمكنه لوحده أن يواجه الصعوبات، فلابدّ من تدريبه على الاعتماد على نفسه، حيث يقول المثل الشعبي : "أَوَّلدُه حَاذَقْ وْمَا تْخَلِّيلُوشْ ***".

أما العمل بالنسبة للرجل فهو واجب، لا يهمّ ما كان، المهم أن يكون شريفا، ذا مكسب حلال. يقول المثل الشعبي: "خَدَّامْ الرْجَالْ سِيدْهُمْ"، أي أنَ قيمة الرجل ومكانته في المجتمع في عمله، أما العاطل عن العمل من دون سبب فهو شخص يثير الشفقة (الرَّاجَلْ عِيبُه فِي جِيبُه).

وبما أنّ الرجل هو المسؤول عن الإنفاق على أسرته فقد صور المثل الشعبي ذلك بقوله: "الرَّاجَلْ مْنَ الفْحَمْ يْجِيبْ القَفَّة وَاللْحَمْ".

وأمّا عن صورة الرجل داخل بيته وعن علاقته بزوجته فهو السيد، و «حين تعلو كلمة المرأة على الرجل، فإنّها تعرب عن شذوذ لا تقبله البيئة، ويكون الرجل قد تقهقر إلى وضع المعرّة لا يطاق»[1].

وعند وصوله مرحلة الشيخوخة يقول المثل الشعبي عنه:"كِي يَكْبَرْ الشِيخْ يَكْثَرْ حْسَاسُه، وَيْقَلْ نْعَاسُه وْيَخْدَمْ غِيرْ كْنِيسَةْ **** رَاسُه"، حيث يذهب عقله، ويصبح يتصرّف بلا وعي، فيؤذي نفسه، ويقلق من حوله.

أ/2- المرأة:

موضوع المرأة من أهمّ الموضوعات التي شغلت حيّزا هاما في فضاء الأمثال الشعبية الجيجلية بمختلف مراحل أعمارها وأدوارها، حيث سجّلت حضورها، وعبرت عن صورتها بكل ممارستها، وقبل الحديث عن هذه الصور كان لا بدّ لنا أن نعرف نظرة المجتمع الجيجلي إليها كجنس أنثى.

---

* العز: الدلال.

** الدز: الدفع.

*** ما تخلّيلوش: لا تترك له شيئا.

(1) سليمان عشراتي: الشخصية الجزائرية والأرضية التاريخية والمحددات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2009، ص250.

**** كنيسة: مصيبة.

دلّت بعض من أمثال جيجل الشعبية على أنه ما زالت هناك رواسب وامتدادات لعادات وتقاليد المجتمع الجزائري القديم، الذي كان يفرح لقدوم الولد ويجزع ويتجهّم من قدوم الأنثى كونها لا تجلب إلاّ العار – في اعتقادهم–، وهو ما تصوره الأمثال التالية:

-«كِي وْلَدْتْ دَ الوْلَدْ ظَهْرِي اسْنَدْ، وْكِي وْلَدْتْ دَ البْنِيَّة حَسِّيتْ الحِيطْ طَاحْ عْلِيَّ.

- سَهْرْ لِيلَة عْلَى طَفْلَة!!» [1].

- "نَرْضَى بَالحَنْشْ فِي الغَارْ وْلاَ زُوجْ بْنَاتْ فِي الدَّارْ".

لكن هذه النظرة قد تغيرت مع مرور الزمن وأصبح هناك اعتراف بقيمة البنت وإعلاء من شأنها، وهو ما يؤكده قولهم:

- "اللِّي مَا عَنْدُوشْ البْنَاتْ مَا دْرَاوَهْ فَايَنْ مَاتْ".

- "عِيشَة خِيرْ مَنْ عَيَّاشْ".

أمّا عن تربية البنت وإعدادها في المجتمع فتكون «عبر قيّم ومعايير أخلاقية ودينية تفرض على الفتاة أنماطا من السلوكات والتصرفات التي تسير وفقها لتكوّن شخصيتها الأنثوية والبداية تكون بالتشدد معها»[2].

فإعداد الفتاة إمرأة صالحة في المجتمع ليس بالأمر الهين، بل تخضع لطرق تربوية أولها التشدّد معها والمقصود من ذلك هو عدم تدليلها، وهو ما يسمى في لهجة المنطقة بـ"الفْشُوشْ"، إذ يقال في المثل الشعبي: "فْشُوشْ الطَّفْلَة وْنُوَّارْ الدَّفْلَى"، أي أنّ عدم التشدد مع البنت وتركها تفعل ما تريد قد يؤدي بها مستقبلا إلى ما لا يحمد عقباه، وهي في ذلك شبيهة بنبات الدفلى الذي كلّما سقيته ماء ازداد تورّقا وتفرّعا وإزهارا على مرارة مذاقه.

وأمّا عند بلوغ الفتاة سنّ الزواج فقد صوّرت لنا أمثال جيجل الشعبية النموذج المثالي للمرأة الصالحة للزواج من خلال مجموعة من المقاييس هي:

---

(1) عبد المجيد بوالروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

(2) فتيحة بن فرحات: صورة المرأة من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية – دراسة سوسيولوجية –، مجلة الثقافة، العدد 10، الجزائر، 2007، ص 113.

- التديّن : – "اللِّي يزَوّجْهَا عْلَى مَالْهَا يْمُوتْ فْقِيرْ، و اللِّي يَزَوّجْهَا عْلَى رْجَالْهَا يْمُوتْ حقِيرْ، و اللِّي يَزَوّجْهَا عْلَى دِينْهَا يْحَبُّه رَبِّي والنْبِي البْشِيرْ".
- النسب: – "إذا حْرَثْتْ شتَّل، وِ اذَا شْرِيتْ خيَّر، وِ اذَا زوّجْت صَيَّلْ ".
- القرابة: –"مَا تَدِّيشْ البَنْتْ مْنَ الشَّطْ*، تَهْدَرْ تْبَلْبَلْ **، تْنَاوَلْ تْفَنْدَرْ ***، وَدّ بَنْتْ الفَامِي تَلْبَسْ تْجَرْجَرْ، تْنَاوَلْ تْقَدَّرْ، تَهْدَرْ تْعَبَّرْ".

–"مَسَّلْ مَنْ طِينَكْ يَهْدَى لَكْ".

–" خُذْ طْرِيقْ الصَّحْ وَلُو كَانْ دَايْرَة، وخُذْ بَنْتْ عَمَّكْ وَلُوْ كَانْ حَايْرَة" .

- بنت الريف: – " قَطْ المْدِينَة مَا يْصَيَّدْ فَارْ، وْبَنْتْ المْدِينَة مَا تْدِيرْ دَارْ ".
- أم البنت: – "شُوفْ لْخَالَتْهَا وَاخْطَبْ بَنْتْهَا".

– " خُذْ البْنَاتْ عْلَى الامَّاتْ وْ رَبِّي الخِيلْ عْلَى الصِّيلْ".

– "خُذْ النْبَاتْ عْلَى الحَبَّاتْ، والبْنَاتْ عْلَى الامَّاتْ ".

– " قَلَّبْ القَدْرَة عْلَى فَمْهَا تَخْرَجْ الطَّفْلَة لَامْهَا".

- القدرة على أشغال المنزل: –"بَرَّكَانِي مَنْ زِينَكْ وَبْهَاكْ وْهَاتْلِي شْغَلْ يَدَّاكْ".

–«البَرْمَة عَلِّي وَ الطَّاجِينْ دَلِّي وِاذَا مَا عْرَفْتْشْ رُوحْ لْدَارْ بُوكْ وْخَلِّي»[1].

وهكذا نرى بأن الرافد الجمالي لا ليس شرطا أساسيا في اختيار الزوجة، بل يحذّر منه في كثير من الأمثال منها:

– "الزِّينْ مَا بْنَى قْصَرْ".

– "الزِّينْ بْلاَ فْعَلْ أَخْزِ وَانْعَلْ".

– "لاَ يْغَرَّكْ نْوَّار الدَّفْلَى فِي الوَادْ مْدَايَرْ الطْلاَيَلْ، وْلاَ يْغَرَّكْ زِينْ الطَّفْلَة حَتَّى تْشُوفْ الفْعَايَلْ".

– " مَا كَحْلَة غِير النَّحْلَة وْسُومْهَا غَالِي وْمَا بِيطَة غِيرْ القَرْعَة وْ جُوفْهَا خَالِي".

---

* أي لا تتزوج من أي بنت كانت.

** تبلبل(بتفخيم الباء واللام): تثرثر.

*** تفندر: تبذّر.

(1) عبد المجيد بوالروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

وأنّ الذي يختار المرأة لجمالها لا بدّ له أن يصبر لعواقبه، إذ يقول المثل في هذا الشأن: "اللّي يْحَبْ الزّينْ يَصْبَرْ لَعْذَابُه".

لكن هذه المعايير المذكورة لم يعد يعتد بها في وقتنا الحالي فيكفي فقط الرضى والتفاهم بين الزوجين ("الحَرْثْ بالرْوَى وَالزْوَاجْ بَالرْضَى").

وفي الحديث عن علاقة المرأة بزوجها صوّرت لنا الأمثال نموذجين من النساء المرأة الجيدة والمرأة السيئة.

أمّا المرأة الجيدة فهي المرأة الوفية والمساندة لزوجها في كل ظروف الحياة، والتي تسهر على حفظ أهله وماله، يقول المثل الشعبي:

"إذا كَانْ الرّاجَلْ وَادْ، المْرَا تْكُونْ سَدّادْ ":فالرجل إذا كان مسرفا مبذّرا لأمواله، ما ينبغي أن تكون زوجته مثله وتزيد الطين بلّة، بل لابد لها أن تكون على العكس من ذلك، وتعمل على حفظ ماله.

وأما المرأة السيئة فهي الخائنة لزوجها (" رَاجَلْهَا فِي الحْبَاسْ وْهِيَّ تَشْطَحْ فِي العْرَاسْ")، التي لا تقف معه في أصعب المواقف، والأدهى من ذلك أنّها تكشف أسراره إذا وقع يوما في مشكلة ما، إذ يقول المثل الشعبي: "اللّي تطِيحْ بِيهْ مَرْتُه تْعِيدْ بِيه".

وفيما يخصّ علاقة المرأة بأمّ زوجها وأخته، فتبدو أنّها علاقة صراع أبدي كما صورتها لنا الأمثال الشعبية ("إِذَا تْفَاهْمَتْ العْجُوزْ وَالكَنَّة ابْلِيس يَدْخَلْ الجَنَّة").

وأنّ المرأة عند دخولها بيت زوجها تفضّل وجود الثعبان على أن تجد الحماة وابنتها ("نَرْضَى بَالحَنْشْ فِي الغَارْ، وْمَا نَرْضَاشْ بَالعْجُوزْ وْبَنْتْهَا في الدَّارْ")، وتشبه أخت زوجها بحشرة "السوس" التي إذا دخلت الطعام أفسدته، وأمها ببويضات القمل (الصيبانة) التي تعلق بالشعر في قولها: "اللُّوسَة * سُوسَة وَامْهَا صِيبَانَة".

غير أنّ هذه النظرة التي أنتجها السلف حول علاقة الزوجة بقريبات زوجها- أمّا وأختا- ليست بالضرورة عدوانية، فقد لاحظنا الكثير من علاقات الودّ والاحترام بينهن.

* اللوسة: أخت الزوج.

لكن علاقة الزوجة بضرتها شيء آخر، فإذا كانت حماتها وأخت زوجها تقلقانها في أمور المنزل، فإنّ الضرة أخطر من ذلك، لأنّها تنافسها في زوجها، وقد تهدّد استمرار حياتها الزوجية، إنّها هاجس وصدمة كبيرة، لذلك يقال "الضَّارَّة مَارَّة *"، فلا ملاذ للتفاهم بينهما، بل دائما شجار وعراك ("الكْلاَمْ لْجَارْتِي وَالمعْنَى لْضَارْتِي"، "اللِّي بَاغِي العْذَابْ يْكَثَّرْ النْسَا وَالكْلاَبْ").

وعن علاقة الأم بأولادها، تصورها لنا الأمثال الشعبية بأنّها تضحيات كثيرة ("قَالَتْ الخِيلْ: مْنَ نْهَارْ وْلَدْتْ اوْلاَدِي مَا كْلِيتْ عَلْفِي وَافِي، وْمَا شْرِبْتْ مَايِي صَافِي") وحنان كبير ("كَلْ خَنْفُوسْ عَنْد امُّه غْزَالْ" "اللِّي مَا وْلَدْ مَاحَنْ عْلِيهْ")، تحبّ وتقدّر من يحسن إلى ابنها وتكره وتحقد على من يؤذيه ("اللِّي هَزْ ابْنِي وْ بَاسُه حَطْنِي فُوقْ رَاسُه").

وفي مقابل ذلك يصوّر لنا المثل الشعبي المرأة المهملة المفرّطة في أولادها بقوله: "الاَّ وَاحَدْ عَنْدْ امُّه وْيَاكَلْ الشُّوكْ بْفَمُّه".

كانت هذه النماذج المذكورة صور حية عن المرأة في المجتمع الجيجلي منذ ولادتها إلى أن أصبحت أُمًّا، أما عن نظرة المجتمع الكلية لها كامرأة بغض النظر عن أدوارها، فيمكن أن نلخّصها في شيئين:

- الفوضى: "سُوقْ النْسَا مَا يَصْفَى".
- الكيد: -"بْنَاتْ النْسَا كَلْمَتْهُمْ مَا تَتَّنْسَى وْمَرْقَتْهُمْ مَا تَتَّحْسَى".

-"اللِّي يَخْدْمُه الشِّيطَانْ فِي عَامْ خَدْمَتُّه الْعجُوزْ فِي دْقِيقَة".

ب- بعض مظاهر الترابط الاجتماعي:

ب/1- صلة الرحم:

صلة الرحم أمر عظيم عند الله، يصل من وصلها، ويقطع من قطعها، وهي من الروابط القوية في المجتمع لأنّها تجمع بين الأقارب وتوحّد بينهم، ومن علاقات القرابة التي ذكرتها الأمثال الشعبية ما يلي:

- علاقة الأم بابنها: "الفُولَة قَالَتْ: خُويَا خُويَا وَاللِّي فِي أَكَرْبُوطْ ** بْجَلْ ***"، فالمرأة تحب أخاها وتحترمه، أمّا إذا تعلّق الأمر بابنها فإنها تفضّله على أخيها.

ويقول مثل آخر: - "كَلْ خَنْفُوسْ عنَدْ امُّه غْزَالْ".

---

* مارة: مُرّة.

** أكربوط: العنقود.

*** بجل: أولى.

• علاقة الابن بأمّه: – "يَمَّا يَمَّا وَلُو كَانْ بَعُّوشَة * فِي المَا".

•علاقة الجد بحفيده: – "ابْنْ الوَلْدْ اعَزّ مْنَ الوَلْدْ".

• علاقة الأخ بأخيه: –"خُوكْ خُوكْ لاَ يْغَرَّكْ صَاحْبَكْ".

–"خُويَا عْدُوِّي وَاللِّي فْحَلْ يْمَسُّه".

– "عَيَّطْتْ لْعَمِّي عْمَانِي، عَيَّطْتْ لخَالِي خَلاَّنِي، عَيَّطْتْ لخويَا شَقْ البْحُورْ وْجَانِي".

•علاقة الابن بخاله: "اللِّي قَالْ أخَالِي قَالْ: أَبَابَا".

نلاحظ على هذه العلاقات القرابية أنّها تقوم على الود والاحترام ("الدَمْ إِذَا ماَ حَنْشْ يْكَنْدَرْ**") لكنها متفاوتة فيما بينها، فعلاقة المرأة بابنها أقوى من علاقتها بأخيها، وعلاقة الرجل بأخيه أقوى من علاقته بعمه أو خاله و...إلخ.

ب/2– التعاون:

التعاون هو سلوك حميد له أثر كبير في بناء المجتمع، يساهم في توطيد العلاقات بين الأفراد ويقضي على الانطوائية ويخلق شعورا جماعيا، وهو من المظاهر التي يبدو فيها بوضوح التضامن والتآزر الاجتماعي.

ومن الأمثال الدالّة على إدراك أهل جيجل لقيمة التعاون في حياتهم قولهم:

"المْعُونَة تَغْلَبْ الصِّيدْ"، "اللِّي عَانْ شْرِيكُه عَانْ رُوحُه"، "أَقْسَمْ الوَادْ يْوَلِّي سْوَاقِي"، "يَدْ وَحْدَة ما تْصَفَّقْ" "هَذَا بْهَذَا وْهَذَا بْرَبِّي".

فهذه الأمثال تبيّن أنّ التعاون هو ضرورة اجتماعية، تعود بالمنفعة على الفرد والجماعة.

ج– بعض مظاهر التراث الشعبي:

ج/1– الاحتفال بشهر شعبان:

شهر شعبان من الأشهر المميّزة عند المسلمين عامة وأهل جيجل خاصة، كونهم يعيرونه اهتماما خاصا على غرار التطوع بالصيام، إذ يتبادل فيه الأحباب والأقارب الدعوات لحضور الولائم المقامة على شرف هذا الشهر العظيم، لذلك قالوا: "فِي شَعْبَانْ مَنْ عَنْدُه حْبِيبْ يْبَانْ".

---

* بعوشة: حشرة.

** يكندر: يتخثر.

وكانت الغاية من هذا الاحتفال هو تقوية الروابط الاجتماعية، والتأهّب والاستعداد لصيام شهر رمضان، وهذه العادة ما زالت موجودة إلى وقتنا الحالي مع تراجعها بعض الشيء مقارنة بالماضي.

ج/2- عادة الذبح في عاشوراء :

يقول المثل الشعبي: "المَذْبُوحَة لَلْعِيدْ خِيرْ مَنْ عَاشُورَا"، وفي رواية أخرى: "مَذْبُوحَة، مَذْبُوحَة لَلْعِيدْ وَالاَّ لْعَاشُورَا"، وهو مثل يصوّر عادة الذبح في يوم عاشوراء، حيث يشترك جماعة من الرجال تجمع بينهم علاقة الجوار أو القرابة أو الصداقة أو العمل في شراء بقرة أو شاة، لذبحها في هذا اليوم المبارك ثم يوزعونها إلى أسهم ليأخذ كل واحد حصته، فيُطهى بها طعام العشاء. لكن هذه العادة في الوقت الراهن تراجعت كثيرا ولم تعد موجودة إلا عند الأقلية المحافظة على التراث، وربّما هي موجودة تحت تأثير الرؤية الأموية التي جعلت هذا اليوم للاحتفال؛ لأنّ الشيعة جعلوه للبكاء.

ج/3- الأطعمة التقليدية:

من أكلات جيجل التقليدية المذكورة في أمثالها الشعبية ما يلي:

- الغرايف: "مَاكْلَة الغْرَايَفْ تَقْعَدْ عَنْدْ اللْتَايَفْ".
- الكسرة المرقومة: "مَنْ يُومْ مَا مَاتَتْ المْرْحُومَة مَا كْلِيتْ الكَسْرَة المْرْقُومَة".
- البربوش (سكسو): -"عْرَضْنَاهْ لَلْبَرْبُوشْ مَدّْ يَدُّه لَلْخْلِيعْ*".

-"سَكْسُو هَمَّة وَلُوكَانْ عْلَى المَا".

- حاربيط**: "خْسَارَةْ الزَّبْدَة فِي حَارْبِيطْ".

2- تصوير البيئة الطبيعية:

بما أنّ الأمثال الشعبية الجيجلية هي صورة لتفاعل الإنسان مع بيئته، فقد عكست في شكلها ومضمونها كثيرا من المظاهر الطبيعية، من مناخ وتضاريس وحيوان ونبات وغيرهم ، وصوّرت لنا مدى استفادة الناس منها:

---

* الخليع: القديد (اللحم المجفف في الشمس).

** حاربيط: أكلة شعبية تطهى بمجموعة من الحشائش البرية.

أ- المناخ:

أهل جيجل على دراية تامة بمناخ منطقتهم، وقد تحدّثوا عنه بمختلف تقلّباته في أمثالهم الشعبية الناتجة عن التراكمات المعرفية لمختلف تجارب الإنسان ونشاطاته خصوصا الفلاحة منها، لأنّها تقوم على ثنائية الأرض والمناخ، فلا بد للفلاح أن يكون على علم بالفصول والشهور المرتبطة بمواسم الحرث والبذر والغرس حتى يأخذ كل احتياطاته، ومن هذه الأمثال المرتبطة بالمناخ نذكر:

- " قْنَّار* بُوسَبْعْ تَقْلِيبَاتْ فِي النْهَارْ ": في هذا المثل إشارة إلى تقلّبات طقس شهر جانفي وعدم استقراره على حال، ففي اليوم الواحد يتغير الجو مرارا، فتارة تنزل الأمطار وتارة أخرى تهب الرياح، وقد تطل الشمس ويغشاها السحاب.

- "فُورَارْ ** يْفُورْ *** الثُورْ مَنْ جَنْبُه وْيَخْرَجْ ابْنْ ادَمْ مَنْ عَقْلُه": يضرب هذا المثل في شهر فيفري وتأثيراته على الإنسان والحيوان، فهو شهر شديد البرودة، تنزل فيه كميات كبيرة من الأمطار والثلوج، فتؤثر على البقر والبشر، فالبقر من شدة البرد ينبعث البخار من أجسادهم، والبشر — خصوصا الفلاحون- يملّون من المكوث في البيت وعدم العمل.

- "فَاتْ الغَرْس فِي مَغْرَسْ ****": وهو مثل يضرب في فوات الأوان، فأوقات الغرس في شهر مارس ومن لم ينتهز فرصة الغرس في هذا الشهر فإنّه لن يدركه لاحقا.

- "فِي اوَّلْ مَغْرَسْ الحَلُّوفْ يْقَبَّبْ *****، وْفِي اخْرُه يْلَهَّثْ الكَلْبْ": يكون شهر مارس في أوّله باردا جدا إلى درجة أنّ الخنزير يمكث في مخبئه ولا يخرج منه مطلقا، وفي آخره يكون حارا فيلهث الكلب من شدة الحر.

- "يَبْرِيرْ ****** يَجْبَدْهَا ******* مَنْ قَاعْ الغْدِيرْ": في هذا المثل تأكيد على أهمية أمطار شهر أفريل في ريّ الأراضي الفلاحية وإنقاذ المحاصيل الزراعية من الجفاف، فبفضل هذه الأمطار تخرج حتى البذور الضعيفة التي بقيت تحت التراب.

---

* قنّار: جانفي.

** فورار: فيفري.

*** يفور: يتبخر.

**** مغرس: مارس.

***** يقبب: يتخذ قبة، أو يأوي إلى جحره و لايغادره.

****** يبرير: أفريل.

******* يجبدها: يخرجها.

- "إِذَا خَرْجَتْ الْفطِيرَة مَا تَقْعَدْ فِي السْمَا حِيرَة، الحَنْشْ يْبَاتْ عْلَى الحْطِيرَة*، وَالمْسَافَرْ فِي الطْرِيقْ": "الفطيرة" هي فترة تأتي في نهاية الربيع، يُشهد لها بالبرد وتقلّب الجو، فإذا ما ذهبت هذه الفترة تصبح السماء صافية بلا غيوم ولا أمطار ولا برق ولا رعد، والجو دافئ، فيخرج الثعبان من سباته، فينام على غصن الشجرة، ويسافر المرء إلى أي مكان شاء، بلا خوف ولا قلق، لأنّ الجو قد استقر.

- "فِي نْوَارْ بُوقْرَامَانْ يْجُوعْ الغَاشِي **": يُزهر نبات "بوقْرَامَانْ" البري الذي يستعمل في معالجة الكثير من الأمراض في أواخر فصل الخريف، وفي هذا الوقت يشتد البرد، ومن خصائص البرد أنه يُشعر الناس بالجوع، فيستهلكون الكثير من الطعام على عكس فصل الحر الذي يُشعرهم بالعطش فيستهلكون الماء أكثر من الطعام.

- "إِذَا حَمْرَتْ مْعَ العْشِيَّة هَيِّئ البَرْدَعْ للمْشِيَّة، وِاذَا حَمْرَتْ مْعَ الصْبَاحْ حَلّ ذْوِيَّكْ يَرْتَاحْ": أي إذا رأيت الشفق الأحمر مساء فتأهب للسفر؛ لأنه علامة على صحو الجو في يوم الغد، لكن إذا رأيت هذا اللون الأحمر صباحا فلتأجّل سفرك، ولتترك حمارك يرتاح، لأنّ السماء ستمطر.

ب- التضاريس:

وظّف الجيجلي في أمثاله الشعبية ألفاظا تدلّ على تضاريس منطقته، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- **الجبال:** معظم أراضي منطقة جيجل جبلية، وقد وجدنا "الجبال" في قولهم: "غِيرْ الجْبَالْ اللِّي مَا يَتْلاَقَاوْشْ"، فالإنسان مهما طال سفره سيأتي يوم ويعود إلى أهله وأحبابه، والناس مهما اختلفوا وتنافروا سيأتي يوم ويجتمعون فيه، إلاّ الجبال فستبقى في مكانها بعيدة عن بعضها للأبد.

- **الوديان:** تجري في منطقة جيجل عدة أودية، لذلك تمثلوا بها في قولهم:

- "أَقْسَمْ الوَادْ يْوَلِّي سْوَاقِي": وهو مثل يدعو إلى التعاون والاتحاد.

---

* الحطيرة: غصن الشجرة.

** الغاشي: الناس.

– "مَا يَبْقَى فِي الوَادْ غِيرْ احْجَارُه": يقال هذا المثل في عودة الأشياء إلى أهلها ومن هم أحق بها، كالأوطان التي يحتلّها الغزاة ثمّ يطردون منها، ولا يبقى فيها إلا أصحابها الأصليين.

– "عَدِّ عْلَى الوَادْ الحَامَلْ، وْمَا تْعَدِّيشْ عْلَى الوَادْ السَّاكَتْ": أي احذر من الشخص الساكت؛ لأنّه يمكن أن يثور فجأة.

• **البحر**: إنّ الجهة الشمالية للمنطقة كلّها مطلة على البحر الأبيض المتوسط، فلا غرابة إذن أن يستعمل أهل جيجل لفظه في أمثالهم الشعبية، حيث قالوا:

– "كَلْمَة مَا رِيتْشْ تْقَطْعَكْ مَنْ سَبْعْ بْحُورْ لْهِيه": فكلمة "لم أر شيئا"، هي منقذ للإنسان.

– "لُوكَانْ يْرُوحْ لَلْبْحَرْ يَلْقَاهْ نَاشَفْ": وهو كناية عن الشخص الذي لا يقدم أي خدمة أو منفعة.

– "الدْرَاهَمْ يْدِيرُوا الطْرِيقْ فِي البْحَرْ": وهو مثل يشير إلى منافع الأموال إذ تفعل ما تعجز القوة عن فعله.

وغيرها من الأمثال التي تعكس البيئة الجغرافية للمنطقة. والملاحظ أنّنا لم نعثر على لفظة الصحراء مطلقا في الأمثال التي جمعناها، وهذا شيء طبيعي، لأنّ المثل الشعبي في جيجل هو ابن بيئته القريبة من البحر، البعيدة من الصحراء.

ج– الحيوان:

إنّ حضور الحيوان في أمثال جيجل الشعبية ليس بالأمر الجديد، بل هو مسلك قديم من مسالك العربية، أولاه الباحثون اهتماما فكريا كـ "الجاحظ" في "الحيوان" و "الدميري" في "حياة الحيوان" وغيرهما.

يرجع التمثل بالحيوان لما: «جللها الله تبارك وتعالى من البرهانات التي لا تعرف خصائصها إلاّ بالفكرة وغشّاها من العلامات التي لا تنال منافعها إلاّ بالعبرة، وكيف فرّق فيها من الحكم العجيبة والأحساس الدقيقة والصنعة اللطيفة، وما ألهمها من المعرفة وحشاها من الجبن والجرأة وبصّرها بما يُقيتها ويعيشها، وأشعرها من الفطنة لمّا يحاول عدوها، ليكون ذلك سببا للحذر...»[1].

---

[1] عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، ج7، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1968، ص 09 .

والإنسان هو حيوان ناطق تتجمّع فيه كثير من الصفات، فرّقها "الله عزّ وجلّ" على الحيوانات فنجد القوة والأنفة للأسد والدهاء والنفاق والخداع للذئب والغباء للحمار و...إلخ، فكل حيوان فطره الله على شيء لا يتحول عنه أبدا.

لقد وظّف الجيجلي في أمثاله الشعبية الكثير من أسماء الحيوانات، القريبة منه أو البعيدة، الأليفة والمتوحشة، البرية والمائية وغيرها.

وكان توظيفها في الأمثال إمّا وصفا لها ، وإمّا تمثّلا بها، أي ذات دلالات رمزية عن الإنسان كونه يتشابه معها في بعض الصفات:

• **الحمار**: "حْمَارْ بْلاَ وَذْنِينْ"، "اللِّي مَا يْرَدْشْ التَّارْ حْمَارْ بَنْ حْمَارْ"، "كِالدَّابْ القَرِّيطَة تَضْرَبْ عْلَى ظَهْرُه وْهُوَّ يْقُولْ فَايَنْ هَذَا الطْبُولْ ؟" .

مازال سكان المناطق الريفية في جيجل يعتمدون على الحمار في حمل أثقالهم، وقد لاحظوا عليه الغباء الدائم، فشبّهوا كل شخص غبي مغفل به.

• **القط**: يعرف القط بالسرقة والطمع لذلك تمثلوا به في قولهم:

"اللِّي جَارُه الَقطْ مَا يَمْخَطْ".

• **الكلب**: ذُكر الكلب كثيرا في أمثال جيجل الشعبية، نتيجة لمخالطة الناس له، حيث قالوا عنه:

"الكَلْبْ يَنْبَحْ وَاشْ يَرْبَحْ"، "الكْلاَبْ المَسْعُورَة تْمُوتْ هَامْلَة"، "مَا يَاكَلْهَا الكَلْبْ حَتَّى تَتْمَرَّغْ" "اللِّي بَاغِي العْذَابْ يْكَثَّرْ النْسَا وَالكْلاَبْ"...إلخ.

فرغم ما يقدّمه الكلب للإنسان من منافع كالحراسة –مثلا– إلا أنه يظل محقورا، منبوذا، مكروها رمز للوضاعة، ومصدر للقلق والإزعاج.

• **الأسد**: حاز الأسد منزلة الفضل في الأمثال الشعبية الجيجلية رغم أنه حيوان وحشي وبعيد عن أنظارهم؛ لأنّه بالنسبة لهم رمز "للأنفة" و"القوة"، ويسمى في المنطقة باسم "السْبَعْ" أو "الصِّيدْ"، حيث قالوا عنه: "السْبَعْ عَمْرُه مَا يَاكَلْ فَضْلَة الضْبَعْ"، للدلالة على العزّة والأنفة، وقالوا: "حْكَمْ* الصِّيدْ

* حكم: أمسك.

مَنْ وَدْنُه"، ويضرب هذا المثل استهزاءً بالشخص المعجب والمغترّ بنفسه، الذي يظفر بالشيء الحقير التافه ويظنّه غاليا نفيسا، فأن يمسك الأسد من أذنه وهو حي وغير مقيّد ، فهذا شيء مستحيل.

• **الذئب:** توجد الذئاب في غابات وأحراش جيجل، وهي عدوة للإنسان، توصف بالمكر والخديعة والخيانة واللؤم والخبث، وقد قالوا عنها:

- "الدِّيبْ كِيمَا يَلْحَقْشْ العْنَبْ يْقُولْ حَامَضْ": وهو مثل يقال في اللئيم الذي لا يعترف بعجزه وضعفه ويستكره شيئا تعذّر له الحصول عليه.

- "احْذَقْ مْنَ الدِّيبْ، اسْبَقْ مْنَ الكَلْبْ": فالذئب معروف بالدهاء، لذلك شبّه به كلّ شخص ذكيّ فطن.

ويرتبط لفظ الذئب في بعض أمثال جيجل الشعبية بلفظ "الرعي" أو "الماشية"، فهو عدو لها ويهدّدها دائما فقالوا عنه: "يَا كَلْ مْعَ الدِّيبْ وْيَبْكِي مْعَ الرَّاعِي"، فالذئب قد أكل الماشية وتظاهر بأنّه بريء، وهو في هذا المثل رمز للشخص المنافق ذي الوجهين.

وقالوا: "التْسَمْيَة عْلَى الدِّيبْ وَالدِّيبَة خْلاَتْهَا": أي أكلت الماشية، ويدلّ هذا المثل على سوء التقدير حيث وجّهت أصابع الاتّهام إلى الذئب في حين كانت الفاعلة هي الذئبة.

وإذا غضب الراعي الجيجلي على غنمه عندما تطال المزروعات يدعو عليها بقوله "يَرْعَاكْ الدِيبْ" أي "يأكلك الذئب"، وقد كان العربي أيضا قديما يدعو على ماشيته عندما لا تتبعه بأن يأكلها الذئب حيث أورد ذلك " عبد المجيد قطامش" في كتابه "الأمثال العربية— دراسة تاريخية تحليلية –" بقوله:

«كان العربي إذا غضب على غنمه دعا عليها بتسليط الذئب و الضبع، يقول شاعرهم في هذا:

تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا يَا رَبُّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذِّئْبَ وَالضَّبُعَا»[1].

وغير ذلك من أسماء الحيوان التي ذكرها أهل جيجل في أمثالهم الشعبية كالدجاج ("بَاتْ مْعَ الجَاجْ صَبَّحْ يْقَاقِي") والبقر("سَالْ عْلى البَقرة امَّا التُور حَرَّاتْ"، "إذَا رْقَدْ التُور آي مَنْ تَحْتْ راسْ العَجْمِي")

---

(1) عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية – دراسة تاريخية تحليلية –، ص419،420.

والخرفان (مَا ازْدَادْ بالصُّوفْ غِيرْ الخْرُوفْ) والأرانب ("فِي غْيَابْ الصِّيد يَخَّرجوا القْنُونْ*") والفئران ("دْبَارَةْ الفَارْ عْلَى مُولْ الدَّار") والقردة (بَاعْ القَرْدْ ويَضْحَكْ عْلَى اللِّي شْرَاه)...إلخ، والتي تعكس إدراكهم الجيّد للحيوانات التي حولهم، وسعة ثقافتهم بالحيوانات البعيدة عنهم.

د- النبات:

برع أهل جيجل في التمثل بأنواع النباتات الموجودة في منطقتهم، وقد وفوا بذلك كل الغاية، وأطلعونا على أسماء النباتات الموجودة فيها من حبوب وخضر وأشجار وأزهار و...إلخ، منها ما هو مستعمل للغذاء ومنها ما هو مستعمل للدواء، ومنها مالا يصلح لشيء سوى جمال المنظر، نذكر منها قولهم:

- **الدَّفْلَى**: هو شجر أخضر، حسن المنظر، لكنّه مرّ الطعم، وقد شبّهوا أزهاره بالفتاة الحسناء السيئة الطباع، حيث قالوا:

"لاَ يْغَرَّكْ نُوَّارْ الدَّفْلَى فِي الوَادْ مْدَايَرْ الطْلاَيَلْ، وْلاَ يْغَرَّكْ زِينْ الطَّفْلَة حَتَّى تْشُوفْ الفْعَايَلْ".

وقالوا أيضا: "فْشُوشْ الطَّفْلَةْ ونُوَّارْ الدَّفْلَى".

- **بُوقْرَامَانْ**: "فِي نْوَارْ بُوقْرَامَانْ يْجُوعْ الغَاشِي"، و"بوقرامان" هو أحد النباتات البَرِّية التي توجد بالمنطقة ويستعمل في معالجة بعض الأمراض.

- **فْلاَيُو**: "مَايُو أَرْبَطْ الغَمْرَة بَفْلاَيُو"، و"فلايو" هو نبات بري ذو رائحة عطرة يستعمل أيضا في علاج بعض الأمراض كآلام البطن.

- **القْمح**: القمح هو مادة أساسية بالنسبة لأهل المنطقة وهو ما يؤكد حضوره القوي في أمثالهم مقارنة بالنباتات الأخرى فقد قالوا عنه:

"القَمْحْ قَمْحْ الحَمْرَا*، وَالمْعَاشْ مْعِيشَة وْلِيتْكُمْ"، "القَمْحْ قَمْحْ وْبَنْتُه مَلْحْ"، "القَمْحْ المْرْدُومْ الرِّيحْ يَدِّي غْبَارُه، والقَلْبْ المَهْمُومْ الوَجْه يَعْطِي اخْبَارُه"، "القَمْحْ مَرْدُومْ وْكِيَّالُه اعْوَرْ"، "القَمْحْ يْشَرْشَحْ للقَمْحْ".

---

* القنون: الأرانب.

* قَمْحْ الحمرا: هو من أجود أنواع القمح، إذ القمح أنواع ، فهناك قمح الحمرا، وقمح الكحلا، وقمح البليوني و...إلخ.

• **الشعير**: هو الآخر من الحبوب الأساسية في طعام أهل المنطقة قديما، وقد ذكروه في أمثالهم حين قالوا :

"شَدُّوا شْعِيرْكُم نْشَدُّو بْعِيرْنَا"،" وَالفَتْ الدَّابَّة الشْعِيرْ".

• **الفول**: وهو من البقوليات المعروفة في منطقة جيجل، حيث شبّهوها بالمرأة في قولهم:

"الفُولَة قَالتْ: خُويَا خُويَا واللِّي فِيَ أَكَرْبُوطْ بْجَلْ"، وجعلوها كناية عن التوافق والشبه الخَلقي حين قالوا:" فُولَة وْتْقَسْمَتْ علَى زُوجْ".

• **اللفت**: من منتوجات فصل الشتاء وتعد من النباتات الرخيصة الثمن وقد وردت في قولهم:"جَزَّارْ وَعْشَاهْ لَفْتْ".

وإلى غير ذلك من نباتات المنطقة العاكسة لطبيعتها الجغرافية.

المبحث الرابع: الدلالة التاريخية.

بالرغم من أنّ الأمثال الشعبية المتداولة في منطقة جيجل نابعة من بيئتها الجغرافية والاجتماعية والثقافية والفكرية، ومن تجاربها وأحداثها، إلاّ أنّه يصعب تحديد تاريخ قولها؛ لأن المثل –كما رأينا سابقا– ينفصل عن الملابسات الأولى التي كان نتاجا لها ويرتبط بجوهر السلوك الإنساني المشترك عند كل الناس، مما جعله صالحا لكل زمان ومكان.

لكنّنا وبعد تمعّن دقيق في ألفاظ بعض الأمثال الشعبية، استطعنا معرفة بعض الملامح من تاريخ نشأتها.

1– ملامح الحياة الماضية:

الأمثال الشعبية من أهمّ الآثار القولية الباقية عن أسلافنا، فمنها يستطيع الباحث أن يستوحي بعض ملامح الحياة القديمة، وأكثر فنون الأدب الشعبي صدقا والتصاقا بالمجتمع، وبالتالي فإنّ تصويرها للحياة الماضية صادق لا زيف فيه، يقول "أحمد عبد الغفار عبيد":

«إذا وضعنا المثل بإزاء الشعر الذي هو أبرز آثار العرب القولية، استطعنا أن نلمس الفارق بينهما في واقعية التعبير عن الحياة، فالشاعر قد يتزيّد أو يبالغ، أمّا قائل المثل فإنه يصوّر الواقع دونما تحسين أو تزيين، والفارق كبير بينهما في ميدان التثبّت والتحقيق ومن ثم تتكشّف أهمية الأمثال وقيمتها التاريخية»[1].

ومنه نخلص إلى القول بأنّ الأمثال الشعبية في جيجل من المصادر القويّة التي تكشف عن الحياة الماضية لأهل المنطقة كما في النماذج التالية:

– " المْعَلَّمْ فُورُو يَخْدَمْ بَفْرَنْكْ وْيَتْغَذَّى بْدُورُو": يضرب هذا المثل في الشخص الذي لا يحسن تسيير أموره، كـ "المْعَلَّمْ فُورُو" الذي ينفق أكثر من دخله؛ لأنّ: 1 دورو= 5 فرنك و "الفرنك" و "الدورو" هما نقود جزائرية قديمة، استعملت إلى غاية الثمانينات.

(1) أحمد عبد الغفار عبيد: أمثالنا الموروثة قيمتها الأدبية والفكرية ودلالتها على شخصية الإنسان العربي ، ص 24.

- " أَخْدَمْ بْدُورو وَحَاسَبْ البَطَّال ": وهو مثل يضرب في الحثّ على العمل ونبذ البطالة. ويصوّر هو الآخر عمله جزائرية قديمة هي "الدورو".

- "الدَّنْيَا رَجْعَتْ عُوجَة وْبُوفَكْرَانْ *وَلَّ ** خُوجَة": يضرب هذا المثل في تقلّب أحوال الزمان وفساده، عندما يسقط السلطان إلى مكانة العبد، ويرتقي العبد الضعيف الذي لا علاقة له بالسياسة والحكم إلى مصاف السيد والحاكم.

ويبدو أنّ هذا المثل يعود إلى فترة الدولة العثمانية في الجزائر وتواجد الأتراك في منطقة جيجل؛ لأنّ "الخوجة" لفظ كان يطلق على الوزراء آنذاك وتعني "السيّد المتصرّف في الشيء"، فنجد "خوجة الخيل" المكلّف بتلقي الهدايا والخراج والزكوات، و "خوجة العشور" وهو كاتب يضبط موارد الديوانة ...إلخ.

فأهل جيجل قد عاشوا فترة الحكم التركي، ولفظة الخوجة في هذا المثل الشعبي دلالة على ذلك، وشأنها شأن لفظ البايليك واسم تركية وغيرهما.

- "إِذَا عَدَّى *** الصْغِير فِي الكْبِيرْ مَا بْقَى فِي الدَّنْيَا خِيرْ": يشير هذا المثل إلى عرف جيجلي كان سائدا وهو عدم السماح للإخوة الصغار بالزواج قبل إخوانهم الكبار، ومن يتعدّى هذا العرف أو القانون فقد انتهك حرمته ولم تعد الدنيا تطاق. لكنّه مع مرور الزمن تخلّى الناس على هذا العرف وأصبح زواج الأخ الأصغر قبل أخيه الأكبر شيئا عاديا. وحتى دلالة المثل تغيرت إذ أصبح معناه منحصرا في عدم احترام الصغار للكبار فقط.

2- استلهام الحدث التاريخي:

الأمثال الشعبية هي مستودع وسجلّ يمكن من خلاله أن نكتشف مزايا الماضي وعيوبه، ونستلهم الأحداث والوقائع كما جرت في زمنها من دون زيادة أو نقصان كما في هذين النموذجين:

- "جَا مْنَ اللُّورَا **** وَدَّى ***** التُّورَة": يضرب هذا المثل فيمن جاء في نهاية المطاف ونال

---

* بوفكران: السلحفاة.

** ولّى: أصبح.

*** عدى: سبق.

**** اللورا: الوراء.

***** دّى: أخذ.

ما لايستحق.

ويبدو أنّ المثل قيل بعد استقلال الجزائر من الاستعمار الفرنسي، أي بعد عام 1962م، عندما قامت الدولة الجزائرية بمكافأة كل من ساعد على استقلال البلد، وذلك بإعطائهم منحا شهرية عرفانا بجميلهم، فنال الأشخاص الذين حملوا السلاح في نهاية المعركة ما لم ينله من أفنى عمره في الدفاع عن الوطن.

-"وَجْهْ الحَيّا قَمِيرْ ": يضرب هذا المثل فيمن يدّعي الحياء والحياء غير بائن على وجهه.

والمثل بلفظة "قَمِيرْ" يرجعنا إلى فترة احتلال فرنسا للجزائر، وأيام الثورات الجزائرية المستمرة ضد فرنسا عندما كان الشعب الجزائري يستخدم هذه اللفظة كناية عن فرنسا، وهي عبارة ساخرة عن حكّامها وجندها، وما يثبت صحة استعمال الجزائريين للفظة "قمير" في ذلك الزمن، هذه الأبيات الشعرية التي قيلت إبّان الثورة التحريرية:

«كِي تَسْمَعْ قَمِيرْ بِنَا وْتَشْهَدْ وَتْنُـوحْ وَتْقُـولْ يَاذَلِّي مَحْـزَاهْ

عُدْتْ ذْلِيلَة فِي بْعَادِي نَتْجَرَّدْ مَنْ كَلْ اللِّي كَانْ عَنْدِي نَتْوَلاَّهْ

نَتْغَرَّبْ وَنْعُودْ وَحْدِي وَنْقَرَّرْ مَنْ رَبْحْ المَرْدُودْ أُو مَا نَتْمَنَّاهْ »[1].

تصور هذه المقاطع الشعرية فشل فرنسا (قمير) وخزيها في أرض الجزائر بعدما كانت تتباهى بقوتها.

وهكذا، ومن خلال النماذج المذكورة نرى بأنّه للمثل الشعبي قيمة تاريخيّة كبيرة، إذ يساعد في معرفة المجتمع القديم بكل حيثياته، من أنظمة وعادات وتقاليد وقيم وأخلاق و...إلخ، ويستخدم كوسيلة للتثبت من الوقائع والأحداث التاريخية.

[1] العربي دحو: ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية، منشورات ثالة، الجزائر، دط، 2007، ص 31.

المبحث الخامس: الدلالة النفسية.

لأمثال جيجل الشعبية قيمة نفسية كبيرة، كونها نابعة من تجارب نفسيّة عميقة، تكشف عن تأثّر قائليها بأي موضوع كان، أو عن معاناتهم من بعض مشاكل الحياة، لها تأثير قوي على النفوس وتغطّي مختلف الحاجات والرغبات والطبائع والميولات.

1- تأثير المثل الشعبي في النفوس:

يعاني الإنسان في حياته من ضغوطات كثيرة، يفرضها عليه المجتمع والبيئة المحدودة التي يعيش فيها فيعمل المثل الشعبي على تخليصه من قيدها، من خلال حرّية التعبير عن وجهة النظر دون خوف أو قلق مما يوفّر له قدرا كبيرا من الراحة النفسية. تقول "نبيلة إبراهيم":

«الأمثال بالنسبة لنا عالم هادئ نركن إليه حينما نودّ أن نتجنّب التفكير الطويل في نتائج تجربتنا ونحن نذكرها بحرفيتها إذا كانت تتفق مع حالتنا النفسية، بل إنّنا نشعر بارتياح لسماعها وإن لم نعش التجربة التي يلخّصها المثل»[1].

فالأمثال الشعبية هي ملجأ آمن يلجأ إليه الناس عندما تعترضهم المشاكل، فيشعرون بالراحة والأمان، فهذه الأمثال —مثلا-:

" نَاكَلْ الخُبْزْ والمَا وْنَرْفَعْ رَاسِي للسْمَا"، "مُوتْ الحَرْمَة وْلاَ مْعِيشَةْ تَذْمامْ *"،" السْبَعْ عَمْرُه مَا يَاكَلْ فَضْلَةْ الضْبَعْ" تلخّص فضيلة الاعتزاز بالنفس وكرامتها، وأفضليتها على عيش الذل والاستعباد، وتضرب فيمن عُرضت عليه إغراءات مقابل كرامته وعزّته فيعرب عن رفضه لها بهذه الأمثال التي تشعره بالراحة النفسية.

وهذه: " اللِّي خْلَقْ مَا يْضَيَّعْ "،"كَلْ وَاحَدْ يَزْدَادْ بْقَسْمُه مْعَاهْ "،" الفَمْ المَغْلُوقْ مَا دَخْلَتُّه ذَبَّانَة" "الصَّابَرْ يْنَالْ"...تشعر الناس بالطمأنينة.

---

(1) نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 147.

* تذمام: الذل.

وقولهم: " بَنْ عَلْجِيَّة اللِّي يَخْدَمْ بِهَمْ الصْبَاحْ، يَاكَلْهُمْ الْعَشِيَّة "، " عَنْدِي المْرَا وَايْ عَنْدْ احْبَابْهَا" "الهَمْ يَدِّي فِيه وَالنَعْنَاعْ فِي وَذْنِيه"، "قَالُوا : عْلاَشْ تْحَوَّسْ يَا الاعْمَى ؟ قَالْ لهُمْ :عْلَى الضُو"، "السَّرْ غِيرْ مْعَايِي وَمْعَاكْ، واللِّي يَلْقَاكْ قُلْ لُه !"، تحمل الناس على الضحك والانشراح من خلال طابعها التهكمي وبالتالي ترفّه عنهم.

كما تعمل الأمثال الشعبية أيضا على شحذ الهمم وتقوية الإرادة والعزيمة والدعوة إلى الجد والعمل لنيل المراد كقولهم:

"اللِّي بَكَّرْ وْشَمَّرْ عْلَى زْنَادُه نَالْ مُرَادُه"، "مَنْ بَكَّرْ لَشْقَاهْ قْضَاهْ"، "أَضْرَبْ عْلَى ذْرَاعِيكْ تَاكَلْ المْسَقِّي"، "طُوبَة طُوبَة يَطْلَعْ الحِيطْ".

فالنفس الإنسانية لابدّ لها أن تتحمل أعباء الحياة حتى تنعم بالراحة، وتظفر بما تلذ إليه.

ويعمل الإيقاع الموجود في المثل الشعبي أيضا بموسيقاه الداخلية والخارجية على إحداث «لذة أولى لدى قارئ القول أثناء عملية التلفظ، لتتسع ثانية محدثة نفس التأثير النفسي لدى المتلقي»[1].

فإيقاعية المثل الشعبي تحدث لذة وانفعالا لدى الطرفين، الطرف الأول وهو المتلفظ بالمثل حيث يستمتع بنغمه الذي يقوده إلى استذكار تجربته الماضية، والطرف الثاني وهو الموجّه إليه المثل يستمتع بنغمه أيضا والذي يقوده هو الآخر إلى اكتساب تجربة حاضرة، كقول المرأة لأختها: "اللِّي تْعَاوَدْ اخْبَارْهَا تَخْلِي دَارْهَا"، إذ تؤثر هذه الجملة المثلية بسجعها (اخْبَارْهَا، دَارْهَا) في المرأتين، المرأة الأولى (المتلفظة بالمثل) تسترجع حدثا ماضيا نتج عنه هذا المثل والثانية تأخذ درسا حاضرا لها.

إضافة إلى ذلك تستخدم الأمثال الشعبية كمقياس لدرجة الذكاء والقدرات العقلية؛ لأن الذكاء كما يعرفه علماء النفس المحدثون هو «القدرة على تحقيق التكييف مع المواقف الجديدة التي يوضع فيها الفرد»[2].

---

(1) محمد سعيدي: التشاكل الإيقاعي والدلالي في نصّ المثل الشعبي الجزائري، ص 06.

(2) عبد الرحمن العيسوي: موسوعة ميادين علم النفس – بين الخرافة والإبداع –، ج2، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص36.

ومنه فإنّ الاستشهاد بالمثل في الظرف والموقف المناسب، هو ردّ فعل منطقي يدل على ذكاء وفطنة المتلفظ به.

2- المثل الشعبي وظواهر النفس الإنسانية:

عبّرت أمثال جيجل الشعبية عن أحوال النفس الإنسانية، وصوّرت مختلف النوازع والميولات والانفعالات.

فالإنسان -كما هو معروف- يحبّ التعجل في الأمر، يصوّره المثل الشعبي بقوله: "البَقْرَة فِي بْنِي خَطَّابْ وْأَفَازَاز يَرْطَابْ" ويحاول تنبيهه من مخاطر الاستعجال وآثاره السيئة بقوله: "الفَارْ القْلُوقْ مْنَ عْشَا الَقطْ"، ثم يبيّن أن التأنّي أفضل من العجلة؛ لأنّه يعود دائما على الإنسان بالخير والسلامة، بقوله: "مُولْ العْقَلْ فِي رَاحَة".

ويحبّ الإنسان أيضا الفضول، لذلك قالوا: "العِينْ فَرَّايَة"، وأنّه إذا اعتاد على شيء ألفه وصار طبعا متجذرا فيه، يسيطر عليه دائما، فقالوا:

"المَعْزَة اللِّي مْوَالْفَة تْسَيَّبْ مَا تَقْدَرْشْ تَتْحَكَّمْ فِي رُوحْهَا"، "اللِّي مْوَالَفْ بَالحْفَا يَنْسَى صَبَّاطُه" "طَبْعُه، طَبْعُه وَلُوكَانْ يْطَيْرُوا صَبْعُه"، "حَطُّوا لُه الفْرَاشْ قْعَدْ عْلَى الجَدْرَة".

فالإنسان إذا شبّ على شيء شاب عليه، وأصبح أسيرا له، لا يقوى على مخالفته. فيُحذر المثل الشعبي من ذلك بقوله:

"قَلُّوسْ جَارَكْ مَا تْوَالْفُوشْ النَّقْبْ فِي دَارَكْ".

وتصوّر الأمثال الشعبية أيضا بعض الحالات النفسية للإنسان كالغضب، وهو انفعال عنيف له أضرار كبيرة على الصحّتين النفسية والجسمية بقولها:

"الغَشْ* غَمَّة وَالفْكَاكَة ** رَحْمَة"، "بَاتْ فِي غِيظْ وْلاَ تْصَبَّحْ فِيْ ندَامَة"، "الكْلاَمْ اللِّي يَطْغِيكْ أَرْخَفْ لُه وَدْنِيكْ".

فلابدّ على المرء أن يكظم غيظه ويصبر على الأذى، حتى يقي نفسه شر الغضب.

---

* الغش: الغضب.

** الفكاكة: الصلح.

وتعكس بعضها حالات الاكتئاب التي يعيشها الإنسان جرّاء سوء الحظ الذي يطارده كقولهم:

"اللِّي مَا عَنْدُوْش الزْهَرْ يَلْقَى العْظَمْ فِي الكَرْشَة"،" كَلْمَا تَفْرَحْ يَتْقَطَّعْ المَطْرَحْ"، "الفُولْ يْرُوحْ لَلِّي مَاعَنْدُوشْ سْنَانِيه".

أو شعوره بالاحتقار مثل قولهم:

"خْرُوفْ المَسْكِينْ يَرْعَى فِي الطَرْف".

أو شعوره بالوحدة مثل قولهم:

"اليْتِيمْ يْتِيمْ وَلُوكَانْ بَالرَّاعِي وَالخْدِيمْ"، «مْنَ الثَّلْجْ عْمَلْتْ مَطْرَحْ، وْبَالهْوَى غَطّيتْ رُوحِي، وَمْنَ القْمَرْ عْمَلْتْ مَصْبَاح، وْبَالنْجُومْ وَنَّسْتْ رُوحِي»[1].

وأخرى تصوّر بعض الميولات والعواطف كظاهرة الهوى أو الحبّ كما في قولهم:

-"حَجْرَة مَنْ عَنْدْ الحْبِيبْ تَفَّاحَة": وهو مثل يشير إلى صبر المرء على أذى من يحب.

-"مْحَبَّة طَاحَتْ عْلَى عُودْ يَابَسْ"، " كَلْ شِي بَالسِّيفْ غِيرْ المْحَبَّة بَالكِيفْ ": وهما مثلان يؤكدان على أن الحبّ لا يكون على أساس المظهر الخارجي، ولا يكون إكراها، إنما مرتبط بما تميل إليه النفس وتهواه.

من كل ما سبق يتبين لنا جليّا أن الأمثال الشعبية هي إبداع شعبي محظ، يجد النّاس ضالّتهم فيها كونها تعبّر عن مختلف حالاتهم النفسية بكلام موجز، موقّع ومؤثّر، يحرك المشاعر والأحاسيس، ويحدث الإشباع النفسي والعاطفي.

---

(1) عبد المجيد بو الروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

خاتمة

خـــاتـــمـة

في نهاية بحث الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل نخلص إلى جملة من النتائج التي آمل من خلالها أن تكون منطلقا لأبحاث مستقبلية، وهي كالآتي:

- المثل الشعبي في جيجل هو رافد من روافد تراثنا الأصيل، وجزء لا يتجزأ منه، وقطعة أدبية شعبية أنتجها فرد بعينه من خلال تجربة عاشها أو قصة اخترعها، ثم ذاعت وانتقلت بين الناس عن طريق الرواية الشفاهية من جيل إلى جيل، مع حفاظها على صيغتها الأولى مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة.

- تسجّل الأمثال الشعبية حضورها القوي في المجتمع الجيجلي، إذ احتلّت مكانة الصدارة مقارنة بفنون الأدب الشعبي الأخرى، وهذا راجع لما تؤدّيه من وظائف كالتواصل والتنبيه والإقناع والحجاج وما تتميّز به من خصائص خصوصا الجانب البلاغي الزاخر فيها، من صور بيانية ومحسّنات لفظية وإيجاز وإيقاع و...إلخ، حيث تأنس القلوب لسماعها فتسارع في حفظها واستعمالها في شتّى صنوف الكلام، كما تكشف هذه الفنيات أيضا على براعة الشعب الجيجلي وذوقه الراقي في صياغة أفكاره وتجاربه.

- قد يستعصى في بعض الأحيان فهم مقصود المثل، فيستدعي حضور غرض آخر من أغراض التعبير هو "الحكاية"، التي تمثّل سبب نشأته والشارح والمفسّر له، إذ تساعد في تحديد معناه وتحديد المقام الذي يضرب فيه.

- تساهم الأمثال الشعبية بجيجل في حفظ خصوصيات لهجتها المحلّية والتعريف بها، وهي كما لاحظنا لهجة قريبة من العربية الفصحى، وتخضع لكثير من أنظمتها، لكنّ التغيّرات التي طرأت على مستوى الحروف والقواعد النحوية والصرفية وما تضمّه من ألفاظ أمازيغية وأخرى أجنبية حالت أن ترقى إلى مستوى النص الفصيح.

- تختلف روايات بعض الأمثال الشعبية من مكان لآخر في جيجل، فمنها ما تختلف في بعض الحروف ومنها ما تختلف في بعض الكلمات، ومنها ما تزيد ومنها ما تنقص، غير أنّ هذه الاختلافات والتغيرات لا تخرجها مطلقا عن معناها.

- عكست مجموعة كبيرة من الأمثال الشعبية تديّن أهل المنطقة وارتباطهم الوثيق بكتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقد كانا ومازالا المصدر الرئيسي والمعين الأول في صياغة أمثالهم، إمّا بالاقتباس اللفظي أو باستلهام المعاني.

- الأمثال الشعبية هي خلاصة تجارب وخبرات الأجيال، تحمل في طياتها مدلولات تربوية أخلاقية عميقة ولها دور هام في بناء القيم وضبط الناس، إذ تستخدم في الدعوة إلى مكارم الأخلاق والتعبير عن الأشياء المقبولة باستحسانها وتدعيمها وتحبيبها إلى نفوس الناشئة ، والنهي عن مساوئ الأخلاق والمنكرات وكلّ السلوكات المرفوضة باستقباحها واستهجانها والتنفير منها.

- أمثال جيجل الشعبية هي صورة حيّة صادقة عن واقعها المعيش، ومرآة عاكسة لآمال أهلها وآلامهم وعاداتهم وتقاليدهم ومختلف نشاطاتهم اليومية، وتجسيد للذات الشعبية في علاقاتها الاجتماعية وتفاعلاتها مع البيئة المحيطة بها.

- رغم انفصال الأمثال الشعبية عن الملابسات الأولى التي كانت نتاجا لها، ورغم مجهولية المؤلّف فيها، إلاّ أنّ حفاظها على صيغتها الأصلية بما فيها من رموز وقرائن كاسم شخص أو اسم قبيلة أو تصوير حالة المجتمع أو أيّ شيء كان، يجعلها مصدرا مهما للتأريخ، إذ يمكن من خلالها أن نعرف بعضا من تاريخ المنطقة، الذي قد لا نجده في كتب التاريخ.

- للأمثال الشعبية الجيجلية تأثير قوي على النفس الإنسانية، إذ توفر لها الراحة النفسية والطمأنينة وترفّه عنها، وتعكس ذكاء أهل المنطقة في صياغتها واستعمالها، وتكشف عن مختلف أحوالهم النفسية والعاطفية.

وفي الأخير، فإنّ هذا البحث هو عمل متواضع، قصدت من ورائه إزاحة الغبار عن تراث المنطقة والتعريف بأحد أشكاله المشهورة، بغية الحفاظ عليه من الضياع، ولإبراز قيمته وأهميته في الحياة، وإظهار بعض الجماليات والدلالات التي يزخر بها، لإبعاد النظرة الاستصغارية التي مازالت تلاحقه، فلا يصحّ الحكم على أيّ نصّ قبل الاشتغال عليه.

وإنّني أدّعي كمال هذا العمل، ولا أزعم أنّني قد وفّيت حقّه، فلا يزال فيه متسع للقول، وزيادة للمستزيد. أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين. وصلّ اللّهمّ وبارك على محمّد وعلى آله أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

أولا- المصادر:

1- حسين بن بخمة المورغاني: ذرات النيكل في النادر من أمثال أهل جيجل، دار الوعي، الجزائر، دط، دت.

2- الذاكرة الشعبية.

3- عبد المجيد بوالروايح: الأمثال الشعبية بمنطقة جيجل (مخطوط).

ثانيا- المراجع:

1- أحمد الأمين: صور مشرقة من الشعر الشعبي الجزائري – دراسات ونماذج –، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2007.

2- أحمد بن عبد ربّه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

3- أحمد بن محمّد الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

4- أحمد بن نعمان: نفسية الشعب الجزائري – دراسة علمية في الأنثروبولوجيا النفسية–، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، دط، 1994.

5- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2010.

6- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، دط، دت.

7- أحمد شوقي: الديوان، تحقيق: إميل أ-كبا، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1995.

8- أحمد عبد الغفار عبيد: أمثالنا الموروثة قيمتها الأدبية والفكرية ودلالتها على شخصية الإنسان العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2007.

9- أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993.

10- إسحاق بن إبراهيم الفارابي: ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، الشركة العالمية المصرية -لونجمان-، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

11- إميل بديع يعقوب: موسوعة أمثال العرب، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، دت.

12- بسام العسلي: الجزائر والحملات الصليبية (1547 – 1591 م)، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986 .

13- بسام العسلي: أيام جزائرية خالدة، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986.

14- بولرباح عثماني: دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتّاب الجزائريين (وزارة الثقافة)، الجزائر، دط، 2008.

15- التلّي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1990.

16- جلال الحنفي: الأمثال البغدادية، مطبعة أسعد، بغداد، العراق، دط، 1962.

17- جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، دت.

18- جلال الدين السيوطي و جلال الدين المحلّي: تفسير الجلالين، بيروت، لبنان، ط2 ،1995.

19- الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981.

20- حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2003.

21- خضر موسى محمد حمود: التجوال في كتب الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

22- رابح بو النار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 2، 2000.

23- رابح خدوسي: موسوعة الأمثال الجزائرية، دار الحضارة، الجزائر، دط، دت.

24- سليمان عشراتي: الشخصية الجزائرية والأرضية التاريخية والمحددات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2009.

25- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 2003.

26- شارل فيرو: تاريخ جيجلي، ترجمة: عبد الحميد سرحان، الدار الخلدونية، الجزائر، دط، 2010.

27- الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، دط، 1994.

28- ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، مصر، ط 2، دت.

29- طلال حرب: أوّلية النص – نظرات في النقد والقصّة والأسطورة والأدب الشعبي-، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

30- عبد الحليم عويس: دولة بني حماد – صفحة رائعة من التاريخ الجزائري -، دار الصحوة، القاهرة، مصر، ط2، 1991.

31- عبد الحميد بن هدوقة: أمثال جزائرية – أمثال متداولة في قرية الحمراء ولاية برج بوعريريج -، دار القصبة، الجزائر، دط، 2007.

32- عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري – دراسة لأشكال فنون الأداء التعبيرية الشعبية في الجزائر -، دار القصبة، الجزائر، دط، 2007.

33- عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية – التاريخ والقضايا والتحليات -، منشورات رابطة الأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، دط، دت.

34- عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: كتاب السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

35- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر، دط، 2010.

36- عبد الرحمن العيسوي: موسوعة ميادين علم النفس- بين الخرافة والإبداع -، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

37- عبد الرحمن النحلاوي: التربية بضرب الأمثال، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 2005.

38- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

39- عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر، تحقيق : خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 2000.

40- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1992.

41- عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية – علم المعاني، البيان، البديع –، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت.

42- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 2003.

43- عبد المالك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2007.

44- عبد المالك مرتاض: الأمثال الشعبية الجزائرية – تحليل لمجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية –، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2007.

45- عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية – دراسة تاريخية تحليلية –، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1988.

46- عبد الناصر بوردوز: الأمثال الشعبية في منطقة ڤوراية (تيبازة) – دراسة ميدانية –، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ (وزارة الثقافة)، الجزائر، العدد 12، 2009.

47- أبو عبيد القاسم بن سلام: كتاب الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، ط1، 1980.

48- عثمان بن جني: الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2003.

49- العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1988.

50- العربي دحو: ديوان الشعر الشعبي عن الثورة التحريرية ، منشورات ثالة، الجزائر، دط، 2007.

51- عز الدين بن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1987.

52- عزام أبو الحمام المطور: الفولكلور (التراث الشعبي) – الموضوعات، الأساليب، المناهج – ، دار أسامة، عمّان، الأردن، دط،2007.

53- علي بن عبد العزيز عدلاوي: الأمثال الشعبية ضوابط و أصول – منطقة الجلفة نموذجا –، دار الأوراسية، الجلفة، الجزائر، ط1، 2010.

54- علي بن محمد الماوردي: أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، دار إقرأ، بيروت، لبنان، ط4، 1985.

55- علي خلاصي: جيجل تاريخ وحضارة، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2011.

56- علي خنوف: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، منشورات الأنيس، الجزائر، ط2، دت.

57- عمّار طالبي: ابن باديس حياته وآثاره، دار الأمّة، الجزائر، دط، 2009.

58- عمار عمورة و نبيل دادوة: الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى 1962 – الجزائر عامة –، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، دط، دت.

59- عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998.

60- عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1968.

61- عمرو بن كلثوم: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 2004.

62- عيسى لحيلح: الطوبونيميا الأمازيغية لمنطقة جيجل (مخطوط).

63- غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، دط، 2003.

64- فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي عثمان: دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2011.

65- فاروق خورشيد: الموروث الشعبي، دار الشروق، بيروت، لبنان، دط، 1991.

66- قادة بوثارن: الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة: عبد الرحمن حاج صالح، دار الحضارة، الجزائر، دط، دت.

67- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

68- ابن قيم الجوزية: الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، 1981.

69- ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، دار الكتاب الحديث، الجزائر، ط1، 2010.

70- كعب بن زهير: الديوان، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1995.

71- مبارك بن محمّد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، دت.

72- محمّد البشير الإبراهيمي: التراث الشعبي والشعر الملحون في الجزائر، تحقيق: عثمان سعدي، دار الأمة، الجزائر، دط، 2012.

73- محمّد بن إسماعيل البخاري: الصحيح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

74- محمّد بن إدريس الشافعي: الديوان، دار الهدى، الجزائر، دط، دت.

75- محمّد بن عيسى الترمذي: الجامع الكبير ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، لبنان، 1998.

76- محمّد زتيلي: فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1984.

77- محمّد سعيدي: التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2009.

78- محمّد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 2011.

79- محمّد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

80- محمّد عيلان: التراث الشعبي الجزائري – دراسات وبحوث ميدانية –، الجزائر عاصمة الثقافة العربية (وزارة الثقافة)، الجزائر، دط، 2007.

81- مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2007.

82- مسلم بن الحجّاج النيسابوري: الصحيح، دار الأصالة، الجزائر، ط1، 2010.

83- منّاع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط11، 2000.

84- موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس عشر (11 م)، دار الأمل، الجزائر، ط2، 2007.

85- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، دط، دت.

86- نبيلة سنجاق: الشعر الشعبي بين الهوية المحلية ونداءات الحداثة، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، الجزائر، دط، 2009.

87- ندية حفيز: ابن المقفع وكتابه كليلة ودمنة – دراسة تحليلية –، دار هومة، الجزائر، دط، 2012.

88- نعمات أحمد فؤاد: النيل في الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1997.

89- أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، دت.

المعاجم والقواميس:

1- أحمد بن فارس الرازي: معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2008.

2- إيكه هولتيكرانس: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط2، دت.

3- جمال الدين بن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط6، بيروت، لبنان، ط2، 2008.

4- جولي مراد: معجم الأمثال المقارنة (إنجليزي، عربي)، دار المراد، بيروت، لبنان، دط، 1998.

5- عثمان سعدي: معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية (البربرية)، دار الأمة، الجزائر، دط، 2012.

6- كمال خلايلي: معجم كنوز الأمثال والحكم العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1،1998.

7- محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

8- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

9- أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، دت.

المراجع الأجنبية:

1- Ahmed Lamine : La poésie populaire Algérienne à Sidi Khaled et ses relations avec le patrimoine culturel arabo – islamique de 1850 à 1950, Edition de l'El-Amel, Algérie, 2012.

2- Brahim Bahloul : les instruments de musique traditionnels en Algérie ,office national de la culture et de l'information , Algérie, 2004.

المجلات:

1- جمال يطغان: بعض مواقع ما قبل التاريخ لفترة العصر الحجري القديم المتأخر لولاية جيجل، أضواء على الآثار والتراث الثقافي لولاية جيجل، المهرجان الثقافي المحلي للفنون والثقافات الشعبية لولاية جيجل (وزارة الثقافة)، جيجل، 2008.

2- علي خلاصي: حماية سلّم القيم بحماية الثروة التراثية والموروث الثقافي، مجلّة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية (وزارة الثقافة)، عدد 16 أكتوبر 2007.

3- فتيحة بن فرحات: صورة المرأة من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية – دراسة سوسيولوجية –، مجلة الثقافة، العدد 10، الجزائر، 2007.

4- محمد بلبشير: الأدب الإسلامي والمنحنى النفسي، مجلّة حوليات التراث، العدد 01، جامعة مستغانم، الجزائر، 2007.

الملتقيات:

1- خالد عيقون: تماثلات الأشكال والمفاهيم في الأدب الجزائري، مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، دار الأمل، ط3، أشغال الملتقى الوطني المنعقد بتيارت يومي 13 و14 أكتوبر 2002.

2- محمد تحريشي: رقصة الهبي نموذج للتواصل بين أفراد الجماعة، مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، دار الأمل، أشغال الملتقى الوطني المنعقد بتيارت يومي 13و14 أكتوبر 2002.

المذكرات والرسائل الجامعية:

1- أمينة بلعبدي: الحكاية الشعبية بمنطقة الشلف – دراسة ميدانية – ، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2001/2000.

2- سمية فالق: المثل الشعبي في منطقة الأوراس- جمع وتصنيف ودراسة في الوظيفة والتشكيل الفني -، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب، جامعة قسنطينة، 2004/ 2005.

3- محمد ناصر بوحجام: السخرية في الأدب الجزائري الحديث (1925،1962)، رسالة دكتوراه، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر،1994/1993.

المحاضرات المخطوطة:

1- عيسى لحيلح: محاضرة الأدب الشعبي تحديداته ومفاهيمه، السنة الجامعية 2009/ 2010.

2- عيسى لحيلح: محاضرة المثل الشعبي، السنة الجامعية 2011/ 2012.

الحوارات المسجلة:

1- باية حمودة، 56 سنة، بلدية جيملة، يوم 2012/02/02.

2- زليخة بسيبس، 80 سنة، بلدية قاوس، يوم 2013/03/29.

3- زينب بوغريرة، 74 سنة، بلدية العنصر، يوم2011/12/15.

4- شعبان قريمس، 64 سنة، بلدية قاوس، يوم 2012/01/20.

5- الظريفة بورويس، 93 سنة، بلدية الأمير عبد القادر، يوم 04/ 04/ 2013.

6- الظريفة كحيلة، 68 سنة، بلدية القنار، يوم 20/ 12/ 2005.

7- عيشة رزيق، 78 سنة، بلدية جيملة، يوم 2012/12/25 و24 /2013/02.

8- فجرية أقيس، 78 سنة، بلدية الميلية، يوم 2012/12/20.

9- مسعودة بوطاجين، 55 سنة، بلدية تاكسنة، يوم 2012/04/06.

10- مسعودة قريمس، 60 سنة، بلدية قاوس، يوم 2013/03/18 و2013/04/12.

11- يمينة بوخمخم، 70 سنة، بلدية الطاهير، يوم 2013/02/05.

فهرس الموضوعات

فـهـرس الموضـوعـات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل: منطقة جيجل الجغرافية والتاريخ	6
1- التسمية	7
2- الجغرافية	9
أ- الموقع الجغرافي	9
ب- التضاريس	9
ج- المناخ	11
3- التاريخ	12
أ- مرحلة ما قبل التاريخ	12
ب- مرحلة العصور التاريخية	14
الفصل الأول: تراث جيجل الشعبي	28
المبحث الأول: العادات والتقاليد الشعبية	32
1- دورة الحياة	32
2- الاحتفالات المرتبطة بدورة العام	37
المبحث الثاني: الأدب الشعبي وفنون المحاكاة	40
1- الأغنية الشعبية	41
2- اللغز الشعبي	44
3- الحكاية الشعبية	46
المبحث الثالث: المعتقدات والمعارف الشعبية	47
1- الطب الشعبي	47
2- معتقدات متعلقة بالإنسان	48
3- معتقدات متعلقة بالحيوان	49
المبحث الرابع: الفنون الشعبية والثقافة المادية	51
1- الآلات الموسيقية التقليدية	51
2- الرقص الشعبي	52

3- الصناعات اليدوية 53
الفصل الثاني: أمثال جيجل الشعبية حضورها وخصائصها 56
المبحث الأول: المثل الشعبي 57
1- حدّ المثل الشعبي 57
2- بين المثل الشعبي وما شابهه من الأقوال 63
3- نشأة المثل الشعبي 67
المبحث الثاني: علاقة المثل الشعبي بالحكاية 68
1- علاقة المثل الشعبي بالحكاية الواقعية 68
2- علاقة المثل الشعبي بالحكاية الخرافية 69
المبحث الثالث: حضور المثل الشعبي في المجتمع الجيجلي 72
1- تداول المثل الشعبي بالمنطقة 72
2- دواعي حضور المثل الشعبي في الكلام 73
المبحث الرابع: خصائص أمثال جيجل الشعبية 76
1- خصائص فنية 76
2- خصائص عامة 96
الفصل الثالث: دلالات أمثال جيجل الشعبية 100
المبحث الأول: الدلالة الدينية 101
1- الهوية الدينية من خلال القرآن الكريم 100
2- الهوية الدينية من خلال الحديث النبوي الشريف 108
المبحث الثاني: الدلالة التربوية الأخلاقية 113
1- الأخلاق والسلوكات الحسنة 113
2- الأخلاق والسلوكات السيئة 115
المبحث الثالث: الدلالة الاجتماعية 120
1- تصوير الواقع الاجتماعي 120
2- تصوير البيئة الطبيعية 127
المبحث الرابع: الدلالة التاريخية 135
1- ملامح الحياة الماضية 135

2- استلهام الحدث التاريخي 136
المبحث الخامس: الدلالة النفسية 138
1- تأثير المثل الشعبي في النفوس 138
2- المثل الشعبي وظواهر النفس الإنسانية 140
خاتمة 142
قائمة المصادر والمراجع 146
فهرس الموضوعات 156